استكتاب أكاديمي جماعي

الصورة والخطاب والذاكرة

دراسات في التاريخ والفنون والآثار والتراث

تأليف مجموعة من الباحثين



الناشر

دار الرقيم السومري للنشر والتوزيع

إعداد واشراف الهيئة العلمية في

مؤسسة أجيال الرافدين لتطوير التعليم

ISBN: 978-9922-7964-75 | 2026

استكتاب أكاديمي جماعي

الصورة والخطاب والذاكرة

دراسات في التاريخ والفنون والآثار والتراث

استكتاب أكاديمي جماعي
الصورة والخطاب والذاكرة
دراسات في التاريخ والفنون والآثار والتراثنخبة من الباحثين
التصنيف : دراسات في العلوم الإسلامية واللغة العربية واللسانيات والدراسات اللغوية
الطبعة: الاولى

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (بلا) لسنة (بلا)

ISBN:978-9922-7964-75

DOI:10.62909/978.9922.7964.75



دار تركيب الرقيم السومري للطباعة والتوزيع والنشر الالكتروني
العراق – ديالى – بعقوبه – شارع الاوقاف
هاتف : 07775262892
manager@sss-publisher.com

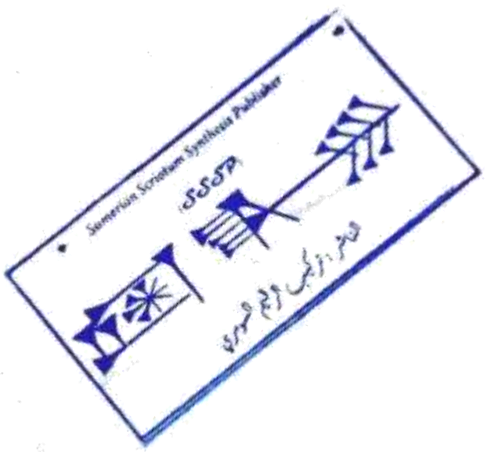
جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو وساطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

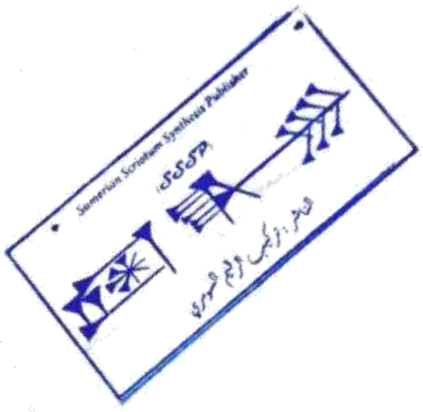
استكتاب أكاديمي جماعي

الصورة والخطاب والذاكرة
دراسات في التاريخ والفنون والآثار والتراث

نخبة من الباحثين



2026



تنضيد الكتاب

معهد الترجمة والكتاب

«ماليزيا»

مراجعة لغوية

الدكتور محمد محمد كاظم

«العراق»

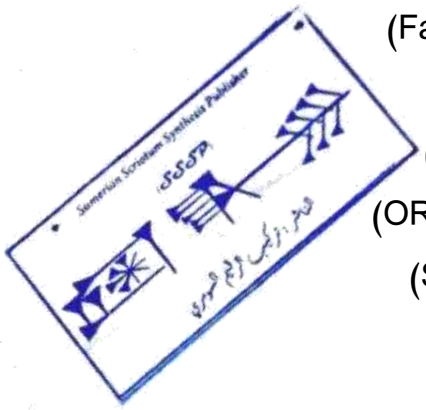
تصميم الغلاف

معهد التكنالوجيا

«الهند»

التوزيـــع والنشـــر الإلكترونـــي ، تمـــت فهرســـة هـــذا الكتـــاب فـــي عـــدد مـــن الفهارس والمنصات الدولية، منها:

كروس ريف	(CrossRef)
أوبن ألكس	(OpenAlex)
مؤشر الاقتباس المفتوح الأوكراني	(OUCI)
سجل مستودعات الوصول المفتوح	(ROAR)
سيمنتك سكولار	(Semantic Scholar)
دايمنشنز	(Dimensions)
ريسرش غيت	(ResearchGate)
فات كات	(Fatcat)
المعيار الدولي للترقيم	(IAS)
مؤشر الاستشهاد العلمي	(SCI)
أوركيد	(ORCID)
سايليت	(Scilit)



الموقع الرسمي لدار النشر الرقيم السومري للنشر والتوزيع

يتوفر هذا الكتاب عبر الموقع الرسمي لدار النشر، مع تخصيص مُعرّف رقمي دائم (DOI) خاص به

https://doi.org/10.62909/978.9922.7964.75

978-9922-7964-75

مقدمة الكتاب

يجمع هذا الكتاب دراسات تتناول التاريخ والفنون والآثار والتراث، وتلتقي عند النظر في طرائق حفظ الخبرة الإنسانية وتمثيلها وتفسيرها. فالصورة والخطاب والذاكرة ليست عناوين منفصلة في هذا السياق، بل مداخل لقراءة ما يتركه الإنسان من نصوص ومؤسسات وشواهد مادية وأشكال تعبير فني، وما تحمله هذه الآثار من معانٍ تتجدد قراءتها بتجدد أسئلة الباحثين.

تنتظم المشاركات في عشرة فصول مستقلة، يحمل كل فصل عنوانه وأسماء مؤلفيه، وتبقى له بنيته البحثية ومصادره الخاصة. يبدأ الكتاب بمناقشة مفهوم التاريخ ودوره في البناء الحضاري، ثم يتناول جوانب من المؤسسات الإدارية والعسكرية والشركات التجارية والعملات النقدية في السياق الإسلامي. وينتقل إلى تحولات العلاقة بين الدولة والمجتمع، والتوثيق الرقمي للذاكرة الجماعية، والصلة بين التاريخ الإسلامي والخطاب البلاغي. وتُستكمل هذه المعالجات بدراستين في الزخارف الجصية وصون المباني الأثرية، ثم بدراسة للموسيقى العسكرية العراقية تجمع بين التاريخ والتحليل الفني.

يعكس هذا الترتيب تنوع المادة التي تقدمها الدراسات، دون إلغاء خصوصية مناهجها. فقراءة النص التاريخي تختلف عن تحليل الزخرفة أو المدونة الموسيقية، كما أن التوثيق الرقمي يطرح أسئلة تتصل بالمصدر والحفظ والإتاحة. لذلك يحافظ الكتاب على استقلال كل مساهمة، ويتيح للقارئ أن يقرأ الفصول بحسب موضوعاتها، أو أن يتتبع الصلات التي تنشأ بينها في مسائل الذاكرة والتمثيل والمؤسسة والهوية.

رُوعي في البناء التحريري أن تكون المشاركة البحثية وحدة واضحة داخل الكتاب، وأن تنتظم العناوين الداخلية على نحو ييسر الانتقال من الفصل إلى مباحثه وتفريعاته. وأُلحقت بالفصول ملخصات عربية وإنجليزية وكلمات مفتاحية للتعريف بمضمونها، مع المحافظة على المراجع والجداول والصور الواردة في المشاركات حيث تضمنتها الملفات الأصلية. أما المتون فاحتُفظ بصيغتها البحثية، واقتصرت المعالجة التحريرية على تنظيم العرض والتصويبات الشكلية اللازمة.

تنبع قيمة الاستكتاب الجماعي من إتاحة اللقاء بين خبرات بحثية متعددة داخل وعاء يحفظ نسبة كل عمل إلى صاحبه، ويفتح مجال القراءة والمناقشة والمقارنة. وليس المقصود من جمع هذه الدراسات اختزالها في تفسير واحد، بل تقديم مادة يمكن الرجوع إلى فصولها بوصفها مساهمات مستقلة، مع الاستفادة من الروابط التي يكشفها ترتيبها في كتاب واحد. ونرجو أن يجد القارئ في هذه الصفحات ما يعين على تعميق النظر في التاريخ وشواهده، وفي الفنون وذاكرتها، وفي التراث ومسؤولية صونه.

المؤلفون

1. م.م. محمد رحيم عكال العمري
المديرية العامة لتربية ذي قار

2. م. محسن رشك حمادي
المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الأولى

3. م.م. سباسر علي عودة زعال
المديرية العامة لتربية بابل

4. م.د. شيماء كريم خلف
الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

5. م.م. مرتضى إبراهيم محمود الخفي
المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الأولى

6. م.د. هدى عبد الأمير مخيف
المديرية العامة لتربية بابل

7. م.م. رقية وسام غناوي محسن
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

8. م.م. روى ضياء إبراهيم
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

9. م.م. رغد كريم علي
جامعة سامراء

10. م.م. رغدة رافد يحيى السامرائي
جامعة سامراء - رئاسة الجامعة

11. الباحث فيصل عباس جميل
جامعة صفاقس

فهرس المحتويات

ت	عنوان الفصل والباحث	الصفحة
1	**مفهوم التاريخ ودوره في بناء المعادلة الحضارية للأمم** م.م. محمد رحيم عكال العمري	7
2	**تطور المؤسسات الإدارية والعسكرية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)** م. محسن رشك حمادي	34
3	**الشركات التجارية في العصر الراشدي** م.م. سباسر علي عودة زعال	95
4	**العملات النقدية المتداولة في التاريخ الإسلامي (القرن 3–8هـ/9–14م): دراسة في ضوء مؤلفات أ.د. سعاد الطائي** م.د. شيماء كريم خلف	111
5	**التحولات التاريخية في العلاقة بين الدولة والمجتمع** م.م. مرتضى إبراهيم محمود الخفي	134
6	**التاريخ الرقمي والتوثيق الإلكتروني للذاكرة الجماعية** م.د. هدى عبد الأمير مخيف	157
7	**التاريخ الإسلامي والخطاب البلاغي ودورهما في تشكيل الفكر وبناء الشخصية** م.م. رقية وسام غناوي محسن؛ م.م. روى ضياء إبراهيم	192
8	**الزخارف الجصية في المباني الأثرية الإسلامية** م.م. رغد كريم علي	211
9	**المعايير الدولية في حماية وصون المباني الأثرية الإسلامية** م.م. رغدة رافد يحيى السامرائي	235
10	**الموسيقى العسكرية العراقية: جذورها التاريخية وتطورها ووظائفها وتأثيرها النفسي** الباحث فيصل عباس جميل	258

الفصل الأول

مفهوم التاريخ ودوره في بناء المعادلة الحضارية للأمم

م.م. محمد رحيم عكال العمري
المديرية العامة لتربية ذي قار - العراق

الملخص

يتناول هذا الفصل مفهوم التاريخ وعلاقته ببناء المعادلة الحضارية للأمم، انطلاقًا من الصلة بين الوعي بالماضي وتكوين الهوية والنظام المعرفي للمجتمع. ويعرض التاريخ بوصفه مجالًا لفهم الفعل الإنساني وتحولات الجماعات، لا مجرد سجل للأحداث المنقضية أو استدعاء للأمجاد. ويركز على أثر المفاهيم الحضارية في توجيه السلوك، وعلى ضرورة التمييز بين التعامل مع التراث باعتباره خبرة قابلة للفهم والنقد وبين الانغلاق داخل صورة ثابتة للماضي. ويناقش حضور الخبرة التاريخية في التصور القرآني، ودلالات الاعتبار والسنن والتغيير، والعلاقة بين القيم الموجهة للفعل والوقائع التي يصنعها الإنسان في الزمان والمكان. وتتصل هذه المعالجة ببحث موقع الإنسان في الحضارة، وقدرته على الانتقال من التلقي والتبعية إلى المشاركة والبناء، مع بيان أثر اضطراب الوعي التاريخي في فهم الهوية والمرجعية الثقافية. كما يتناول الفصل الحاجة إلى مراجعة طرائق قراءة التاريخ وتوظيفه في تفسير الحاضر، بدل اختزاله في خطاب تمجيد أو إدانة. وتقوم المعالجة على مناقشة مفاهيم ومواقف فكرية ونصوص يستند إليها المتن، بقصد إبراز الوظيفة المعرفية والتربوية للتاريخ. ويؤكد الفصل أن الإفادة الحضارية من الماضي ترتبط بوعي نقدي يميز بين الخبرة وشروطها، ويستخلص إمكانات الفعل دون إلغاء خصوصية التحولات المعاصرة. وبذلك يجمع بين تأصيل مفهوم التاريخ ومناقشة وظيفته في بناء الوعي والمسؤولية الحضارية، مع إبقاء الصلة بين الإنسان والمجتمع والقيم أساسًا لفهم حركة الحضارة. وتبرز ضمن هذا الإطار أهمية النظر إلى المصطلحات قبل توظيفها، وفهم أثرها في توجيه القراءة التاريخية. فالمفهوم الذي يختاره الباحث يحدد الأسئلة التي يطرحها، ويساعد على التمييز بين استحضار الوقائع من أجل المعرفة واستخدامها لتكرار تصورات موروثة لا تخضع للمراجعة.

الكلمات المفتاحية: التاريخ؛ الوعي الحضاري؛ الهوية؛ السنن؛ المعادلة الحضارية

Abstract

This chapter examines the concept of history and its relationship to the civilizational development of nations. It approaches historical awareness as a component of collective identity and of the intellectual structures through which communities interpret their experience. History is considered a field for understanding human action and social transformation rather than simply a record of completed events or a source of memories of past achievements. The discussion addresses the influence of civilizational concepts on conduct and distinguishes critical engagement with inherited experience from attachment to a fixed image of the past. Particular attention is given to the place of historical experience in Quranic discourse, including reflection on earlier communities, patterns of change, and the relationship between guiding values and human action. The chapter connects these questions with the position of the individual within society and with the transition from passive reception to responsible participation. It also examines how an unclear understanding of history can affect cultural identity and the interpretation of the present. Drawing on the conceptual discussions and texts presented in the chapter, the analysis emphasizes the intellectual and educational functions of historical understanding. Its central argument is that constructive engagement with the past requires attention to the conditions in which experience developed, without treating those conditions as identical to the present.

Historical knowledge is consequently presented as a resource for reflection, responsibility, and civilizational action.

Keywords: History; Civilizational awareness; Identity; Historical patterns; Civilizational development

المفاهيم الحضارية وأثرها في بناء الهوية التاريخية للأمة

يتصل الوجود الحضاري للأُمّة اتصالاً وثيقًا بمستوى ثقافتها وبنيتها المعرفية؛ إذ تتحدد قوة الثقافة وفاعليتها بمدى تماسك النظام العلمي والمعرفي الذي تستند علية، كما أن هذا النظام يتأثر في حركته وتوجيهه بجملة من المفاهيم التي تختزل فلسفة الأُمّة وخبرتها التاريخية وتراكماتها الفكرية، وتنعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة على سلوك أفرادها واتجاهاتهم. ومن هنا اصبحت المفاهيم من أبرز ميادين الصراع الحضاري على امتداد التاريخ؛ لأنها من أكثر مكوّنات الأُمّة تعرضًا للتأثر خلال مراحل النهوض والانحسار. حيث تتركز سلامة البناء الحضاري وقوتها على سلامة مفاهيم الأُمّة وقدرتها على بنائها وتأصيلها وضبطها، في حين أن اضطرابها الحضاري يعزى غالبًا بما يصيب تلك المفاهيم من غموض أو اضطراب أو خلط أو التباس.

وإذا كانت المفاهيم تمثل هي من خلاصة العقيدة والفكر والفلسفة والقيم التي تتبناها الأُمّة، فإنها تؤدي دورًا مهماً وأساسيًا في تحديد أنماط سلوكها وتوجيه رؤيتها لذاتها وللعالم المحيط من حولها، ومن ثم فإنها تشكل في مجموعها أحد المقومات البارزة لهويتها ونظامها العمي والمعرفي. وعلى هذا الأساس، حيث لا يمكن دراسة شخصية الأُمّة وهويتها الحضارية بمعزل عن تاريخها؛ لأن التاريخ لا يمثل مجرد تسجيل لأحداث قد حدث في الماضي، وإنما هو مسار تتشكل من خلاله خبرة المجتمع وتتبلور قدرته على الانتقال نحو أنماط جديدة أكثر تقدمًا من الحياة، وهي العملية التي يعبَّر عنها بمفهوم الحضارة.

وبعد ذلك، فإن بناء الوعي الحضاري لا يكتمل من دون تفعيل عناصر المعادلة الحضارية، وفي مقدمتها الوعي بالتاريخ وضبط ومعرفة مفهومه وتحديد وظيفته وبيان أثرة في واقع الأُمّة. فحين يختل التصور التاريخي أو يتعطل دوره في بناء الوعي، ينعكس ذلك بصورة مباشرة على النظام المعرفي بصورة عامة، ويؤدي إلى اضطراب مفهوم الهوية وتراجع فاعلية المرجعية الدينية

والثقافية، ولا سيما عندما تتقدم أنظمة معرفية وثقافية قادمة لتملأ الفراغ الناشئ عن ضعف النظام المعرفي الداخلي. وفي مثل هذه الحالة تحديدا قد تقع الأُمّة تحت تأثير أنماط من الغزو الفكري والثقافي، فتضعف قدرتها على التمييز بين ما ينبع من مرجعيتها الحضارية وما يفرض عليها واقعها من الخارج.

ويترتب عن ذلك اختلال في موقع الإنسان داخل المنظومة الحضارية؛ إذ ينتقل بالتدريج من موقع الفاعل الذي يسهم في بناء واقعه إلى موقع المتلقي والمتأثر به، ومن البناء والإعمار إلى العجز والتبعية، كما تضطرب علاقته بواقعة ومحيطة الاجتماعي، فتتراجع قيم التعاون والائتلاف لصالح النزاع والاختلاف. ومن هنا فإن العجز عن فهم وقراءة التاريخ وإعادة وتوظيفه بما ينسجم مع التحولات التي تفرضها الظروف الجديدة، إلى جانب ضعف القدرة على إعداد الكفاءات الانسانية القادرة على تحويل المعرفة والثقافة إلى فعل حضاري، يؤدي إلى استمرار حالة من الجمود الفكري والقافي وقله في الحركة، وهذا يعمّق الفجوة بين الهوية الحضارية للأُمّة وممارساتها الاجتماعية اليومية، الأمر الذي قد يفضي في النهاية إلى ضعف الصلة بالمرجعيات الفكرية والعقائدية، وتحول الأُمّة إلى مجرد متلقٍّ أو مقلّد يفتقر إلى القدرة على التأثير وصناعة في علم التاريخ.

وتعد كيفية تعامل المسلمين مع تاريخهم من القضايا المهمة والأساسية التي تؤثر بشكل مباشر في تشكيل الوعي الثقافي والحضاري؛ فقد اتخذ التاريخ في الخطاب الثقافي صورًا كثيرة ومتباينة. ففي بعض السياقات استُحضر بوصفه مصدرًا للأمل والثقة بإمكان استعادة المكانة الحضارية، وفي سياقات أخرى استُخدم للتذكير بالأمجاد السابقة وما حققه المسلمون من ريادة في مجالات العلوم والمعارف. كما جرى ذلك من خلال استعراض البطولات التي قم بها المسلمون كالفتوحات والأحداث الكبرى التي شكلت جانبًا من جوانب الذاكرة التاريخية للمسلمين. وفي المقابل، اتخذ استحضار التاريخ أحيانًا صورة سلبية، حين جرى توظيفه لترسيخ مشاعر اليأس والإحباط، وتصوير التخلف والتبعية والتقليد بوصفها سمات ثابتة في شخصية المسلم، الأمر الذي أدى لدى بعض الاتجاهات إلى تكوين نظرة قاتمة تجاه الماضي، وتحميل التاريخ وأجياله السابقة مسؤولية ما أصاب الحاضر من مظاهر الضعف والتراجع.

ويبدو أن أحد الأسباب البارزة لهذا التباين في الموقف من التاريخ يتمثل في عدم وضوح مفهوم التاريخ ووظيفته في الوعي الحضاري؛ فالتاريخ بوصفه علمًا قد تطورت موضوعاته ومناهجه وطرائق قراءته، كما أن التاريخ ليس هو الماضي ولم يكن منقطع عن الحاضر، بل هو عملية مستمرة تتشكل أحداثها ووقائعها بصورة متجددة. ومع ذلك، قد تظل بعض المجتمعات البشرية أسيرة مرحلة تاريخية محددة، أو خاضعة لمنهج واحد في قراءة احداث الماضي، في الوقت الذي يستمر فيه التاريخ من حولها ويتشكل بفعل القوى والأمم التي تمتلك القدرة على المبادرة وصناعة الأحداث.

ومن أجل تجاوز مثل هذة الحالة، تبرز الحاجة إلى إعادة النظر في مفهوم التاريخ ذاته، من خلال مراجعة شاملة تقوم على رؤية سننية واعية، تزيل ما تراكم حوله من غموض، وتحرره من الدلالات السلبية التي كانت مرتبطة به في بعض الخطابات، وتعيد تحديد علاقته المباشرة بالإنسان والمجتمع والحضارة. ولا تقتصر هذه المراجعة على إعادة تفسير أحداث الماضي، وإنما تتجه إلى فهم القوانين والسنن التي تحكم حركة المجتمعات، وكيف استطاعت الأمم والشعو السابقة أن تتحول من مجرد متلقي للأحداث إلى طرف فاعل في صناعتها.

كما أن الأُمم والشعوب ذات التراث الحضاري العريق مطالبة بالتجديد والاستفادة من التجارب كي لا تتحول إلى أسيرة لماضيها، وألا تجعل أمجادها التاريخية بديلًا عن الفعل الحضاري في الحاضر؛ فالتاريخ ينبغي أن يكون مصدرًا للوعي والخبرة والدافعية، لا مجالًا للانكفاء والاستغراق في حوض الماضي. ومن هنا فإن إعادة بناء مفهوم التاريخ تعود بالضرورة إلى إعادة فهمه بوصفه مجالًا للفعل البشري والحضاري، واستيعاب التجربة التي قدمها الأسلاف من الماضي حين امتلكوا القدرة على صناعة تاريخهم بأنفسهم، وهو ما يتيح للأجيال اللاحقة الإفادة من تلك التجربة في بناء حاضر ومستقبل أفضل في ضوء المتغيرات الجديدة

أولًا: مفهوم التاريخ في التصور القرآني:

تعد لفظ "التاريخ" بهذا الرسم الاصطلاحي لا تذكر في القرآن الكريم ولا في الحديث النبوي الصحيح، غير أن عدم ورود اللفظ لا يعني بحالٍ غيابَ الدلالة التي يقوم مقامها، فقد تضمنت في القرآن الكريم إشارات واسعة إلى الماضي في وأحداث ووقائع انسانية، ودعا إلى استحضارها والتأمل في عواقبها، بما يجعل الوعي بالماضي وسيلةً مهمة للاعتبار واستخلاص العِبَر، والكشف

عن السنن التي تحكم حركة المجتمعات والأمم والشعوب. ويظهر ذلك بصورة واضحة في ورود مفهوم "القَصَص" في النص القرآني الذي لا يقتصر على مجرد نقل الأخبار، وإنما يتضمن عرضًا للأحداث ذات الدلالة المباشرة، بما يتيح للإنسان قراءة التجارب السابقة والوقوف على نتائجها واستنباط القوانين والسنن والنواميس التي تحكم مسرة الإنسان في الوجود

ومن الملاحظ أن القضايا التاريخية نالت مساحة واسعة ومتنوعة في القران الكريم من حيث أساليب العرض والدلالة، فتارةً يأتي الحديث عن الوقائع بصورة مباشرة، وتارةً يُقدَّم في شكل قصص يعرض تجارب جماعات وأمم وشعوب سابقة، وتارةً أخرى يُختصر الحدث في إشارات مركزة تستهدف إبراز السنن التي تحكم حركة المجتمعات الانسانية، كما يتناول القرآن الكريم صورًا متعددة من علاقة الإنسان بالكون والطبيعة والمجتمع، وما تفرزه من أنماط حضارية تتدرج من البساطة إلى التعقيد والنضج. ولذلك فإن المتأمل في القرآن الكريم يجد أن عدد كبيرًا من السور لا تخلو من وقائع تاريخية، أو إشارة إلى حدث سابق، أو تقرير سنة من السنن التي تجري في حياة الاشخاص والجماعات والأمم (خليل، 1978م، ط2، ص5).

ويمكن تفسير هذا الحضور الكثيف للبعد التاريخي في القرآن الكريم بارتباط حركة التاريخ بمفهوم التعبير والتغيير، إذ يقوم هذا المفهوم على بُعدين متكاملين أحدهما نظري، والآخر عملي.

ويتمثل البعد النظري في المنظومة الإلهية الربانية التي تضمنتها الشرائع السماوية، واكتمل بناؤها في الرسالة المحمدية، وبما اشتملت عليه من عقائد وتشريعات وأحكام ومناهج، أنزلها الله عز وجل عن طريق الوحي لتوجيه الفعل الإنساني وضبطه. وتمتاز هذه المنظومة بكونها ذات مبادئ عامة صالحة لمختلف الأزمنة والأمكنة والمجتمعات كافة ، فهي لا تخضع لحركة التاريخ بالمعنى الذي يخضع له الفعل البشري، وإنما تؤدي دورًا في توجيه تلك الحركة وضبط مساراتها.

أما البعد الاخر العملي فيرتبط بالفعل الانساني الذي يجري في إطار مفهوم التاريخ، ويعبّر عن قدرة الإنسان على إحداث التغيير وصناعة الوقائع وتوجيه مسار الأحداث. وهذا الفعل لا يجري بصورة عشوائية، وإنما تحكمه سنن وعادات إلهية ثابتة تجري على الأفراد والشعوب والأمم، وتظهر آثارها عبر الأزمنة والعصور المختلفة.

فان التاريخ في المنظور القرآني يرتبط بالفعل الإنساني الواقع ضمن إطار السنن الإلهية الحاكمة لحركة الكون والمجتمع والإنسان. فالإنسان قي طبيعة الحال فاعل في التاريخ، لكنه ليس منفصلًا عن القوانين والسنن التي أودعها الله عز وجل في الآفاق والأنفس، والتي تنتظم بموجبها حركة الحياة الإنسانية. ومن ثم فإن نتائج الفعل التاريخي ترتبط بدرجة وعي الإنسان بهذه السنن ومدى قدرته على التعامل معها وتوظيفها في تحقيق أهدافه الحضارية (برغوث، 1425ه/2004م، ط1، ص18-22).

ويبرز هذا المعنى بوضوح في معالجة القرآن الكريم لأحداث غزوة أُحُد؛ إذ لم تُقدَّم الهزيمة باعتبارها فشلًا في الرسالة الإسلامية أو خللًا في مبدئها، وإنما ارتبطت بأفعال المسلمين أنفسهم ومدى التزامهم بالأسباب والسنن التي تحكم النصر والهزيمة. فالرسالة الإلهية ثابتة في مبادئها، بينما يتغير الواقع التاريخي تبعًا لأفعال البشر ومدى التزامهم بالقواعد والسنن التي تحكم حركتهم. وبذلك يؤكد القرآن الكريم مسؤولية الإنسان عن فعله التاريخي، ويجعل الوعي بالسنن شرطًا من شروط الفاعلية الحضارية.

ومن هذا المنطلق، يحذّر القرآن الكريم من تعطيل الدور التاريخي للأُمّة أو التفريط في المسؤولية التي أُنيطت بها؛ لأن حركة التاريخ لا تتوقف بتراجع جماعة أو أُمّة عن أداء وظيفتها، وإنما تستمر وفق السنن الإلهية التي تحكم تداول القوة والتمكين بين الأمم. وفي هذا السياق يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة: 54).

ومن ثم حدّد القرآن الكريم الإطار العام لفهم السنن التي تنتظم حركة التاريخ، الأمر الذي يجعل العودة إلى القرآن الكريم ضرورةً منهجية عند دراسة القوانين والسنن الحاكمة لحركة الإنسان والمجتمع؛ فهو كتاب هداية للناس، ولا يقتصر دوره على بيان الأحكام العقدية والتشريعية، بل يتضمن كذلك توجيهات منهجية لفهم الأحداث والوقائع، وبيان الشروط والعوامل التي تؤثر في حركة المجتمعات وتحولاتها التاريخية.

ثانيًا: الدلالة اللغوية لمفهوم التاريخ في العربية:

أما لفظ كلمة "التاريخ" في اللغة العربية، فقد اختلف المؤرخون واللغويون في الاصل اللغوي ودلالتهَ ويبدو أن تعدد الآراء بشأن اشتقاقه قد انعكس بشكل مباشر على تحديد مفهومه. فقد ذكر ابن منظور في مادة "أرَّخ" أن التأريخ هو تحديد الوقت وبيانه، وأن "التوريخ" يؤدي المعنى نفسه، فيقال: "أرَّخت الكتاب" أي حدّدت زمن كتابته. وأشار كذلك إلى استعمال الواو في "ورَّخ" بوصفها لغةً، مع نقل رأي يعقوب القائل بأن الواو قد تكون بديلًا من الهمزة. كما أورد قولًا يرى أن لفظ "التاريخ" ليس عربية خالصة وأن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب، وأن تاريخ المسلمين بدأ من سنة الهجرة النبوية، ثم أُقرَّ في خلافة عمر بن الخطاب, فاصبح أساسًا للتأريخ عند المسلمين إلى عصور لاحقة (ابن منظور، د.ت، مادة "أرَّخ")

وقد تناول السخاوي مفهوم كلمة التاريخ من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وذكر عددًا من الأقوال في أصله ومعناه فذكر أن التاريخ في اللغة يدل على الإعلام بالوقت وبيانهَ، فيقال: "أرَّخت الكتاب" و "ورَّخته" بمعنى بيّنت وحددت زمان كتابته. ونقل عن الجوهري أن كلمة التاريخ هو تعريف الوقت، وأن التوريخ يؤدي المعنى نفسه، كما أشار إلى وجود اختلاف في الاستعمال بين القبائل العربية؛ فنُسب إلى بني تميم استعمال "ورَّخت" وإلى قيس استعمال "أرَّخت" ويُفهم من ذلك أن اللفظ كان معروفًا في الاستعمال العربي بصيغ متعددة (السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم علم التاريخ، 1986م، ص16-18).

وبما أن هناك خلافًا آخر قد أُثير حول منشأ اللفظ، فقد ذهب بعض الباحثين إلى أنه ليس عربيًّا خالصًا؛ بل هو لفظ مُعرَّب جرى أخذه من الفارسية، وربطوه بعبارة «ماه روز»، التي تتألف من «ماه» بمعنى القمر أو الشهر، و«روز» بمعنى اليوم. كما نقل الجواليقي في كتابه المعرَّب من الكلام الأعجمي رأيًا قريبًا من ذلك، مفاده أن لفظ التاريخ الذي شاع بين الناس لم يكن عربيًّا خالصًا، وأن المسلمين أخذوا نظام التأريخ عن أهل الكتاب، ثم صار للمسلمين تقويمهم الخاص بعد اعتماد الهجرة النبوية أساسًا للتأريخ في خلافة عمر بن الخطاب (رض) (السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم علم التاريخ، 1986م، ص16-18).

وفي السياق نفسه، نُقل عن أبي الفرج قدامة بن جعفر إشارة ذات دلالة في تحديد مفهوم التاريخ، إذ يرى أن "تاريخ كل شيء آخره" أي الوقت الذي تنتهي إليه غايته أو يقع فيه الحدث الذي يُراد

تحديده. كما نُقل عن الصولي أن التاريخ هو غاية الشيء ووقته الذي ينتهي إليه زمنه. ومن هذا المعنى توسع استعمال لفظ "التاريخ" للدلالة على تحديد الأزمنة والوقائع وربط الأحداث بأوقاتها، ثم اتسع مدلوله تدريجيًا ليشمل الأخبار والأحداث والوقائع التي تُروى عن الأمم والأفراد (السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم علم التاريخ، 1986م، ص17-18).

وعليه، فإن الدلالة اللغوية للتاريخ تكشف عن ارتباطه في أصله بمعنى تحديد الزمن وبيان الوقت الذي وقوع فيه الأحداث، ثم تطور استعماله ليشمل تسجيل الوقائع والأخبار وربطها بسياقاتها الزمنية. ومن هنا انتقل مفهوم التاريخ من مجرد الدلالة على الوقت إلى مجال أوسع يتصل بدراسة أحداث الماضي وفهم العلاقات التي تربط بينها، وهو ما مهّد لاحقًا لتكوّن علم التاريخ بوصفه علمًا له موضوعه ومناهجه وأدواته الخاصة.

الأصل اللغوي لمصطلح (التاريخ) ودلالته الزمنية:

اختلف الباحثون في تحديد الأصل اللغوي لمصطلح "التاريخ" وتعددت الاتجاهات التي حاولت تفسير اشتقاقه وبيان دلالته. فذهب بعضهم إلى أن أصل يرجع فارسي، مشتق من عبارة "ماه روز" إذ تعني "ماه" اي الشهر، و"روز" اليوم، ومن ثم ارتبط مدلول اللفظ ببداية اليوم المقترنة بظهور الهلال. ويؤيد هذا الاتجاه ما ورد في المصباح المنير من أن العرب كانوا يؤرخون بالليالي؛ لأن الليل عندهم كان سابقًا للنهار، ولأنهم لم يكونوا يحسنون الكتابة والحساب، فاعتمدوا على ظهور الهلال في تحديد بدايات الشهور، ولما كان ظهوره يقع ليلًا جعلوا منه مبدأً للتأريخ (عاصم، 1991م، ص. 8).

وقد كان لهذا التصور أثرٌ في دفع قسطنطين زريق إلى القول بعدم أصالة مصطلح "التاريخ" في اللغة العربية، إذ رأى أن هذا المصطلح قد جاء إليها من الفكر الغربي (زريق، د.ت، ص. 15). وفي مسارٍ آخر، ذهب بعض الباحثين حيث أن لفظ "تاريخ" العربي مشتق من اللغة العبرية، من لفظ «ياريخ» الذي يعني القمر، أو من «يرخ» الذي يشير إلى الشهر، غير أن هذا الرأي رفضه فرانز روزنتال، على النحو الذي أشار إليه السيد عبد العزيز سالم (روزنتال، 1963م، ص. 21؛ سالم، 1981م، ص. 17).

وذهب اتجاه آخر إلى أن لفظه التاريخ لا تمتلك أصلًا واضحًا ومستقرًا في اللغة العربية، ورأى أصحاب هذا الاتجاه أنها قد تكون اقتباسًا محوّرًا من كلمتين يونانيتين هما "إرخايوس" و"أرخي" اللتان ترتبطان بمعنيي القِدم والبداية (قاسم، 2009م، ص. 5). ومهما تعددت هذه الآراء واختلفت في تحديد الأصل الاشتقاقي للمصطلح، فإن استعراض جميع الفرضيات التي تناولت هذه المسألة يطيل البحث دون أن يقود بالضرورة إلى نتيجة حاسمة، وقد يُفهم من تعدد الآراء حول منشأ واشتقاق لفظ "تاريخ" أن ذلك لا يستلزم، بالضرورة، نفي أصالته في العربية؛ فقد شهدت العربية تعدد اللهجات وتباين الاستعمالات بين القبائل، وميّز علماء اللغة بين لغة تميم وقيس وغيرهما. فإذا كان اللفظ معرّبًا بصورة مباشرة، لكان من المنتظر أن يكون له أصلٌ معيّن في اللغة التي نُقل عنها. غير أن كلمة "تاريخ" لا نجدها، فيما وصل إلينا، في الشعر الجاهلي، كما لا ترد بهذا اللفظ في القرآن الكريم ولا في الحديث النبوي الصحيح.، ومن خلال هذه الآراء يمكن الوقوف على عدد من المسائل التي تساعد في فهم الإشكال المتعلق بأصل المصطلح ودلالته. فأولًا، يمكن القول إن جانبًا من عدم استقرار مفهوم «التاريخ» ارتبط بما قدمته القواميس والمعاجم العربية من محاولات لتأصيل اللفظ وتحديد معناه؛ إذ اعتمد أصحابها على اللسان العربي المتداول في البيئة العربية وما تراكم فيه من مؤثرات ثقافية ولغوية. ومن ثم فإن الرجوع إلى السياق العربي العام، ولا سيما إلى الدلالات المرتبطة بالزمن والأحداث في القرآن الكريم، يمثل مدخلًا مهمًا لفهم الإطار الدلالي للمفهوم.

وثانيًا، أسهم انفتاح اللغة العربية على الثقافات واللغات الأخرى كاليونانية والفارسية والعبرية، في ازدهار الحياة الفكرية والثقافية الإسلامية وإدخال مصطلحات ومفاهيم جديدة إليها، إلا أن هذا التفاعل اللغوي والثقافي أدى، في بعض الحالات، إلى تداخل الدلالات واضطراب المفاهيم، ولا سيما في المصطلحات الفكرية والحضارية، وثالثًا على الرغم من سعة اللغة العربية وتميزها بقدرتها على الاشتقاق والتوليد واستيعاب المفاهيم الجديدة، فإن احتكاكها المستمر باللغات والثقافات الأخرى أدى إلى دخول عدد من الألفاظ إليها واستقرار بعضها في الاستعمال العربي، الأمر الذي جعل التمييز بين الألفاظ الأصيلة والدخيلة يحتاج إلى دراسة لغوية وتاريخية دقيقة.

ومع ذلك، فإن الجمع بين هذه التوجهات المتنوعة في تفسير نشأة لفظ "التاريخ" ودلالته ينحصر في التركيز على صلته بمعنى الوقت والزمن؛ إذ يُنظر إلى الزمن بوصفه الحيز الذي تتحرك داخله حياة الإنسان، وتتتابع فيه الأحداث، ومن خلاله تكتسب الوقائع نظامها وتسلسلها.

فالإنسان مرتبط بالزمن ارتباطًا وثيق لا ينفصل عن وجوده، إذ تتكون حياته من سنين وأيام متعاقبة، وكل يوم ينقضي يمثل جزءًا من عمره ووجوده. فقد ذكر الحسن البصري عن هذه الحقيقة بقوله: " يا ابن آدم: إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك" (الحسن البصري، د.ت، ص167). ومن خلال هذا القول يكشف عن عمق الصلة بين الإنسان والزمن، فالزمن ليس مجرد إطار تجري فيه حياة الإنسان بل يمثل عنصرًا مهماً وأساسيًا في وجوده ومسيرته.

ويمكن القول أن التاريخ بوصفه حصيلة من خلال تفاعل الإنسان مع الزمن من خلال أفعاله وأحداثه ومنجزاته الحضارية، وليس مجرد تسجيل للوقائع الماضية. فالإنسان هو الفاعل في الحدث التاريخي، والزمن هو المجال الذي يتحقق فيه هذا الفعل، ومن ثم تتضح قيمة التاريخ بالنسبة إلى الإنسان، كما تتضح قيمة الإنسان بالنسبة إلى الفعل التاريخي والحضاري، إذ لا يكتسب التاريخ معناه إلا من خلال الإنسان، ولا يمكن فهم حركة الإنسان الحضارية بمعزل عن الزمن الذي تجري فيه تلك الحركة.

أولًا: تطوّر مفهوم التاريخ في الفكر الأوروبي:

لم يقتصر الجدل حول مفهوم التاريخ على الفكر العربي والإسلامي، بل امتد إلى الفكر الأوروبي الذي شهد تحولات متتابعة في النظر إلى التاريخ، من حيث موضوعاته ووظيفته ومنهجه. فقد ذكر عبد الرزاق قسوم مسار مفهوم التاريخ في الفكر الأوروبي، منذ نشأته وتطوره، وصولًا إلى المرحلة المعاصرة، محاولًا الكشف عن التحولات التي طرأت على دلالته ومناهج دراسته (قسوم، 1426ه/2005م، ص 15–33). وفي مطلع ستينيات القرن العشرين، طرح إدوارد (Hallett Carr) سؤالًا مركزيًا حول ماهية التاريخ وطبيعته، وذلك في سياق التحولات الفكرية والمنهجية التي أعقبت الحربين العالميتين الأولى والثانية. وقد أسهمت هذه التحولات في إعادة النظر في طبيعة المعرفة الحضارية للتاريخ وحدود الموضوعية فيها، ثم اتجه الباحثون من بعده إلى مساءلة التخصصات والفروع المتعددة التي أخذت تتشكل داخل علم التاريخ. وأصبحت دراسة الماضي

في جانب من الفكر التاريخي الغربي مرتبطة بمحاولة فهم الأحداث السابقة والاستفادة منها في معالجة قضايا الجماعة في حاضرها واستشراف مستقبلها (ريتشارد، 2006م، ص. 12).

وقد ارتبط هذا الاتجاه، في بعض تطبيقاته، بتوظيف المعرفة التاريخية لخدمة المصالح الفكرية والسياسية للمجتمعات الغربية؛ إذ جرى التركيز على قيم فردية، مثل المنافسة، وإبراز نماذج حضارية من التاريخ القديم، ولا سيما النموذج الروماني، فضلًا عن توظيف بعض القراءات التاريخية في تبرير الاستعمار والتوسع والغزو تحت شعارات نشر الديمقراطية والقيم الحضارية. وفي السياق نفسه، اختزلت الماركسية حركة التاريخ البشري في إطار الصراع الطبقي المرتبط بوسائل الإنتاج، بينما ذهب "رانكه" إلى أن وظيفه ومهمة المؤرخ تتمثل في عرض الأحداث كما وقعت، مؤكدًا أهمية الوثيقة والوقائع في بناء المعرفة التاريخية وتعد من المصدر المهمة في كتابة التاريخ. أما "كروتش"، فقد نظر إلى المعرفة التاريخية باعتبارها نشاطًا ذهنيًا، وانتهى إلى مقولته المعروفة بأن "كل التاريخ هو تاريخ معاصر" بمعنى أن المؤرخ لا يستحضر الماضي بمعزل عن أسئلة عصره واهتماماته. ثم جاء "كولنجوود" ليعيد صياغة بعض أفكار كروتشه والفلاسفة المثاليين، مؤكدًا أهمية إعادة بناء التفكير الذي كان وراء الأحداث التاريخية بدل الاقتصار على وصفها الخارجي. وفي اتجاه آخر، رأى "أوزفالد " أن الحضارات تمر بدورات شبيهة بدورة حياة الكائن الحي، وأن الحضارة الغربية تتجه نحو مرحلة الاضمحلال والانهيار. ثم جاء "أرنولد توينبي" ليقدم تصورًا أكثر ارتباطًا بفكرة السنن والقوانين التي تحكم نشأة وتطور الحضارات وانهيارها. ومن خلال كتابه دراسة التاريخ، الكشف عن أوجه التشابه والتكرار في مسار الظاهرة الحضارية، وذكر أن واحدًا وعشرين نموذجًا حضاريًا مرت بمراحل متقاربة من النمو ثم التدهور والانحلال، وصولًا إلى تكوين الدولة العالمية في المرحلة النهائية من مسارها. واعتمد توينبي في ذلك على المنهج الاستقرائي، من خلال دراسة الجزئيات والوقائع التاريخية للوصول إلى نتائج كلية تساعد على تفسير نشأة الحضارات ومسارات تطورها وانهيارها (توينبي، 2011م، ص. 3–20). وعلى الرغم من أهمية هذا التصور في محاولة الكشف عن القوانين والسنن التي تحكم حركة الحضارات، فإنه ظل، في جانب منه، متأثرًا بالنظرة البراغماتية التي تجعل قراءة التاريخ مرتبطة بحاجات الحاضر وتطلعات المستقبل. ويختلف هذا المنظور عن الوظيفة التي يضطلع بها القصص التاريخي في القرآن الكريم؛ إذ لا يقتصر عرض الأحداث الماضية على سردها، وإنما

يتجه إلى الاعتبار بها، والكشف عن السنن التي تحكم حركة المجتمعات، بما يساعد الإنسان على تجنب الأخطاء التي وقع فيها السابقون، والإفادة من التجربة التاريخية في بناء الحاضر والمستقبل على أسس أكثر وعيًا ورشدًا.

ثانيًا: مفهوم التاريخ بين الأصل اليوناني والأصالة العربية:

فقد ذكر عاصم الدسوقي إلى أن لفظ "التاريخ" يرتبط في أصله باللفظ اليوناني (Historia) الذي يدل على المشاهدة والبحث والتقصي (الدسوقي، 1991م، ج1، ص. 8). غير أن هذا التفسير، وإن كان يربط المصطلح العربي بأصل يوناني، يحتاج إلى التمييز بين أصل اللفظ وبين تطور الممارسة التاريخية ومنهج الكتابة التاريخية؛ إذ لا يلزم من وجود تشابه أو صلة لغوية أن تكون التجربة التاريخية العربية قد نشأت بالضرورة من التأثير اليوناني. وقد بالغ الدسوقي، في سياق حديثه عن هيرودوت، في إبراز مكانته بوصفه من أوائل من نقلوا الكتابة التاريخية من نطاق القصص إلى البحث عن الحقيقة وتفسيرها؛ إذ رأى أن الكتابات السابقة له كانت تميل إلى الاقتصار على الرواية القصصية، بينما اتجه هيرودوت إلى البحث في الأخبار ومحاولة الكشف عن حقيقتها وما يترتب عليها من معانٍ، الأمر الذي جعله، في نظره، من أبرز مؤسسي الكتابة التاريخية. كما رأى أن الأسطورة أخذت تتحول على يديه إلى صورة أقرب إلى التاريخ المنظم، وأن التاريخ أصبح يتجه نحو دراسة المجتمع والوقائع بدل الاقتصار على الأساطير (الدسوقي، 1991م، ط1، ص. 8). ويرى الدسوقي كذلك أن الاختلاف بين مفهوم التاريخ في العربية واليونانية لا يقتصر على البنية اللفظية، وإنما يمتد إلى طبيعة الممارسة التاريخية وأساليب الكتابة؛ إذ يذهب إلى أن الكتابة التاريخية العربية غلب عليها المنهج السردي، في حين اتجهت الكتابة الأوروبية إلى البحث والتقصي والمشاهدة (الدسوقي، 1991م، ط1، ص. 8). غير أن هذه المقارنة تحتاج إلى قدر من التحفظ؛ لأن الكتابة التاريخية عند المسلمين لم تكن مجرد سرد للأخبار، بل عرفت أشكالًا متعددة من النقد والتحقيق والتمحيص والمقارنة بين الروايات، فضلًا عن ظهور اتجاهات منهجية متقدمة في دراسة العمران والمجتمع وأسباب نشوء الدول وسقوطها.

ثالثا: أصالة التاريخ في الفكر الإسلامي وإشكالية التأثير الخارجي:

على الرغم من الاتجاهات التي حاولت رد مفهوم التاريخ العربي إلى مؤثرات خارجية، فقد أقر عبد الله العروي بأصالة التجربة التاريخية عند علماء الإسلام، مؤكدًا أن المحاولات الرامية إلى

إثبات وجود تأثيرات يونانية أو فارسية مباشرة في نشأة التاريخ الإسلامي لم تصل إلى نتيجة مقنعة، بخلاف ما أمكن الكشف عنه في بعض المجالات الفكرية الأخرى، كالفلسفة وعلم الكلام. ويذهب العروي إلى أن التاريخ الإسلامي لم يكن مجرد نقل أو اقتباس أو استعارة من الحضارات الأخرى، بل تشكل في إطار البيئة الإسلامية وبخصوصيتها الفكرية والعلمية (العروي، 1973م، ص. 45).

ويشير العروي كذلك إلى أن لفظ «تاريخ» نفسه عربي الأصل، ويميز بينه وبين لفظ «أسطوريا» الذي استُعمل في العربية للدلالة على القصص الخيالية والأساطير التي لا تقوم على قواعد التثبت والفحص والتحقيق. ومن ثم يرى أن العرب أدركوا خصوصية معرفتهم التاريخية، وعدّوا أنفسهم أمة ذات تاريخ، في مقابل أمم أخرى كانت تمتلك، في تصورهم، روايات وحكايات لا يمكن الوصول من خلالها إلى درجة مماثلة من اليقين التاريخي (العروي، 1973م، ص. 45).

ويكتسب هذا الرأي أهمية خاصة في دراسة تطور العلوم والمعارف التاريخية في الحضارة الإسلامية؛ لأنه يميز بين الاستفادة من التراث الأجنبي وبين التبعية له في نشأة المعرفة التاريخية. فالحضارة الإسلامية استفادت من الثقافات السابقة في مجالات متعددة، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أن جميع العلوم والمناهج التي ظهرت في البيئة الإسلامية كانت منقولة عنها بصورة مباشرة، بل إن عملية الاستيعاب وإعادة البناء والتطوير أدت إلى إنتاج أنماط معرفية ذات خصائص متميزة.

رابعًا: دور المؤرخ في تدوين التاريخ بين الرواية والوثيقة:

لا يقتصر التاريخ على مجرد جمع الأحداث الماضية، وإنما يتصل كذلك بالطريقة التي يعيد بها المؤرخ بناء تلك الأحداث وتنظيمها وتفسيرها. فالتاريخ من هذه الزاوية، يمثل رواية للأحداث، وهو يشترك مع الرواية الأدبية في بعض الاحيان الانتقاء والتنظيم والتبسيط والإحاطة بفترات زمنية طويلة ضمن مساحة محدودة من الكتابة (قيين، 1993م، ص. 26). غير أن الأحداث التاريخية في أصلها وقائع بشرية حقيقية، يكون الإنسان المحور والموجه لمسارها، إلا أن عملية نقلها إلى الكتابة التاريخية تمر عبر رؤية المؤرخ وتأويله واختياراته، فضلًا عما يقدمه شهود للأحداث من روايات قد تتأثر بذاكرتهم ومواقفهم ومصالحهم. ومن هنا تظهر إشكالية الموضوعية

في الكتابة التاريخية؛ فالمؤرخ لا يتعامل مع الماضي بصورة مباشرة، وإنما يصل إليه من خلال الروايات والوثائق التاريخية والشهادات التي تحتاج إلى الفحص والنقد والمقارنة والتفسير.

وقد أثارت هذه المسألة جدلًا قديمًا في الفكر الفلسفي؛ إذ انتقد أرسطو الكتابة التاريخية بسبب انشغالها بالجزئيات والوقائع المشخصة، ورأى أن هذا التركيز قد يحول دون الوصول إلى القواعد العامة والحقائق الكلية التي يبحث عنها الفكر الفلسفي. وقد انعكس هذا الاتجاه في بعض التصورات القديمة للتاريخ، ولا سيما في الكتابات التي امتزج فيها التاريخ بالأسطورة والخرافة، كما ظهر في بعض الأعمال المنسوبة إلى هوميروس وهزيود، وفي جانب من كتابات هيرودوت. وفي التداول الغربي، ارتبطت المعرفة التاريخية بالوثائق بوصفها أدوات أساسية للوصول إلى الماضي، إلا أن السرد التاريخي لا يتوقف عند حدود الوثيقة، بل يتجاوزها إلى عملية إعادة بناء الحدث وتأويله وربط أجزائه بعضها ببعض. فالوثيقة نفسها لا تقدم الحدث في صورته المحايدة المطلقة، وإنما تمثل شهادة أو رواية تنطوي على زاوية نظر معينة؛ ولذلك فإن المؤرخ لا يكتفي بجمع الوثائق، بل يعمل على نقدها وتحليلها وربطها بسياقها التاريخي (قيين، 1993م، ص. 27). ومن هنا يمكن القول إن التاريخ يرتبط بالذاكرة ارتباطًا وثيقًا؛ فالذاكرة الفردية والجماعية تؤدي دورًا في حفظ الأحداث واستعادتها، لكنها في الوقت نفسه تتأثر بعوامل ذاتية وموضوعية قد تؤثر في صورة الحدث المنقول. ولهذا فإن الواقعة التاريخية تظل مرتبطة بسياقها الخاص، ولا يمكن افتراض تكرارها بصورة مطابقة؛ حتى إذا توافرت أسباب متشابهة، فإن اختلاف الأشخاص والظروف والبيئات يؤدي إلى اختلاف النتائج. وبذلك يتضح أن المفهوم الغربي للتاريخ مرّ بتحولات متعددة؛ من السرد القصصي إلى البحث في الوثائق، ومن الاهتمام بالوقائع الجزئية إلى محاولة اكتشاف القوانين التي تحكم حركة المجتمعات والحضارات، ثم إلى التأكيد على دور المؤرخ في إعادة بناء الماضي وتفسيره. ومع ذلك، ظل الخلاف قائمًا حول مدى إمكانية الوصول إلى تاريخ موضوعي مستقل عن المؤرخ، الأمر الذي جعل مفهوم التاريخ في الفكر الغربي يرتبط بصورة وثيقة بمشكلة الوثيقة والذاكرة والتفسير، وبالعلاقة بين الماضي وأسئلة الحاضر.

المنهج المعرفي ونشأة التاريخ عند المسلمين:

يتميز العلم بموضوعه ومنهجه، فإذا تحدد موضوعه وضُبط منهجه، أمكن له أن يستقل بوصفه مجالًا معرفيًّا قائمًا بذاته. وقد ارتبطت العلوم عند المسلمين بقاعدة منهجية موجزة في ألفاظها،

عميقة في دلالاتها، قوامها: "إذا كنتَ ناقلًا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل" (البوطي، 1997م، ص–45). وتكشف هذه القاعدة عن أساس مهم في بناء المعرفة، يقوم على التمييز بين الخبر المنقول الذي يتطلب التثبت من صحته ونسبته إلى مصدره، وبين الدعوى التي تستلزم إقامة الدليل والبرهان عليها. وانطلاقًا من ذلك، يمكن التمييز بين العلوم الخبرية التي يكون مدار البحث فيها والتحقق من صحة الأخبار ونسبتها ومن أمثلتها "السيرة ، ومصطلح الحديث، والجرح والتعديل، وتراجم الرجال" ومن بين العلوم التي تقوم على الدعوى والاستدلال، ويتجه البحث فيها إلى بناء الأدلة العلمية الكفيلة بإثبات صحة النتائج التي يتوصل إليها. وتندرج ضمن هذا المجال علوم متعددة، منها العلوم المجردة كالرياضيات والمنطق، والعلوم المادية التجريبية، والعلوم الحقوقية والمدنية (البوطي، 1997م، ص34–45). وقد ارتبط نشوء المعرفة التاريخية عند المسلمين بهذا التصور المنهجي؛ فمع اتساع نطاق الدعوة الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وجد المسلمون أنفسهم أمام مجتمع جديد ينتظم في إطار أمة واحدة ذات عقيدة وشريعة ونظام، وتتجه رسالتها نحو العالمية، وكان الرسول الاكرم محمد(صلى الله علية وال وسلم) القدوة الحسنه والأسوة التي تجسدت فيها مبادئ هذه الأمة. ومن هنا ظهرت الحاجة إلى معرفة سيرته ومسيرته، والوقوف على أقواله وأفعاله التي أسهمت بشكل مباشر في بناء المجتمع الإسلامي، فبرزت العناية بجمع الأخبار وتدوين السيرة النبوية.

ولم تكن هذه العناية مجرد استجابة لحاجة معرفية، وإنما ارتبطت بالعقيدة والهوية الدينية والحاجة إلى الاقتداء بالنبي الاكرم(صلى الله علية وال وسلم)فضلًا عن طبيعة الدعوة الإسلامية التي اتسمت بالعالمية. كما اقتضى اتساع الدولة الإسلامية ودخول المسلمين في علاقات مع أمم ودول ذات تاريخ طويل أن يمتلكوا معرفة بتاريخ تلك الأمم وأحوالها، وأن يدركوا تاريخ العرب وأيامهم وأنسابهم، لما لذلك من أهمية في توحيد القبائل والتعامل مع الشعوب والدول المجاورة ودعوتها إلى الإسلام. وقد كان جمع أخبار السيرة والسنة والتحقق من صحتها مرتبطًا كذلك بمحاولة الكشف عن الصلة بين الجانب النظري الرباني الذي تمثله العقيدة والشريعة، والجانب العملي الذي تجسد في الفعل الإنساني داخل المجال التاريخي. فالسيرة النبوية تقدم نموذجًا لتطبيق المبادئ الدينية في واقع الحياة، وتكشف عن كيفية تحول العقيدة والقيم إلى ممارسات في مجالات السلوك والمعاملة وبناء المجتمع. ومن هنا اكتسبت المعرفة التاريخية وظيفة تتجاوز حفظ الوقائع إلى فهم

التجربة الإنسانية في ضوء المبادئ التي وجهتها. وتجلت أهمية الوعي التاريخي كذلك في اعتماد المسلمين تقويمًا خاصًا بهم؛ فقد أدرك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) أهمية ضبط الزمن عندما وردت إليه مراسلات مؤرخة وفق تقاويم الدول والإمبراطوريات المجاورة، فجُعلت الهجرة النبوية أساسًا للتقويم الإسلامي. ولم يكن هذا الإجراء مجرد وسيلة لتنظيم الحساب الزمني، بل عبّر عن استقلال الأمة الإسلامية في نظامها الزمني، وعن وعيها بخصوصيتها الحضارية في مقابل النظم المعتمدة لدى الأمم الأخرى.

كما ارتبط الاهتمام بالتاريخ بمعرفة أخبار العرب وأيامهم وأنسابهم، ومعرفة تاريخ الدول والإمبراطوريات المجاورة ، فضلًا عن أهمية الشعر الجاهلي واللغة العربية في فهم النصوص الدينية وتفسير ألفاظها ودلالاتها، وهو ما يظهر في أسئلة نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وما ارتبط بها من استشهاد بلغة العرب وشعرهم (السامرائي، 1968م). ومع تطور الفكر التاريخي الإسلامي، لم يبق التاريخ في حدود جمع الأخبار وسرد الوقائع، وإنما اتجه بعض العلماء إلى البحث في أسباب الأحداث والقوانين والسنن التي تحكم حركة المجتمعات. وبلغ هذا الاتجاه درجة واضحة عند ابن خلدون، الذي ميز بين ظاهر التاريخ وباطنه؛ فظاهر التاريخ يتمثل في أخبار الحوادث والوقائع، أما باطنه فيتصل بالنظر في أسبابها والسنن التي تنتظم حركة العمران البشري. وبهذا انتقل التاريخ من مجرد تسجيل الماضي إلى محاولة فهمه وتفسيره والكشف عن القواعد التي تحكم تطور المجتمعات والحضارات.

مكانة التاريخ وإشكالاته في النظام المعرفي الإسلامي:

على الرغم من اتساع الممارسة التاريخية عند المسلمين وتنوع موضوعاتها، فإن تصنيف العلوم عند الفلاسفة والعلماء لم يمنح التاريخ دائمًا المكانة التي تتناسب مع دوره الفعلي في النشاط العلمي والنظام المعرفي الإسلامي، وهو ما أدى إلى وجود فجوة بين الإنتاج التاريخي الواسع من جهة، والتنظير لعلم التاريخ وتحديد موضوعه ومنهجه من جهة أخرى (أومليل، 1985م، ص 57–58). فقد سعى المؤرخ ابن خلدون إلى تجاوز هذا القصور في تصنيف التاريخ، عندما أخرجه من دائرة السرد التقليدي وألحقه بالعلوم الفلسفية، مؤكدًا أنه "أصيل في الحكمة عريق" وكان يُعد من علومها (ابن خلدون، 1348ه/1930م، ص. 3). وبذلك أعاد تعريف وظيفة المؤرخ، فلم يعد دوره مقتصرًا على نقل الأخبار وترتيبها، وإنما أصبح مطالبًا بالنظر في أسبابها، وتحليل العلاقات

التي تربط بينها، والكشف عن السنن والقوانين التي تحكم حركة العمران البشري والتاريخ والحضارة. ومن هذا المنطلق، فإن التاريخ الإسلامي لا يمكن اختزاله في مجموعة من الوقائع المتعاقبة، وإنما يمثل نظامًا معرفيًّا يرتبط بالإنسان والزمن والمجتمع والعمران. كما أن دراسة تاريخ المسلمين تواجه مجموعة من الإشكالات التي تداخلت أسبابها، من أبرزها إشكالية المنهج، وإشكالية المصطلحات والمفاهيم، وإشكالية التحقيب وتقسيم العصور التاريخية. وقد ازدادت هذه الإشكالات مع حضور المفاهيم والمناهج الأوروبية في الدراسات التاريخية الحديثة، والتي امتدت جذورها الفكرية إلى التصورات اليونانية، ثم تطورت عبر مراحل الفكر الأوروبي المختلفة. ومن ثم، فإن إعادة دراسة التاريخ الإسلامي تقتضي عدم الاكتفاء بسرد الأحداث أو اعتماد التقسيمات الزمنية الجاهزة، بل تستلزم فحص المفاهيم والمناهج التي استُخدمت في تفسير تلك الأحداث، وتمييز العناصر التي نشأت داخل البيئة الإسلامية عن العناصر التي دخلت إليها نتيجة التفاعل مع الثقافات الأخرى. ويكتسب هذا الأمر أهمية خاصة في دراسة العلوم والمعارف في الحضارة الإسلامية؛ لأن فهم تطورها لا يتحقق بصورة دقيقة إلا من خلال إدراك طبيعة النظام المعرفي الذي نشأت داخله، والظروف الفكرية والحضارية التي أسهمت في تشكيله.

نشأة التدوين التاريخي وتطوّر الكتابة التاريخية عند المسلمين

يمتد التاريخ الإسلامي عبر أربعة عشر قرنًا تقريبًا، وتبدأ جذوره مع البعثة المحمدية وظهور الدعوة الإسلامية، التي مرت بمرحلة الدعوة السرية ثم انتقلت إلى الجهر بها. وتمثل هجرة الرسول محمد ﷺ إلى المدينة المنورة نقطة تحول أساسية في مسار التاريخ الإسلامي؛ إذ نشأت فيها أول جماعة إسلامية مستقرة، التي غدت النواة الأولى للدولة الإسلامية. وقد اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب(ر ض)من الهجرة النبوية أساسًا للتقويم الإسلامي، لما تمثله من تحول تاريخي بارز في مسيرة الأمة.

ولم يبدأ المسلمون بتدوين أحداث تاريخهم تدوينًا منهجيًا منذ المرحلة الأولى، وإنما تبلورت حركة التدوين التاريخي بصورة أوضح ابتداءً من القرن الثاني الهجري. غير أن غياب التدوين المنظم لا يعني غياب الوعي بالماضي؛ فقد عرفت البيئة العربية قبل الإسلام صورًا متعددة من الاهتمام بالأخبار والوقائع، ولا سيما أخبار الحروب والمنازعات بين القبائل، التي عُرفت ب«أيام

العرب»، فضلًا عن روايات سير الأبطال والعناية بالأنساب. وقد وفرت هذه التقاليد الشفوية مادة أولية أسهمت لاحقًا في نشوء الكتابة التاريخية الإسلامية.

واتصلت نشأة الدراسة التاريخية عند المسلمين، في مراحلها الأولى، بنشأة العلوم المرتبطة بالعقيدة والدين، وفي مقدمتها علم التفسير وعلوم الحديث. فقد دعت الحاجة إلى التعرف على الأعلام والأماكن والأحداث التي ورد ذكرها في النصوص الدينية، كما برزت ضرورة جمع أخبار السيرة النبوية وتدوين المغازي والفتوح، ثم توثيق أخبار الصحابة والتابعين. وأدى الاهتمام بصحة الرواية إلى نشوء الدراسة النقدية للرواة، فظهرت كتب الطبقات والسير والأنساب والتراجم، ثم اتسعت دائرة التأليف التاريخي لتشمل التاريخ الإسلامي العام، وعلاقات المسلمين بالدول والأمم المجاورة التي اتصلوا بها نتيجة الفتوحات والتوسع السياسي والحضاري.

ونتج عن هذا التطور تنوع واضح في المصنفات التاريخية؛ فظهرت كتب الأنساب، ومن أقدم ما نُسب إليها مصنفات هشام بن محمد الكلبي، وكتب السيرة النبوية والمغازي، ومن أشهر نماذجها سيرة ابن هشام وكتاب المغازي للواقدي، ثم كتب الطبقات التي تناولت طبقات الصحابة والتابعين والمحدثين والفقهاء وغيرهم، ومن أبرزها الطبقات الكبرى لابن سعد. كما ظهرت كتب التراجم والتواريخ الخاصة بالمدن، ومن أشهرها تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، إلى جانب كتب التاريخ الإسلامي العام، وفي مقدمتها تاريخ الرسل والملوك للطبري.

واتجه المؤرخون كذلك إلى التأليف في التاريخ الخاص بالبلدان والأقاليم والأحداث، ومن أمثلته ما أُلّف في فتوح الشام ومصر والمغرب وتاريخ مكة ودمشق، فضلًا عن ظهور المعاجم التاريخية وكتب التراجم الجامعة، ومن نماذجها الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر. ويكشف هذا التنوع في المصنفات عن اتساع دائرة المعرفة التاريخية عند المسلمين، وانتقالها من حفظ الأخبار والروايات إلى بناء أنماط متعددة من التأليف تتناسب مع اختلاف الموضوعات والأغراض العلمية.

تطوّر المنهج التاريخي والتحقيب الزمني في التاريخ الإسلامي

تكشف هذه المؤلفات عن اتجاهين بارزين في دراسة التاريخ عند المسلمين؛ يتمثل الأول في الاهتمام بالوقائع بوصفها أحداثًا منفردة ذات قيمة في ذاتها، بينما يتجاوز الاتجاه الثاني حدود

الحدث المفرد إلى البحث في الأسباب والسنن والقوانين التي تقف وراء وقوعه. ووفق هذا الاتجاه، لا تكون الحادثة التاريخية مهمة لمجرد وقوعها، وإنما لما يمكن أن تكشف عنه من قواعد عامة تحكم حركة الإنسان والمجتمع. ويشبه ذلك من حيث المنهج ما يقوم به الباحث في العلوم الطبيعية حين لا يكتفي بملاحظة الظاهرة، وإنما يتخذ منها سبيلًا للكشف عن القانون الذي يفسرها.

وقد أسهم شيوع المنهج الاستقرائي في الفكر الإسلامي في ترسيخ هذا الاتجاه؛ إذ امتد استعماله من دراسة الظواهر الجزئية إلى محاولة فهم الظاهرة الإنسانية والتاريخية بصورة عامة. ومن هنا برز التساؤل حول طبيعة الحادثة التاريخية: هل هي واقعة فريدة لا يمكن أن تتكرر، أم أنها تخضع لأنماط وسنن يمكن أن تتكرر صورها في ظروف مختلفة وإذا كانت الظواهر التاريخية قابلة للتكرار من حيث القوانين والسنن التي تحكمها، فإن أهمية الحدث لا تكمن في ذاته فحسب، وإنما في كونه وسيلة للكشف عن القواعد التي تنتظم حركة التاريخ، وقد بلغ هذا المنهج درجة أكثر نضجًا عند ابن خلدون، الذي استفاد من جهود من سبقه، وعمل على بناء رؤية تاريخية تجمع بين التثبت من الأخبار وتفسيرها. فالحادثة التاريخية لا تُدرس بصورة صحيحة إلا بالاعتماد على مصادرها المختلفة، من وثائق وشهادات وروايات وآثار، ثم إخضاع هذه المادة للفحص والنقد، والتحقق من صحتها من خلال النظر في مصادرها ومضامينها، قبل ترتيب الأحداث وربطها بسياقها الزمني. وبعد ذلك تأتي مرحلة التفسير، التي تتجه إلى الكشف عن الأسباب والسنن التي تقف وراء الأحداث، وتفسير العلاقات التي تربط بينها.

وقد جرى تقسيم التاريخ الإسلامي، وفق بعض التصنيفات الزمنية، إلى مراحل كبرى، لكل مرحلة خصائصها السياسية والحضارية؛ فتبدأ المرحلة الأولى بالعصر الإسلامي الأول، الذي يشمل السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين، ثم يأتي العصر الأموي، الذي ارتبط بتاريخ الدولة الأموية في دمشق. ويليه العصر العباسي، الذي امتد حتى سقوط بغداد على يد المغول، وقُسّم بدوره إلى مراحل متعددة بحسب التحولات السياسية التي شهدتها الدولة العباسية. وإلى جانب ذلك، نشأت خلال هذه العصور دول وإمارات إسلامية إقليمية متعددة في المشرق والمغرب والأندلس ومصر، وهو ما جعل التاريخ الإسلامي تاريخًا متشعبًا لا يمكن اختزاله في تاريخ الخلافة المركزية وحدها.

ثم جاءت المرحلة التي أعقبت سقوط بغداد، وشهدت قيام دول وسلالات إسلامية متعددة في المشرق والمغرب ومصر، فضلًا عن استمرار الخلافة العباسية في القاهرة فترة من الزمن. وشملت هذه المرحلة دولًا وسلالات متباينة، من أبرزها المماليك في مصر والشام، والمرينيون والحفصيون والوطاسيون في بلاد المغرب

وتلت ذلك المرحلة العثمانية، التي شهدت انتقال مركز الثقل السياسي الإسلامي إلى الدولة العثمانية، واتساع نفوذها في المشرق العربي وأجزاء واسعة من أوروبا، بالتزامن مع ظهور قوى إسلامية وإقليمية أخرى، وفي مقدمتها الدولة الصفوية والإمبراطورية المغولية في الهند، فضلًا عن عدد من الدول والإمارات في شمال أفريقيا.

أما العصر الحديث، فيرتبط، وفق هذا التقسيم، بنهاية القرن الثامن عشر وما تلاه من تحولات سياسية وحضارية، وصولًا إلى الحرب العالمية الثانية. وتميزت هذه المرحلة بتراجع النفوذ العثماني، وتصاعد التدخل الاستعماري الأوروبي في البلاد الإسلامية في أفريقيا وآسيا، ثم ظهور حركات المقاومة والتحرر الوطني التي أسهمت في قيام دول إسلامية مستقلة، ومن أبرزها إندونيسيا وباكستان (عطية، 1963م، ص422_426).

ويكشف هذا التحقيق عن أن التاريخ الإسلامي لم يكن مسارًا سياسيًا واحدًا متصلًا، وإنما شكل مراحل متعددة تداخلت فيها التحولات السياسية والفكرية والحضارية. ولذلك فإن دراسة كل مرحلة ينبغي أن تراعي خصوصيتها التاريخية، وأن تتجاوز مجرد التقسيم الزمني إلى دراسة طبيعة التحولات التي أسهمت في انتقال المجتمع الإسلامي من مرحلة إلى أخرى.

ابن خلدون وتأسيس المنظور السنني للتاريخ:

أدرك ابن خلدون أن فهم الظاهرة الحضارية لا يتحقق بمعزل عن فهم السنن والقوانين التي تحكم العمران البشري، وأن معرفة هذه السنن يرتبط بدراسة نظام الملك وآليات قيام الدول وتحولها، فضلًا عن فهم السنن الكونية التي تمثل إطارًا مشتركًا للتجربة البشرية . ومن ثم فإن مشروع ابن خلدون الفكري لا يمكن فهمه بصورة مكتملة إلا بالنظر في امتداداته الفكرية السابقة واللاحقة؛ فقد تأثر بما سبقه من جهود المسعودي وأبي حامد الغزالي والأشاعرة عمومًا، كما امتد أثره إلى عدد كبير من المؤرخين و المفكرين الذين جاءوا بعده، ومنهم ابن الأزرق الأندلسي، ومحمد الحسني

الإدريسي العمراني، ومحمد بن محمد العلاف السقياني، وغيرهم، ولا سيما أبو القاسم بن رضوان في كتابه الشهب اللامعة في السياسة النافعة، وقد أثار ابن الأزرق عددًا من الملاحظات النقدية بشأن ابن خلدون، ومن بينها التشكيك في مدى أصالته في بعض الآراء والنظريات التي نسبها إلى نفسه، مثل نظرية العصبية ونظرية الدورات التاريخية، ورأى أن بعض هذه الأفكار لها جذور عند من سبقه. كما أشار إلى مسألة عدم الإفصاح بصورة كافية عن بعض المصادر التي استفاد منها ابن خلدون (ابن الأزرق، 1429ه/2008م، ص. 21–41). وعلى الرغم من هذه الملاحظات، وعلى الرغم من الجدل حول مدى وعي ابن خلدون بمصادر بعض أصول منهجه الاستقرائي التاريخي، فإنه ظل يمثل محطة أساسية في تطور التفكير التاريخي، لما قدمه من محاولة منهجية للانتقال بالتاريخ من مجرد نقل الأخبار إلى تفسير الظواهر والكشف عن السنن التي تحكم حركة المجتمع والعمران.

وقد عبّر ابن خلدون عن تصوره للتاريخ بصورة واضحة، حين ميز بين ظاهره وباطنه؛ فظاهر التاريخ، عنده، يتمثل في نقل أخبار الأيام والدول والقرون الماضية، وما ارتبط بها من تغير الأحوال واتساع الدول وعمران الأرض ثم انتقالها إلى الضعف والزوال. أما باطنه فيقوم على «النظر والتحقيق والتعليل» والبحث في مبادئ الوقائع وأسبابها وكيفيات حدوثها، ولذلك عدّه علمًا أصيلًا في الحكمة وجديرًا بأن يُلحق بعلومها (ابن خلدون، 1930م، ص. 2–3).

ومن خلال هذا التمييز يتضح أن ابن خلدون أقام تصورًا ثنائيًا للتاريخ أولهما تاريخ ظاهري يقوم على رواية الأحداث وتسجيلها، وثانيهما تاريخ باطني يتجاوز الرواية إلى تفسيرها وتعليلها والكشف عن العلاقات والقوانين التي تنظمها. وبذلك لم يعد التاريخ مجرد فن من فنون السرد، بل أصبح مجالًا علمياً ومعرفيًّا يتقاطع مع النظر العقلي والفلسفي في تفسير حركة الإنسان والمجتمع.

مفهوم التاريخ بين الرواية والتفسير:

كان الشعر عند العرب من الوسائل المهمة والضرورية لحفظ الأخبار والأيام وتناقلها، ثم تطورت الكتابة التاريخية وانتقلت تدريجيًا من الرواية الشفوية والشعر إلى التدوين النثري. وأسهم عدد من المؤرخين في ترسيخ التدوين ووسيلة للكتابة التاريخية، ومنهم البيروني الذي غلب النثر على معظم مؤلفاته التاريخية. ومع ذلك، ظل التاريخ في بعض التصورات يُعد من الفنون الأدبية التي

تشترك مع الشعر والأغاني في رواية أخبار الأيام، وهو ما يتصل بما سماه ابن خلدون "ظاهر التاريخ" أي الجانب الذي يقوم على نقل الوقائع وتدوينها.

أما الجانب الباطني من التاريخ، فيتجاوز حدود الرواية إلى تحليل الأحداث وتفسيرها وربطها بأحوال العمران البشري، ثم محاولة استنباط القوانين والسنن التي تتحكم في حركتها. وعلى هذا الأساس أصبح التاريخ يقوم على مستويين متكاملين: مستوى ظاهري يتمثل في نقل الحادثة وتحديد زمانها ومكانها وأطرافها، ومستوى باطني ينصرف إلى البحث في أسبابها ونتائجها والسنن العامة التي يمكن الكشف عنها من خلالها.

وقد أدى هذا التمييز إلى ظهور ازدواج في مفهوم كلمة «التاريخ»؛ فهي قد تشير إلى مادة التاريخ المتمثلة في الأحداث والوقائع، وقد تشير في الوقت نفسه إلى طريقة التعامل مع هذه المادة من حيث جمعها ونقدها وتحليلها وتفسيرها. وقد أشار علي شريعتي إلى هذه الإشكالية، مبينًا أن لفظ التاريخ قد يحمل مفهومين متمايزين، أحدهما يتعلق بموضوع التاريخ، والآخر بعلم التاريخ أو الطريقة التي يتم بها التعامل مع مادته، وهو ما أدى إلى اشتراك المفهومين في لفظ واحد (شريعتي، 1990م، ط1، ص. 10).

ومن أجل تجاوز هذا الازدواج، أصبح من الضروري التمييز بين التاريخ بوصفه موضوعًا، والتاريخ بوصفه علمًا أو منهجًا في دراسة ذلك الموضوع. وفي هذا السياق يمكن فهم بعض تعريفات المؤرخين القدامى للتاريخ، ومن أبرزها تعريف السخاوي الذي جعله علمًا يتصل بتعيين الأزمنة وضبط الوقائع والأحوال، ويشمل أخبار الأشخاص والأمم والحوادث الكبرى وما يرتبط بها من تغيرات سياسية واجتماعية وطبيعية. ويخلص السخاوي إلى أن التاريخ فن يبحث في وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت، وأن موضوعه يرتبط بالإنسان والزمان والأحوال العارضة لهما (السخاوي، مصدر سابق، صص. 18–19).

ويتسع مفهوم التاريخ عند بعض الباحثين ليشمل المنجزات التي أبدعها الإنسان وأحدثت تحولًا في حياته، والتي تميزه عن الجمادات وعن الكائنات الحية الأخرى؛ فالتاريخ، وفق هذا التصور، هو دراسة حركة الإنسان ومنجزاته في المجال الاجتماعي والحضاري (عاصم الدسوقي، مرجع

سابق، ص. 9). ومن ثم يصبح الإنسان محور العملية التاريخية، لأن الأحداث التاريخية لا تنفصل عن أفعاله واختياراته وما يترتب عليها من نتائج.

ويظهر اتساع مفهوم التاريخ كذلك في مؤلفات المسعودي؛ فقد جمع في كتاباته بين أخبار الزمان ووصف الأرض ومدنها وعجائبها وبحارها، وبين أخبار الملوك والدول والأحداث التي جرت عبر السنين الماضية، مما يدل على أن اهتمام المؤرخ المسلم لم يكن محصورًا في أخبار الأشخاص والدول، وإنما امتد ليشمل البيئة الكونية والجغرافية التي تجري فيها الأحداث التاريخية (المسعودي، 1989م، ص. 3–4). ويعكس هذا التصور اتساع النظرة الإسلامية إلى الإنسان والعالم، باعتبارهما داخلين في نظام كوني شامل تتجه فيه حركة الإنسان والكون إلى غاية دينية تتمثل في معرفة الله تعالى وتوحيده.

وفي الفكر التاريخي الحديث، ذهب كروتشه إلى أن التاريخ كله تاريخ معاصر؛ لأن المؤرخ لا يستعيد الماضي بصورة منفصلة عن حاضره، وإنما ينظر إليه من خلال أسئلة عصره ومشكلاته، ولذلك لا يقتصر عمل المؤرخ على تسجيل الأحداث، بل يتضمن تقييمها واختيار ما يرى أنه جدير بالدراسة والتدوين (خليل، 2005م، ط1، ص. 7).

كما تغير مفهوم التاريخ مع اتساع الاهتمام بمفهوم «المجتمع»، فلم يعد موضوعه مقتصرًا على أخبار الملوك والبلاطات والعلاقات السياسية، بل أصبح يتجه إلى دراسة المجتمع في مختلف مكوناته وعلاقاته. ويتضح ذلك عند مالك بن نبي الذي اهتم بدراسة شروط نشأة المجتمعات، وميز بين المجتمع الطبيعي والمجتمع التاريخي؛ فالأول يمثل مجتمعًا ساكنًا تحافظ بنيته على قدر كبير من الثبات، في حين يمثل الثاني مجتمعًا متحركًا يخضع لقانون التغيير، فتتبدل بنيته وخصائصه تبعًا لتحولات الظروف والقيم.

وبذلك لم يعد التاريخ، في هذا التصور، مجرد جمع للأحداث الفريدة، وإنما أصبح دراسة لشبكة العلاقات الاجتماعية التي تحدد درجة تماسك المجتمع أو هشاشته، وما يمتلكه من رصيد قيمي وأخلاقي. ومن ثم أصبح علم التاريخ يبحث في ماضي الشعوب وحاضرها، ويتولى سرد الوقائع وتحليلها، ودراسة حياة الأفراد وأحوال الجماعات (مسعود، 1990م، ط6، ص. 350). ولذلك

تتفق معظم تعريفات التاريخ على أن موضوعه يرتبط بأحداث الماضي، وأن الإنسان والزمان يمثلان عنصرين أساسيين في تحديد مجاله (قاسم، د.ت، ط2، ص. 24).

التاريخ من النظر السببي إلى النظر السنني

يمكن التمييز، في دراسة الظاهرة التاريخية، بين مستويين من النظر؛ أولهما النظر السببي، وهو الذي يتجه إلى ملاحظة الأحداث والظواهر التاريخية والكشف عن أسبابها المباشرة والظاهرة، وبذلك يظل قريبًا من مستوى الوقائع وتفسير العلاقات التي تربط بينها. أما المستوى الثاني فهو النظر السنني، الذي يتجاوز الأسباب المباشرة إلى التأمل والتدبر في الظواهر التاريخية للكشف عن السنن والقوانين الثابتة التي تنتظم حركة المجتمعات والأحداث.

وعلى هذا الأساس، فإن النظر السببي يمثل مدخلًا لفهم ظاهر التاريخ، لأنه يبحث في أسباب الأحداث وملابساتها المباشرة، في حين يتجه النظر السنني إلى استكشاف القواعد العامة التي يمكن استخلاصها من تكرار الظواهر وتشابه نتائجها في ظروف مختلفة. ومن ثم لا يكون الحدث التاريخي غاية في ذاته، وإنما يصبح وسيلة للكشف عن السنن التي تحكم حركة الإنسان والمجتمع، كما يقوم المنظور السنني الشامل على الجمع بين هذين المستويين؛ إذ يبدأ بدراسة الأسباب والوقائع، ثم يتجاوزها إلى استنباط السنن والقواعد العامة التي تساعد على فهم حركة التاريخ. وبهذا يصبح التاريخ مجالًا للاعتبار والمعرفة، لا مجرد سجل للأحداث الماضية؛ لأن إدراك السنن التاريخية يمكن أن يساعد الإنسان على الاستفادة من تجارب السابقين، وتجنب الأخطاء التي وقعوا فيها، وتوجيه الفعل الإنساني في الحاضر نحو تحقيق الصلاح، واستشراف المستقبل بقدر أكبر من الوعي والبصيرة.

يمكن القول أنَّ فهمَ الظَّواهرِ التاريخيَّةِ والحضاريَّةِ لا يتحقَّقُ من خلالِ السَّردِ التاريخيّ وحدَه، بل يتطلَّبُ رؤيةً تكامليَّةً تستحضرُ مختلفَ العواملِ الفكريَّةِ والثقافيَّةِ والاجتماعيَّةِ التي أسهمتْ بشكل كبير في تشكيلِ التجربةِ الحضاريَّةِ للأُمّةِ. ومن هنا تبرزُ أهميَّةُ المفاهيمِ الحضاريَّةِ بوصفِها أدواتٍ ووسائل لفهمِ التحوُّلاتِ التاريخيَّةِ والكشفِ عن عناصرِ الاستمرارِ والتغيُّرِ فيها. و أنَّ الوعيَ بهذه المفاهيمِ والوسائل يساعد في ربطِ الماضي بالحاضرِ، ويكشفُ عن الكيفيَّةِ التي تحوَّلتْ بها الخبراتُ والقِيَمُ والمنجزاتُ الحضاريّةُ إلى ذاكرةٍ تاريخيَّةٍ تُسهمُ في تشكيلِ هُوِيَّةِ الأُمّةِ وتعزيزِ وعيِها بذاتِها وميراثِها الحضاريّ. وبذلكَ تصبحُ دراسةُ المفاهيمِ الحضاريَّةِ مدخلًا أساسيًّا لفهمِ

التاريخِ لا بوصفِه سجلًّا للأحداثِ فحسب، بل بوصفِه مسارًا متراكمًا أسهمَ في بناءِ الهُوِيَّةِ التاريخيَّةِ والحضاريَّةِ للأُمّةِ.

المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون، عبد الرحمن. (1930م). المقدمة. القاهرة: المطبعة الأزهرية بجوار الأزهر.

2. ابن منظور، محمد. (د.ت.). لسان العرب المحيط، المجلد الأول: من «أ» إلى «ر». إعداد وتصنيف: يوسف خياط ونديم مرعشلي. بيروت: دار لسان العرب، د.ط.

3. أومليل، علي. (1985م). الكتاب التاريخي: المنتدى لمنهجية ابن خلدون. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط3.

4. برغوث، الطيب. (1425ه/2004م). مدخل إلى سنن السيرورة الاستخلافية: قراءة في سنن التغيير الاجتماعي. الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1.

5. بن نبي، مالك. (2000م). ميلاد مجتمع. تعريب: عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر، ط3.

6. البوطي، محمد سعيد رمضان. (1997م). كبرى اليقينيات الكونية: وجود الخالق ووظيفة المخلوق. بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر.

7. توينبي، أرنولد. (2011م). مختصر دراسة التاريخ، ج1. ترجمة: فؤاد محمد شبل. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

8. جبران، مسعود. (1990م). الرائد: معجم لغوي عصري، مج1. بيروت: دار العلم للملايين.

9. خليل، عماد الدين. (1978م). التفسير الإسلامي للتاريخ. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، ط2.

10. خليل، عماد الدين. (2005م). مدخل إلى التاريخ الإسلامي. بيروت: الدار العربية للعلوم والمركز الثقافي العربي، ط1.

11. الدسوقي، عاصم. (1991م). البحث في التاريخ: قضايا المنهج والإشكالات. بيروت: دار الجيل، ط1.

12. روزنتال، فرانز. (1963م). علم التاريخ عند المسلمين. ترجمة: صالح أحمد العلي. بغداد: مكتبة المثنى.

13. ريتشارد، ج. إيفانز وآخرون. (2006م). ما التاريخ الآن؟. ترجمة: قاسم عبده قاسم. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1.

14. زريق، قسطنطين. (د.ت.). نحن والتاريخ. بيروت: دار العلم للملايين، ط1.

15. سالم، عبد العزيز. (1981م). التاريخ والمؤرخون العرب. بيروت: دار النهضة العربية، ط1.

16. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. (1986م). الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ. ترجمة: صالح أحمد العلي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1.

17. السمرائي، إبراهيم. (1968م). سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس. بغداد: دار المعارف.

18. شريعتي، علي. (1990م). الإنسان والتاريخ. ترجمة: خليل علي. طهران، إيران: دار الصحف للنشر، ط1.

19. العروي، عبد الله. (1973م). العرب والفكر التاريخي. بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر.

20. العروي، عبد الله. (2005م). مفهوم التاريخ. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، ط4.

21. عطية الله، أحمد. (1963م). القاموس الإسلامي، مج1. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ط.

22. قاسم، عبده قاسم. (د.ت.). الرؤية الحضارية للتاريخ. القاهرة: دار المعارف، ط2.

23. كيين، بول. (1993م). أزمة المعرفة التاريخية. ترجمة: إبراهيم فتحي. القاهرة: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، ط1.

24. المسعودي، علي بن الحسين. (1989م). مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1. تقديم: محمد السويدي. الجزائر: موفم للنشر.

الفصل الثاني

تطور المؤسسات الإدارية والعسكرية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

م. محسن رشك حمادي

المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الأولى - العراق

Email: mohs0834@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث تطور المؤسسات الإدارية والعسكرية في الإسلام على عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الفترة من 13 -23 هـ، وشمل التعريف بسيرة الخليفة الراشدي الثاني، وتوضيح اثر اسلامه، الذي شكل عزاً للإسلام والمسلمين، وامتاز بالعدل والزهد والشدة في الحق. وان عهده يمثل مرحلة التأسيس الحقيقية للدولة الإسلامية ونقلها الى النظام المؤسساتي. شهد ذلك العهد العديد من الإنجازات في جوانب متعددة من الحياة، لاسيما الجانبين الإداري والعسكري، اذ تميز عهده بكثرة الفتوحات، ووصلت الدولة الإسلامية الى اوج اتساعها، كما وضع الأسس الأولى للإدارة الإسلامية من خلال تأسيس الدواوين.

قسمنا هذا البحث الى ثلاثة مباحث، حمل المبحث الأول عنوان سيرة الخليفة الراشدي الثاني عمر(رضي الله عنه)، والمبحث الثاني اثر الخليفة عمر في تطور المؤسسات الإدارية والقضائية، والمبحث الثالث اثر الخليفة عمر بن الخطاب في اصلاح المؤسسة العسكرية والفتوحات الإسلامية. ابرز النتائج التي توصلنا اليها، ان التنظيمات الإدارية والعسكرية التي انشأها الخليفة عمر (رضي الله عنه) كانت اساساً قوياً لبناء دولة إسلامية مزدهرة ومستقرة، وكانت رؤيته الإدارية والعسكرية مبنية على قيم العدالة والكفاءة. وان الخليفة عمر (رضي الله عنه)، هو اول من فصل بين المؤسسة العسكرية " الجيش " المكلفة بالفتوحات الخارجية، وبين المؤسسات الأمنية الإدارية " الشرطة والعس " المكلفة بحفظ الامن الداخلي، وبذلك وضع الأسس الأولى لبناء دولة حديثة منظمة.

الكلمات المفتاحية: عمر بن الخطاب؛ المؤسسات الإدارية؛ المؤسسات العسكرية؛ القضاء؛ الفتوحات

Abstract

This research examines the development of administrative and military institutions in Islam during the reign of the Rightly Guided Caliph Umar ibn al-Khattab (may Allah be pleased with him) from 13 to 23 AH. It provides an introduction to the biography of the second Rightly Guided Caliph and highlights the impact of his conversion to Islam, which brought power and honor to Islam and Muslims. Renowned for his justice, asceticism, and steadfastness in truth, his reign marked the true foundational phase of the Islamic state, transitioning it into a structured institutional system. This era witnessed numerous achievements across various domains of life, particularly in the administrative and military spheres. His reign was characterized by extensive conquests, bringing the Islamic state to its peak expansion, while laying the groundwork for Islamic administration through the establishment of the Diwans (administrative departments).

The research is divided into three main sections:

Section One: The Biography of the Second Rightly Guided Caliph, Umar (may Allah be pleased with him).

Section Two: The Impact of Caliph Umar on the Development of Administrative and Judicial Institutions.

Section Three: The Impact of Caliph Umar ibn al-Khattab on the Reform of the Military Institution and Islamic Conquests.

The key findings demonstrate that the administrative and military organization established by Caliph Umar formed a robust foundation for a prosperous and stable Islamic state, guided by his vision rooted in justice and efficiency. Furthermore, Caliph Umar was the first to separate the military institution (the army)—tasked with external conquests—from administrative security bodies (Al-Shurta and Al-Assas), which were responsible for internal security, thereby laying the initial foundations of an organized, modern state.

Keywords: Umar ibn al-Khattab; Administrative institutions; Military institutions; Judiciary; Conquests

المقدمة:

تسلم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قيادة الدولة الإسلامية بعد وفاة الخليفة أبو بكرالصديق (رضي الله عنه)، وكان معروف بشخصيته القوية وذكائه والتزامه بالعدالة، كما كانت مساهمات عمر للإسلام والمجتمع الإسلامي عديدة، بصفته شخصية بارزة في الدولة الإسلامية المبكرة، وشارك في معارك وحملات رئيسية، ولعب دورا حيوياً في توطيد وتوسيع المجتمع الإسلامي اكسبته صفاته القيادية ، ووقوفه الى جانب نبي الرحمة محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، المكانة المهمة بين المسلمين الأوائل. واخذت الدولة الإسلامية تتوسع بفتح مناطق جديدة في العراق والشام ومصر وأجزاء من شمال افريقية وبلاد فارس ومناطق أخرى ، وبالتالي زادت وتعددت البلدان والولايات في عهده، وتطلب الامر بتنظيم هذه الولايات، إضافة الى بناء مدن جديدة لتضم المسلمين الفاتحين، إضافة لمن دخل الدين في الإسلامي من سكان البلدان المفتوحة، ونتيجة للتوسع السريع قرر انشاء نظام اداري وعسكري شامل يضمن الحكم الفعال والاستقرار. وكان نهج الخليفة عمر (رضي الله عنه) في الإدارة مبتكرا وعمليا كنتيجة

لتوسع رقعة الدولة الإسلامية، مما يعكس رؤيته للدولة المنظمة جيدا. وقد نفذ العديد من الإصلاحات التي غيرت النظم الإدارية والعسكرية في الدولة الإسلامية المتوسعة.

وقد تضمنت هذه الإصلاحات انشاء هياكل وادارات تنظيمية إدارية وعسكرية مختلفة، وصياغة سياسات تعالج احتياجات الناس الجديدة. كان احد ابرز إنجازاته انشاء نظام الديوان ، الذي كان بمثابة الهيئة الإدارية المركزية المسؤولة عن إدارة مالية الدولة والشؤون العسكرية. وتحت قيادة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تم تحويل المشهد الإداري والعسكري بنجاح وكفاءة، من خلال فصل المهام القضائية والإدارية عن بعضها البعض لتحقيق حكم فعال واحترافي، حيث تقوم الدولة بتعين قضاة لأداء المهام القضائية بشكل منفصل عن حكام المقاطعات والاقاليم، ويشرف الخليفة على القاضي . وتقسيم السلطات مفيد للإدارة القضائية ولأحكام نظام الرقابة والمحاسبة، ويعتبر هذا الاتجاه الأفضل لضمان العدالة الاجتماعية، حيث يتيح فصل السلطات للحكام والمواطنين استخدام للقوة والسلطة بشكل ملائم ومناسب. فإن مبادئ الشورى تصف هذه الأهداف بشكل افضل في السياسة الشرعية . اظهر الخليفة نجاح حكمه خلال ادارته للخلافة، وتطبيق مفاهيم ومبادئ السياسة الشرعية في بيئة معاصرة تعرف ب " الحكومة الفعالة "، قيادته كانت تقدمية، وذات مساءلة تميز أسلوبه القيادي بالتواضع، لقد عاش عمر حياة متواضعة، وغالبا ما كان يرتدي ملابس عادية وكان من السهل الوصول اليه من عامة الناس ، تميز حكمه بتوازن الحزم والرحمة، مما اكسبه احترام افراد المجتمع الإسلامي.

من اهم اهداف البحث، إبراز دور الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في تأسيس دولة مؤسسات في الإسلام بعد ان كانت الإدارة بسيطة في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وابي بكر، استدعاء نظام اداري جديد بعد اتساع الفتوحات الإسلامية وتعدد الأقاليم، التعرف على العوامل التي أدت الى تطور المؤسسات الإدارية والعسكرية، إبراز مبدأ الفصل بين السلطات وتقسيم العمل كأساس لسياسة الإدارة الرشيدة في الدولة الإسلامية.

لعل من اهم المصادر التي أسهمت في اغناء البحث بالمعلومات المهمة كتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت 218ه)، وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت 230ه)، وكتابي انساب الاشراف، وفتوح البلدان للبلاذري (ت 279ه)، وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت 310ه)،

وكتابي مروج الذهب ومعادن الجوهر، والتنبيه والاشراف للمسعودي (ت346ه)، وكتابي الكامل في التاريخ، واسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير (ت 640ه).

المبحث الأول: سيرة الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

نسبه وحياته :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل (البلاذري، 1996م، ج10، ص286؛ ابن حبان، 1991م، ج1، ص23؛ الطبري، د. ت، ج1، ص11). بن عبد العزى بن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي (ابن الاثير، 1995م، ج4، ص137). بن غالب (العمري، 1999م ، ج1، ص131). من بني عدي بن كعب ، وهم بطن صغير من قريش، وهم من أوسط قريش قوة وجاه، على انها لم تبلغ من المكانة في مكة قبل الإسلام ما بلغة بنو هاشم، وغيرها من بطون قريش، اذ لم يكن لها من الثروة مالهم، وشغل افرادها منصب السفارة، وكانت قريش تفوضهم في فض المنازعات التي تحدث بينها وبين القبائل العربية الأخرى، وكان نفيل جد عمر شريفا نبيلا تتحاكم اليه قريش، ويجتمع نسبه مع الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) بجده كعب بن لؤي (البلاذري، 1996م، ج10، ص286 و ص467 ؛ علي ، 2001م، ج9، ص249). بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، العدوي القريشي (ابن هشام، 2010م، ج1، ص298-299).

ولد في مكة المكرمة بعد عام الفيل بثلاثة عشر سنة (السيوطي، 1952م، ص89؛ ابن الاثير، 1995م، ج4، ص137). روى عن عمر (رضي الله عنه) انه قال: ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين (ابن الاثير، 1995م، ج4، ص137؛ ابن حجر العسقلاني، 1995م، ج4، ص484). وكان من اشراف قريش، واليه كانت السفارة في الجاهلية، نشأ في مكة وترعرع ببيئة وثنية في ظل والده الخطاب، وكان فظاً عليه، يكلفه بالأعمال الشاقة ويضربه ضرباً مبرحاً، وقد تأثر بالبيئة التي عاش فيها كغيره من فتيان مكة وشبابها تعلم الفروسية، والقتال حتى اضحى من ابطال قريش في الجاهلية، مهاب الشخصية مرهوب الجانب اجاد الكتابة، وتعلم القراءة ، وعرف الخطابة والمفاخرة وتذوق الشعر ورواه. وعمل راعيا للآبل وهو صغير (الطبري،

1967م، ج2 ، ص604) . وكان يرعى لوالده ولخالاته من بني مخزوم، وكان يحضر أسواق العرب مثل سوق عكاظ، وسوق المجنة، وسوق ذي المجاز، وعمل بالتجارة (الخطيب، 1990م، ص153). في شبابه حيث سافر الى الشام واليمن في رحلتي الصيف والشتاء (أبو النصر، 2005م، ص17). ربح من التجارة، واصبح من اغنياء مكة ، وكان مهيباً حازماً ومن ذوي الشدة والبأس في مكة (طقوش، 2002م، ص173-174). ويكنى بابي حفص (ابن حبان، 1997م، ج2، ص452؛ المسعودي، د. ت، ج1 ، ص250). ولقب بالفاروق (ابن قتيبة، 1992م، ج1، ص180؛ ابن حبيب، د. ت، ج1، ص303) . كما لقب ب أمير المؤمنين (ابن حزم الاندلسي، 1982م، ج1، ص151؛ المسعودي، 2005م، ج1، ص291؛ الطبري، د. ت، ج1، ص11).

أمه حنتمه بنت هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كلاب بن مرة بن كعب (الطبري، د. ت ، ج2، ص562؛ المسعودي، د. ت، ج1، ص250). بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ...، وهي ابنة عم كل من ام المؤمنين أم سلمة ، والصحابي خالد بن الوليد، وعمر بن هشام المعروف بلقب ابي جهل (ابن الاثير ، 1995م، ج4، ص154). ويجتمع نسبها مع النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) في كلاب بن مرة (الخطيب البغدادي، 1997م، ج1، ص43؛ الصلابي، 2002م، ص48-49) من اشهر اخوته زيد بن الخطاب، وقال في حقه بانه بدري، استشهد في حروب الردة في اليمامة (ابن سعد، 2001م، ج3، ص350). اما اخوات الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، رملة، وصفية، وأميمة ، وفاطمة وزوجها سعيد بن زيد (ابن حجر، 1989م، ج7، ص48).

تزوج الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سبع نساء في الجاهلية والإسلام، وله ثلاثة عشر ولداً (المزي، 1980م، ج14، ص355؛ الصلابي، 2002م، ص19). ومن اشهر نسائه قبل الإسلام قريبة بنت ابي امية بن المغيرة ، اخت أم سلمة، بقت قريبة على شركها، ولم تدخل الإسلام بعد اسلام عمر، ثم نزلت الآية: (يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات ... والله عليهم حكيم) (سورة الممتحنة، الآية 10). وذلك بعد صلح الحديبية، فطلقها. ومن زوجاته أم كلثوم مليكة بنت جرول الخزاعية، تزوجها في الجاهلية، وانجبت له زيداً، وعبدالله ثم طلقها بعد نزول الآية: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) (سورة الممتحنة، الآية 10). ومن زوجاته زينب بنت

مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشية، اخت عثمان بن مظعون، تزوجها في الجاهلية في مكة ثم اسلما وهاجرا معاً الى المدينة المنورة " يثرب " ، ومعهما ابنهما عبدالله بن عمر، وولدت له حفصة وعبد الرحمن (ابن عبد البر، 1992م، ج4، ص1892؛ ابن سعد، 2001م، ج8، ص46). ومن زوجاته جميلة بنت ثابت بن ابي الافلح الأوسية الانصارية (ابن الاثير، 1995م، ج7، ص62؛ ابن سعد، 2001م، ج8، ص46). وهي اخت عاصم بن ثابت كان اسمها عاصية فسماها النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) جميلة، تزوجها اثناء خلافته ، ولدت له عاصم ، ثم طلقها الخليفة عمر (رضي الله عنه) (ابن حجر، 1995م، ج8، ص75). ومن زوجاته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بن عدي العدوية القرشية، وهي اخت سعيد بن زيد احد العشرة المبشرين بالجنة (ابن حجر، 1995م، ج7، ص598؛ ابن سعد، 2001م، ج8، ص268) ولدت للخليفة ولداً واحداً هو عياض. ومن زوجات الخليفة عمر (رضي الله عنه)، ام حكيم بنت الحارث بن هشام بن مخزوم المخزومية القرشية، ولدت له فاطمة بنت عمر (رضي الله عنه) ، ومن زوجاته أم كلثوم بنت علي بن ابي طالب (عليه السلام) الهاشمية القرشية تزوجها وهي صغيرة السن وذلك في السنة السابعة عشرة للهجرة، وبقيت عنده الى ان قتل وهي اخر زوجاته، وقيل ولدت له زيد ورقية (ابن حجر، 1989م، ج7، ص48-49؛ ابن عبد البر، 1992م، ج4، ص1953؛ الذهبي، 1996م، ج3، ص501) .

ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، يمتاز بصفات متعددة من عدل ورحمة وفطنة، فكان عادلاً يساوي بين اقرب الناس وسائر رعيته في اقامته الحد وإظهار الحق فساوى بين أبنائه وكافة المسلمين حتى بلغ عدله مضرب المثل ، وكانت خلافته رحمة للمستضعفين والفقراء والمحتاجين، وكان قوي الايمان، والثقة بالله، ومن صفاته سلامة المعتقد ، والعلم الشرعي، والقدوة، والصدق، والكفاءة، والشجاعة والمروءة (أبو الفداء، د. ت، ج1، ص118). تجلت شجاعته في عدة مواقف منها هجرته الى المدينة ، اذ هاجر علنا وامام المشركين، ومن شجاعته مواجهته للمشركين يوم بدر، زاهدا في الدنيا غير راغب عن متاع الدنيا وزخرفها. ومن صفاته حبه للتضحية ، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع والحلم والصبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والقدرة على التعلم، واعداد القادة ، كما ان الرحمة من صفاته التي وازنت فيه العدل احسن موازنة فقد احب العدل بمجابهة الأقوياء المعتدين، كما حبه لنجدة الضعيف المعتدي عليه (العقاد،

1989م، ص39). وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) شديد في محاسبة نفسه وأهله، وكان يقسو على نفسه في طعامه، وهذا يدل على زهده . وكان حريص على مصالح المسلمين واموالهم (عودة ، 1989م، ص11-18). وكان عمر (رضي الله عنه) غيوراً، ولكن لا يغار الا على فعل خير او إقامة حق او نصرت مظلوم، وكان عالم بالقران شديد التعلق به وربما يسأل عن التصرفات ليدرك حكمتها (الاصبهاني، 1967م، ج1، ص40-52؛ عودة، 1989م، ص18؛ ابن الجوزي، 2001م، ج1، 257). كان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ابيض البشرة تعلوه حمرة، وقيل انه صار احمر في عام الرمادة حيث اصابته مع المسلمين مجاعة شديدة (ابن حجر العسقلاني، 1995م، ج4، ص147؛ ابن كثير، 1998م، ج7، ص97). وكان حسن الخدين، اصلع الرأس، له لحيه مقدمتها طويلة، وقد كان يخضب لحيته بالحناء وله شارب طويل (المتقي الهندي، 1985م ، ج12، ص645؛ النووي، 1996م، ج2، ص14). وكان طويلاً جسيماً، تصل قدماه الى الأرض اذا ركب الفرس يظهر كأنه واقف، وكان سريع المشي (الطبراني، 1983م، ج1، ص65).

إسلامه:

ان النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، بعث سنة 610م، وهو في الأربعين من عمره، وكانت الدعوة الإسلامية في بداية عهدها دعوة سرية، وبعد مضي ثلاثة سنوات من بعثته، أمر النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) بالجهر في دعوة الناس الى الإسلام، فعاداه اهل قريش ولاسيما بعد ان بدأ يحقر من شأن آلهتهم (هبل، واللات، والعزى) ومن شأن الاصنام جميعها . وهب سادة قريش الى الدفاع عن معتقداتهم، واخذوا يعتدون على المسلمين ويؤذونهم (مسلم، 1991م ، ج4، ص208؛ ابن كثير، 1998م، ج3، ص70؛ البخاري، 2002م، رقم الحديث 4921 ؛ ابن هشام، 2010م، ج1، ص271). وكان عمر بن الخطاب من ألد أعداء الإسلام واكثر اهل قريش اذى للمسلمين (هيكل، 1990م، ص51؛ الذهبي، 1996م، ج1، ص42). وكان غليظ القلب تجاههم فقد كان يعذب جارية له، علم بإسلامها، من اول النهار حتى اخره، ثم يتركها نهاية الامر ويقول: " ما تركتك الا ملاله " ومن شدة قسوته جند نفسه يتبع محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) أينما ذهب، فكلما دعا احداً الى الإسلام أخافه عمر ، وجعله يفر من تلك الدعوة (ابن سعد، 2001م، ج3، ص270؛ ابن هشام، 2010م، ج1، ص362). بعد

ان امر النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، المسلمين في مكة بالهجرة الى الحبشة، جعل عمر (رضي الله عنه) يتخوف من تشتت أبناء قريش وانهيار أسس القبيلة العريقة عندهم ، فقرر الحيلولة دون ذلك، بقتل النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) مقابل ان يقدم نفسه لبني عبد المطلب ليقتلوه فتكون قريش قد تخلصت مما يهددها به هذا الدين الجديد .... (هيكل، 1990م، ص53؛ ابن كثير، 1998م، ج3، ص101). وكان قد دفعه الى هذا القرار، ما حدث من إهانة شديدة لابي جهل في مكة المكرمة على يد عم النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام)، والذي اصبح على الإسلام، وكان الدافع لذلك نابعا من ان أبا جهل كان خال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فرأى انه قد أصيب في كرامته، كما أصيب أبو جهل، ورد الاعتبار في حالة كهذه عند العرب يكون عادة بالسيف. فسل سيفه وخرج من داره قاصداً النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، وفي الطريق لقيه " نعيم بن عبد الله العدوي القرشي "، وكان من المسلمين الذين اخفوا إسلامهم، فقال له : " اين تريد يا عمر؟ " فرد عليه قائلاً: " اريد محمد الذي فرق امر قريش، وسفه احلامها، وعاب دينها،... فأقتله " (ابن كثير، 1998م، ج3، ص101؛ ابن سعد، 2001م، ج3، ص270؛ ابن هشام، 2010م، ج1، ص363). فلما عرف انه يتجه لقتل النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) قال له: " والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ افلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم؟ فإن ابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، واختك فاطمة بنت الخطاب قد اسلما وتابعا محمد على دينه؛ فعليك بهما " (الذهبي، 1996م، ج1، ص42؛ ابن سعد، 2001م، ج3، ص271؛ ابن هشام، 2010م، ج1، ص363). فأنطلق مسرعا غاضبا إليهما ، فوجد الصحابي خباب بن الارت يجلس معهما يعلمهما القرآن (ابن كثير، 1998م، ج3، ص102؛ ابن سعد، 2001م، ج3، ص271). فضرب سعيد، ثم ضرب فاطمة ضربة قوية شقت وجهها ، فسقطت منها صحيفة كانت تحملها، وحين أراد عمر قراءة ما فيها أبت اخته ان يحملها الا ان يتوضأ، فتوضأ عمر (رضي الله عنه) (ابن كثير، 1998م، ج3، ص102؛ ابن سعد، 2001م ، ج3، ص271). وقرأ الصحيفة واذا فيها: { طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرةً لمن يخشى.... } (سورة طه، الآيات 1-2-3) . فأهتز عمر (رضي الله عنه) وقال: " ما هذا بكلام بشر " فلما سمع خباب كلامه خرج اليه فقال له يا عمر والله اني

لأرجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فاني سمعته امس وهو يقول: اللهم ايد الإسلام بابي الحكم بن هشام، او بعمر بن الخطاب، فقال له عمر، دلني يا خباب الى محمد حتى اتيه، فخرج عمر (رضي الله عنه) بعد ذلك الى دار الارقم بن ابي الارقم حيث كان يجتمع النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) بأصحابه (الذهبي، 1996م، ج1، ص43؛ ابن سعد، 2001م، ج3، ص272) فأخذ عمر (رضي الله عنه) سيفه فتوشحه ثم عمد الى الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) وأصحابه، فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) فنظر من خلال الباب فرأه متوشحا السيف فرجع الى رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، وهو فزع فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه، فقال حمزة بن عبد المطلب (البيهقي، 1988م، ج2، ص220؛ ابن حجر، 1989م، ج7، ص48؛ ابن عساكر، 1995م، ج44، ص47). فإذن له فان كان جاء يريد خيراً بدلناه له وان كان يريد شراً قتلناه بسيفه فقال رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، إذن له، فإذن له الرجل، ونهض اليه رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، حتى لقيه في الحجرة، وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال: فكبر رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) تكبيرة عرف اهل البيت من أصحاب الرسول ان عمر قد اسلم، وهنا اعلن عمر لرسول الله ، انه آمن بالله وبرسوله الكريم ففرح بذلك رسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، والمسلمون (الطبري، 1967م، ج2، ص55-56؛ ابن كثير، 1998م، ج3، ص103). وعلموا انهم يستطيعون رد قريش بإسلامه، وسيزيد عزمهم وتقوى إرادتهم، وكان قد سبق عمر الى الإسلام تسعة وثلاثون صحابيا، فكان هو متمما للأربعين، فنزل جبريل (عليه السلام) بقوله تعالى: (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) (ابن سعد، 2001م، ج3، ص273). وفي رواية أخرى ان عمر اسلم بعد هجرة المسلمين للحبشة، أي انه اسلم في السنة السادسة من البعثة.

كان اسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عزة للإسلام وسند للرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) وكافة المسلمين، وحدثا بارزاً في تاريخ الدين الإسلامي، وإعلان الحق ونصرة الدين (الحاكم النيسابوري، 1398ه، ج3، ص83؛ الترمذي، 1998م، ج6، ص58؛ احمد بن حنبل، 1999م، ج1، ص17). فبعدما اسلم، قوي عزم المؤمنين، واستندوا به وبحمزة

عم النبي (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) كونهما من اقوى رجال قريش شدة وبأساً فبإسلامه استطاع المسلمون مواجهة قريش والصلاة في الكعبة اذ لم يجرأ احد من المسلمين على الصلاة عند الكعبة حتى اسلم عمر بن الخطاب (رضي الله عليه)، فقاتل المشركين وصلى هو ومن معه (الحاكم النيسابوري، 1398ه، ج3، ص85؛ ابن سعد، 2001م، ج3، ص271). قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص، وعبدالله بن ابي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، وردهما النجاشي بما يكرهون ، واسلم عمر بن الخطاب (رضي الله عليه) وكان رجل ذا شكيمة، فكثرت الفتوح بإسلامه ، وانتصر المسلمون بهجرته الى المدينة (يثرب)، اما خلافته فسادتها الرحمة والعدل والمساواة، وهذا ما تدلنا عليه بعض الاحاديث والروايات منها، قال: عبدالله بن مسعود، كان إسلام عمر فتحاً وكانت هجرته نصراً، وكانت امامته رحمة، ولقد رأينا وما نستطيع ان نصلي في البيت الحرام حتى اسلم عمر، وقاتلهم حتى تركونا فصلينا (الحاكم النيسابوري، 1398ه، ج1، ص85؛ ابن الاثير ، 1995م، ج4، ص465؛ ابن هشام، 2010م، ج1، ص368-369). فقال عمر للنبي: " يا رسول الله ألسنا على الحق؟ "، فأجابه ، نعم قال عمر: " أليسوا على الباطل؟ " فأجابه : نعم، فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): " ففيم الاختفاء؟ قال النبي (صلى الله عليه وعلى اله وسلم): فما ترى يا عمر؟، قال عمر: " نخرج فنطوف بالكعبة " فقال له النبي: نعم يا عمر، فخرج المسلمون لأول مرة يكبرون ويهللون في صفين، صف على رأسه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وصف على رأسه حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) وبينهما النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) حتى دخلوا الكعبة، ومن بعيد نظرت قريش الى عمر، وحمزة وهما يتقدمان المسلمين (ابن الاثير، 1965م، ج2، ص58-59؛ الحاكم النيسابوري، 1398ه، ج3، ص85). كما أراد عمر ان يعلن بإسلامه لأشد الناس عداوة لرسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، فقصد بيت ابي جهل ، فطرق بابه واخبره انه قد آمن بالله وبرسوله محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، أراد عمر (رضي الله عنه) ان يلفت انتباه ابي جهل على انه لا يخشاه ، فلم يستطيع ابي جهل الا ان اغلق الباب في وجهه (اليعقوبي، 1960م، ج2، ص27؛ الاصبهاني، 1967م ، ج1، ص43-44؛ ابن الجوزي، 2001م، ج1، ص259-260).

شهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، بدر وأحد والمشاهد كلها مع النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، وخرج في عدة سرايا، وكان اميراً على بعضها، وكان من الصحابة الذين يستشيرهم النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، ولربما نزل الوحي بما يؤيد رأيه، فبعد غزوة بدر أستشار النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) أصحابه فيما يفعل بالأسرى ، فأشار عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقتلهم، وأشار أبو بكر (رضي الله عنه) بفدائهم ، فأخذ الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) برأي ابي بكر ، فأنزل الله وحيه مؤيداً لرأي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (ابن عساكر، 1995م، ج44، ص381؛ الخركوشي، 2004م، ج5، ص442). ومعاتبا رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، قال تعالى: { ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم } (سورة الانفال، الآية 67). وتوفي الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) وهو راضٍ عنه ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة. في عهد الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) ، كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مستشارة، والساعد الأيمن في تسيير شؤون الدولة (الذهبي، 2003م، ج2، ص138؛ أبو الفداء، د. ت، ج1، ص159). ولما مرض الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) ، وشعر بالموت، أراد ان يولي خليفة على المسلمين حتى لا يقع الخلاف بينهم، فوقع اختياره على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، بعد استشارته لكبار الصحابة، فأيدوه، فبايعوه، وبايعه المسلمون، وتوفي الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه)، بعد ذلك بأيام (ابن الاثير، 1995م، ج4، ص137؛ الذهبي، 2003م، ج2، ص138؛ أبو الفداء، د. ت، ج1، ص159)

امر النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، اتباعه بالهجرة الى مدينة يثرب حوالى 622م، بعد ان اتاه وفد من أهلها، وعاهدوه على الأمان ودعوه الى ان يأتيهم ويسكن مدينتهم بعد ان آمن بدعوته اغلب أبنائها. فهاجر معظم المسلمين الى يثرب سراً خوفا من ان يعتدي عليهم احد من قريش، الا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان جريئاً وصريحا لا يخشى احد، فلما اسلم جهر بإسلامه امام مكة كلها (الحاكم النيسابوري، 1398ه، ج3، ص86؛ ابن هشام، 2010م، ج1، ص486). لأنه لا يحب الافتقار ولا الاحتماء بأحد ولا يبالي بالمشركين فكانت هجرته الى يثرب علنيه. يقول ابن عباس، قال لي علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، ما علمت أي احد من

المهاجرين هاجر متخفيا الا عمر بن الخطاب، فإنه لما أراد الهجرة، تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وأنتضى في يده أسهما، وعصاه القوية، واختصر عدته، وذهب الى الكعبة حيث طاف سبع مرات، ثم توجه الى مقام إبراهيم الخليل (عليه السلام) فصلى، ثم وقف على الحلق واحدة واحده فقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله الا هذه المعاطس، من أراد ان تثكله امه، ويبتم ولده او يرمل زوجته فليلقاني وراء هذا الوادي (الحاكم النيسابوري، 1398ه، ج3، ص86؛ عادل، 2014م، ص119). قال علي فما تبعة احد إلا قوم من المستضعفين (ابن الجوزي، 2001م، ج1، ص259؛ الصلابي، 2002م، ص28). نلاحظ من خلال هذه الرواية ان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، كان الوحيد الذي اعلن هجرته امام قريش، بل وتحداهم بها فلم يجرؤ احد على ردعه ومنعه فلم يتبعه احد منهم لما علموه منه من قول وفعل، واحتمي به بعض المهاجرين الضعفاء .

كان قدوم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى يثرب قبل مقدم النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) اليها وكان معه ما يقارب العشرين شخصا من اهله وقومه (ابن هشام، 2010م، ج1، ص486). منهم اخوه زيد بن الخطاب، وعبدالله وعمر، أبناء سراقة بن المعتمر، وابن عمه سعيد بن زيد وهو احد العشرة المبشرين بالجنة، ورافد بن عبدالله التميمي حليف لهم، وخولي بن ابي خولي، ومالك بن ابي خولي حليفان لهم من بني عجل وغيرهم... فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر في بني عمرو بن عوف بقباء (ابن حجر، 1995م، ج4، ص465؛ ابن احمد، 2005م، ص28). واخرج عن البراء قال: اول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ثم ابن ام كلثوم، ثم ابن الخطاب، وبلال بن رباح . وأثبتت الروايتين ان عمر كان من الأوائل الذين دخلوا يثرب، وكان وصوله قبل الرسول وأبو بكر، واخى النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، بينه وبين عتبان بن مالك الانصاري (ابن حجر، 1995م، ج4، ص468؛ ابن هشام، 2010م، ج1، ص501). ومن هذه نجد ان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان عوناً ودعماً لأصحابه لمن أراد الهجرة من المسلمين، ويدعوا لرسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) في خدمة دينية وعقيدية بالأقوال والأفعال، فكان نصرا للإسلام والمسلمين.

عاش المسلمون في المدينة المنورة (يثرب) في أمان نسبي بعد الهجرة النبوية ، حيث تم تنظيم العلاقات الداخلية من خلال صحيفة المدينة ، ولم تلبث قريش ان حشدت الجيوش لمواجهة

المسلمين فنشبت بين الطرفين عدة معارك، وقد شهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كل الغزوات مع الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، وفي غزوة بدر كان عمر ثاني الصحابة الذين تكلموا بعد ابي بكر عندما استشارهم الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) بشأن قتال قريش (ابن الجوزي، 2006م، ج3، ص236؛ ابن هشام، 2010م، ج2، ص263). فأحسن الكلام ودعا الى قتال المشركين ، وقد قتل عمر، خاله العاص بن هشام في تلك الغزوة. وفي غزوة احد، رد عمر (رضي الله عنه) على ابي سفيان عندما قال " اعل هبل ، بقوله: الله اعلى واجل " ، كما كان عمر ممن شملتهم إشاعة مقتل النبي في بداية المعركة ، ثم احتمى مع من احتمى من المسلمين بالجبل بعد انكشاف الموقف (ابن الجوزي، 2006م، ج3، ص236؛ ابن هشام، 2010م، ج2، ص263). سنة أربعة هجرية شارك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في غزوة بني النضير، بعد ان هم يهود بني النضير بالغدر وقتل النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، فنقضوا بذلك الصحيفة، فأمهلهم الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) عشرة أيام ليتركوا المدينة (ابن الاثير، 1965م، ج2، ص140-142؛ الواقدي، 2004م، ج2، ص439). ثم اجلاهم عن المدينة فحملوا النساء والصبيان، فلحقوا بخيبر، وغنم المسلمون من أموالهم وما تركوه ورائهم (الواقدي، 2004م، ج2، ص37). شارك عمر في غزوة الخندق، كما قاتل في غزوة بني قريظة، وشارك في صلح الحديبية بصفته شاهد (البيهقي، 1988م، ج4، ص24). ويحكي عمر بن الخطاب (رضي الله عنة) مجيئه الى النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، غاضبا عند كتابة ذلك الصلح فقال له: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين ؟ قال: بلى، قال: اوليسوا بالمشركين ؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟ قال: انا عبدالله ورسوله، ولن اخالف امره، ولن يضيعني (ابن هشام، 2010م، ج2، ص317). وأورد الواقدي رواية تقول: ان عمر بن الخطاب قال في حجة الوداع عن صلح الحديبية " ما كان فتح في الإسلام اعظم من صلح الحديبية...، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه والعباد يعجلون " (الواقدي، 2004م، ج2، ص609-610). ثم شارك عمر في غزوة خيبر.

عاد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى مكة مع باقي المسلمين بعد ثمان سنوات من الهجرة فدخلوها فاتحين سنة 630م، وخلال العام نفسه شارك في غزوة حنين وحصار الطائف وغزوة

تبوك، وفي عام 631م، أدى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الحج مع النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) في حجة الوداع (مسلم، 1991م، رقم الحديث 1775؛ شبارو، 1995م، ص198-199؛ البخاري، 2002م، رقم الحديث 4209؛ عادل، 2014م، ص56).

خلافته:

لما مرض الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ، مرض الموت جمع كبار الصحابة وشاورهم، ثم عهد الى عمر بن الخطاب بالخلافة. وقد جاء في رواية " اني قد نزل بي ما ترون ، وقد حضرني اجل من اجال الدنيا ، واني لا اجدني الا خفيفا فاستخلفوا من احببتم (السيوطي، 1952م، ص87؛ الاصبهاني ، 1967م، ج1، ص43؛ ابن كثير، 1998م، ج6، ص322؛ الصلابي، 2002م، ص90؛ ابن الجوزي، 2006م، ج4، ص7). اما اذا استخلفتم وجمعتم كلمة المسلمين على من يستخلفه فقد يتقي ما يخشى ويكون لسياسة الفتوح الاستمرارية والنجاح (ابن كثير، 1998م، ج6، ص322-323؛ طقوش، 2002م، ص178؛ ابن الجوزي، 2006م، ج4، ص7-8). هنا نلمس حكمة الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ونظرته الثاقبة، أراد ان يجنب المسلمين الفتنة والتي قد تكون سبب في تفريق كلمتهم، وتبديد قوتهم ، فعمد الى تعين خليفة بعده يقودهم ويجمع شملهم فيكون ذلك امام عينه، وبعد تشاور الصحابة، أوكلوا اختيار الخليفة من بعده له، فجعل يسألهم عن عمر، وشاور كبار الصحابة وجماعة من الأنصار والمهاجرين فكان يطبق مبدأ الشورى لقوله عزوجل : { وامرهم شورى بينهم } (سورة الشورى، الآية 38). قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): اني استخلفت بعدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فأسمعوا واطيعوا، فاني بالله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيراً، فان عدل وذلك الظن به وعلمي فيه، وان بدل فكل امرئ ما اكتسب والخير اردت ولا علم لي بالغيب، وسيبلغ الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم (الطبري، 1967م، ج3، ص431؛ الصلابي، 2002م، ص93؛ ابن الجوزي، 2006م، ج4، ص8). دخل عمر على ابي بكر فعرفه بما عزم فأبى ان يقبل فتهدده أبو بكر بالسيف، فما كان امام عمر الا ان يقبل ، وكلف أبو بكر، عثمان بن عفان بان يتولى قراءة العهد على الناس ورضوا به، واقبلوا عليه وبايعوه (ابن الاثير ، 1995م، ج4، ص464-465؛ الصلابي، 2002م، ص93). وبدأ عمر يفكر في هذه الأمانة التي أودعها له أبو بكر وكلفه بها، ومدى ثقلها حتى تغير وجهه وهذا ان دل فإنما يدل على تقوى وخوف

هؤلاء الرجال من المسؤولية، وخاصة ان كانت قيادة المسلمين جميعا باختلاف اشكالهم وألوانهم ومناطق تواجدهم، فكان ينظر الى الخلافة على انها ابتلاء سيحاسب على أداء حقه، وليست جاها وشرفا وملكا(بن ابي شيبة، 1989م، ج7، ص137).

بعد بيعة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بدأ عهد خلافته ، وتولى إدارة شؤون المسلمين، فكانت خلافته كما وصفها ابن مسعود، سادها العدل والرحمة والرخاء المادي، وحسن التنظيم، وحقق خلالها المسلمين فتحا عظيما وصل بها الإسلام شرقاً وغرباً ، وصدق ظن الخليفة الأول أبو بكر (رضي الله عنه). وقد تولى عمر الخلافة بعهد من ابي بكر سنة 13 ه، استخلف عمر يوم توفي أبو بكر يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الاخرة (السيوطي ، 1952م، ص 90-110؛ البلاذري، 1996م، ج1، ص436؛ ابن كثير، 1998م ، ج7، ص10) . وعقب بيعته اعلن عمر (رضي الله عنه) في اول خطاب له بعد توليه الخلافة انه سيقتدي في سياسته للأمة برسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، وبالشيخ أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، وانه سيعمل على تدعيم قوة الإسلام، وانه سيجعل الشورى أساس الحكم في دولته ، وانه سيواصل نشر رسالة الإسلام للناس كافة متبعا في ذلك سنة رسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، وخليفته أبو بكر (رضي الله عنه) بمواصلة الفتوح ، ومحاربة الشرك بالله في كل مكان (مجموعة من المؤلفين ، 2008م، ص26-28). اختلف الرواة في اول خطبة خطبها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وقال بعضهم انه صعد المنبر وقال: " اللهم اني شديد فليني، واني ضعيف فقوني، واني بخيل فسخني " (السيوطي، 1952م، ص91؛ شاهين، 2003م، ص123). وروى ان اول خطبة كانت قولة: " ان الله قد ابتلاكم بي وابتلاني بكم بعد صاحبي فلا يحضرن احد منكم بشيء من امركم فأوثر به احداً دونكم، ولا يغيبن عني، فانا امرؤ اكفيكم واقوم بأمركم اهل الكفاية والأمانة، فان احسنوا احسنت اليهم ، وان أساؤوا عاقبتهم " (ابن عبد ربه ، 1983م، ج2، ص268؛ شاهين، 2003م، ص123). وقال الخليفة عمر (رضي الله عنه) اقرءوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من اهله، وزنوا أنفسكم قبل ان توزنوا، وتزودوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله، لا تخفى منكم خافية، انه لا طاعة لاحد في معصية الله، وشبه نفسه بولي ولي اليتيم في مال المسلمين ، فان استغنى تعفف، وان احتاج اخذ منه بالمعروف (المتقي الهندي، 1985م، ج5، ص751؛ ابن كثير، 1998م، ج7، ص12).

ان اول خطبة لعمر كانت عبارة عن خطبة دينية، تحمل وصايا مختلفة فيها وعظ وارشاد وتوجيه. وقد تمكن عمر (رضي الله عنه) من تحقيق ما وعد به ، فكان الخليفة الصادق والحق والفاروق بين الحق والباطل ، فكانت خلافته قدوة في الحكم للحاكم المسلم أساسها الالتزام بمبادئ التشريع الإسلامي في تسيير دولة الإسلام الواسعة.

وفاته:

تم اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عل يد غلام فارسي اسمه فيروز ويكنى أبو لؤلؤة المجوسي (ابن عبد الحكم ، 1984م، ج1، ص96؛ ابن عبد البر، 1992م، ج3، ص1155؛ البيهقي، 2003م، ج8، ص101). فطعنه بخنجره عدة طعنات، فتوفي بعد أربعة أيام (ابن الاثير، 1965م، ج3، ص70-72؛ ابن قتيبة ، 1992م، ج1، ص135). ودامت خلافته، عشرة سنوات وستة اشهر واربعة ايام (ابن حزم، 1982م، ج1، ص183؛ ابن حبان، 1991م، ج1، ص23؛ ابن حبيب، د. ت، ج1، ص14). وطعن مع الخليفة ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأه رجل من المسلمين طرح عليه برنساً " البرنس: قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام، او كل ثوب رأسه منه دراعه، ويقال برنسه أي ألبسه البرنس " (البستاني، 1867م، ج1، ص88). فلما ظن أبو لؤلؤة انه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس أنظر من قتلني. فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ (البستاني، 1867م، ج2، ص1311؛ الطبري، 1967م، ج4، ص224). قال: نعم، قاتلة الله، لقد امرت به معروفا، فالحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعى الإسلام، قد كنت انت وابوك تحبان ان تكثر العلوج (مصطفى واخرون، 1960م، ص620؛ مسلم، 1991م، رقم الحديث 1826؛ البخاري، 2002م، رقم الحديث 3700). بالمدينة ، وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال: ان شئت قتلناه ، قال كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجو معكم (البخاري، 2002م، رقم الحديث 3700 ؛ ابن الجوزي، 2006م، ج4، ص234). توفي عمر (رضي الله عنه) سنة 23 ه ، ودفن مع صاحبيه رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، وأبو بكر (رضي الله عنه) بعد ان أذنت له أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بذلك.

المبحث الثاني: اثر الخليفة عمر (رض) في تطور المؤسسات الإدارية والقضائية

كانت الإدارة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) امتداد لما أرساه رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)، و أبو بكر (رضي الله عنه) من أسس تنظيمية ، الا ان اتساع رقعة الدولة وكثرة الفتوحات استدعت تطوير النظام الإداري واستحداث مؤسسات جديدة لتلبية متطلبات المرحلة (القلقشندي، 1963م، ج1، ص461-468؛ ابن خلكان، 1972م، ج3، ص243؛ ابن خرد اذبة ، 1988م، ص118-120؛ الخطيب البغدادي ، 1997م، ج1، ص18-20).

استمر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في سياسة الفتوحات في العراق والشام ومصر، فتولى قادة الجيوش مهام القيادة العسكرية والإدارية معاً كعمرو بن العاص في مصر، وابي عبيدة بن الجراح في الشام. ونظراً لأنشغالهم بالجهاد وحفظ الامن، ابقى عمر على الأنظمة الإدارية السابقة في عهدي الساسانيين والبيزنطيين، واستعان بالكتاب والموظفين السابقين في التدوين وجباية الضرائب بما لا يتعارض مع احكام الإسلام (ابن الطقطقي ، 1966م، ص65-67؛ الجاحظ، 1998م، ج2، ص20-22؛ الديار بكري، 1999م، ج2، ص318-320؛ الشهرستاني، 2003م، ج1، ص28) . تميز التقسيم الإداري للولايات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعدم الثبات ، نظرا للتوسع الكبير الذي شهدته الدولة وما تبعه من متغيرات. وقد حرص الخليفة على متابعة أدائهم فكان يعزل غير الأكفاء منهم حفاظاً على كفاءة الإدارة (القلقشندي، 1963م، ج1، ص467؛ ابن الطقطقي، 1966م، ص66-67؛ ابن الاثير، 1998م، ج1، ص11-12). احدث الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نقله إدارية في الدولة الإسلامية من خلال استحداث نظام الولايات ، وتقسيم الامصار، وتنظيم القضاء، والحسبة، والبريد، وديوان الجند ، ووضع التقويم الهجري، وقد انعكست هذه الإصلاحات على استقرار الحكم وكفاءة إدارة شؤون الدولة والمجتمع، والتي سيتم تفصيلها لاحقاً.

تمصير الامصار:

اتسعت أقاليم الدولة الإسلامية، نتيجة انتشار المسلمين في الأراضي المحررة ، فامر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، بتمصير البصرة والكوفة في العراق، والفسطاط في مصر وقد هذه الامصار على اطراف الصحراء لتكون قواعد للجهاد ومراكز استقرار للعرب دون ان

يفصلها عن ارض الجزيرة العربية حاجز مائي (القلقشندي ، 1963م، ج1، ص468-469 ؛ ابن الاثير، 1965م، ج2، ص578-580؛ الخطيب البغدادي، 1997م، ج1، ص19). تعد البصرة والكوفة والفسطاط من ابرز الامصار التي أنشئت في عهد الخليفة عمر. ففي سنة 14ه / 635م ، خط عتبة بن غزوان البصرة ، وفي سنة 17ه اختط سعد بن ابي وقاص الكوفة وانزل القبائل منازلها، وفي 21ه أسس عمرو بن العاص الفسطاط وبنى فيها المسجد، ودار الامارة، لتكون قواعد ومراكز استقرار للمسلمين (ياقوت الحموي، 1977م، ج1، ص383؛ ابن عبد الحكم، 1984م، ص61 ؛ الخطيب البغدادي، 1997م، ج1، ص19). كانت الامصار الإسلامية في بداية نشأتها تشبه المعسكرات المؤقته اذ اقتصر بنائها على الخيام التي أقامها الجنود

قسمت تلك المدن الى خطط، وجعل لكل خطة قبيلة معينة تسكنها، كما تكون عليهم حماية تلك الخطة من المشاغبين والعابثين في الامن والنظام، وكان لكل عشيرة عريف يحفظ افراد العشيرة، ويوزع العطاء عليهم ، ويبلغهم أوامر الولاة (الماوردي، 1973م، ص120-125؛ ضيف، 1994م، ص65-70).

قسم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الامصار المفتوحة الى خمس مناطق كبرى : العراق والشام وافريقية وصعيد مصر (ابن الطقطقي، 1966م، ص65؛ ابن خردا ذبه ، 1988، ص4-10). ابقى الخليفة عمر على التقسيم الإداري لشبه الجزيرة العربية كما كان في عهد أبو بكر (رضي الله عنه)، فظلت تضم اثني عشر اقليما منها مكة والمدينة والطائف وصنعاء وحضرموت وزبيد وجرش والبحرين (القلقشندي، 1963م، ج1، ص461-469؛ الشريف، 1999م، ص115). قسم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ولايات الشام إداريا خمسة اجناد رئيسية ، وهي جند قنسرين، وجند دمشق، وجند حمص، وجند الأردن، وجند فلسطين (ياقوت الحموي، 1977م، ج1، ص38). وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يختار لكل إقليم واليا ، وكان يختارهم ممن يتوسم فيهم الصلاح والمقدرة على إدارة شؤون الولاية، والقيام بالمهام الملقاة على عواتقهم (الشريف، 1999م، ص120). حدد الخليفة مهام الوالي في امامة الصلاة، والقضاء ، وتوزيع الغنائم والعشور، وجمع الزكاة والجزية والخراج. كما شدد في وصاياه على حسن معاملة الرعية، والرفق بهم، وحمل الولاة مسؤولية تعليم الناس دينهم وسننهم مع الزامهم بالمحاسبة عند التجاوز (أبو يوسف، 1973م، ص38؛ الصلابي،

2002م، ص190). كان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حريصا على حماية هيبة العمال، فحين شكا اهل الكوفة، سعد بن ابي وقاص ، وطلبوا عزله، بين لهم انه ان ولى المتقي ضعف عنهم وان ولي القوي جار عليهم. فأقره المغيرة بن شعبة على تولية القوي صاحب التقوى فأعاد عمر سعداً الى الكوفة (ابن عبد ربه الاندلسي، 1983م، ج3، ص78؛ ابن قتيبة، 1998م ، ج1، ص72).

كان عمر يتابع أحوال ولاته بدقيقة، فاذا وفدت عليه الحجيج ، سألهم عن سيرتهم مع الرعية : أعيادة المريض، والرفق بالضعيف وعدم احتجاب بابه . فمن ذكر عنه تقصير في ذلك عزله فورا حفاظا على المصلحة العامة (ابو عبيد، 1988م، ص45 ؛ ابن عبد البر، 1992م، ج3، ص1134).

اعتمد الخليفة (رضي الله عنه) نظام الرقابة الإدارية فعين مفتشين رسميين يتفقدون اعمال الولاة في الامصار ، وكان اشهرهم محمد بن سلمة، كما قرر لهم مرتبات مجزية لضمان تفرغهم لاعمال الولاية وتحقيق العدل واستقرار الإدارة (أبو يوسف ، 1973م، ص39 ؛ ابو عبيد، 1988م، ص48؛ الذهبي، 2003م، ج3، ص111). ففرض لعمار بن ياسر ، والي الكوفة ستمائة درهم كل شهر ، مع كاتب ومؤونة، ولعثمان بن حنيف والي البصرة ، خمسة الاف درهم وعطاء يومي ، ولعبد الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر (أبو يوسف ، 1973م، ص39؛ أبوبكر عبد الرزاق ، 1403ه، ج1، ص 280).

انتهج عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نظام المركزية الإدارية في حكم الدولة الإسلامية، فجعل السلطة الإدارية منطلقة الحكومة المركزية في المدينة وقام بتوزيع المهام الإدارية على الولاة في الامصار تحت إشراف مباشر منها (شريف ، 1999م، ص95، ؛ الصلابي، 2002م؛ الذهبي، 2003م، ج3، ص100). اذ سلك عمر(رضي الله عنه) أسلوبا مركزيا قويا ، وان هيمنته في العاصمة لم تتوقف على الجانب العسكري فقط بل امتدت الى الشؤون المدنية، ومن ذلك استئذان المسلمين في طريقة بناء المساكن في المدن الجديدة، وحرص الخليفة على ان يحاط علما بأقاليم الدولة التي لم يذهب اليها (اليعقوبي ، 1960م، ج2، ص30؛ البلاذري، 1987م، ص273). وجه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عماله وقادته لكي يتصرفوا في مواجهة المواقف، بما تقتضيه هذه المواقف، ومن ذلك قوله لمحمد بن مسلمة: " ان اكمل الرجال

رأيا من اذا لم يكن عندك عهد من صاحبك ، عمل بالحزم، او قال به " (ابن قيم الجوزية ، 1991م، ج1، ص80؛ الشاطبي، 1997م، ج2، ص288). وقوله لمعاوية بن ابي سفيان حين بين له أسباب اتخاذه مظاهر الملك: " لا امرك ولا انهاك "، ورده على ابي عبيدة حين استشارة في تعقب العدو والدخول في ارضه فقال: " انت الشاهد وانا الغائب، وانت بحضرة عدوك، وعيونك تأتيك بالأخبار" (أبو عبيد، 1988 م، ص55 ؛ ابن قيم الجوزية، 1991م، ج3، ص8؛ الدويش، 1998م، ص125). الى غير ذلك من النصوص التي تدل على ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان ينتهج المنهج اللامركزي في الإدارة، وليس معنى ذلك انه قد رفع يده كليا عن الولايات الأخرى ؛ بل ان من حقه وواجبه الاشراف على هذه الولايات ومراقبتها في الحدود الشرعية (ابن قيم الجوزية، 1991م ، ج1، ص80 ؛ الشاطبي، 1997م، ج2، ص288).

ان الإدارة الصحيحة لاي عمل مهما كان صغيرا او كبيرا تحتاج الى الحكمة، لان الإدارة تتعامل مع البشر، وليس مع الآلات . فالإدارة " فن قيادة الرجال "، وهم مختلفو الطباع والمشارب. ولا يستطيع احد مهما أوتي من قوة ان يقودهم الا بالحكمة، وهي وضع كل شيء في موضعه ، فالغضب والشدة في المواضيع التي تستدعي ذلك ، واللين والتسامح والرحمة في المواقف التي تقتضيها (ابن عبد ربه، 1983م، ج3، ص78؛ ابن قيم الجوزية، 1991م، ج1، ص80). لهذا نجد ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يضع شروط ومعايير فيمن يتولى الامارة فيقول: " لا يصلح الوالي الا بخصال أربعة، ان فقدت واحدة لم يصلح له امر، قوة على جمع المال من حلال ، وإنفاقه في حقه، والشدة من غير جبروت، واللين من غير ضعف (الطرطوشي ، 2011م، ص62-63). وقد طبق الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هذه القاعدة ورجح الأقوى من الرجال على القوي، فقد عزل شرحبيل بن حسنة عن ولاية الشام ، وعين مكانة معاوية، فلما سأله شرحبيل عن سبب العزل قال : لا، ولكن رأينا من هو أقوى منك، فتحرجنا من الله ان نقرك (ابن خلكان 1972م، ج3، ص119). ومن اهم الصفات والشروط التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لاختيار الولاة والقادة هي ما يأتي:

1-الكفاية في المجال الذي يوجه اليه: فاضل الله بين الناس في المواهب والاستعدادات ، ليحقق التكامل الاجتماعي، فتوزيع القدرات والاتقان يمنع تعطل الاعمال. كما فاوت في الارزاق ليسخر

بعضهم بعضا في الحرف والصنائع، فلو تساوى الناس في الغنى لتعطلت مصالحهم (السعدي ، 2000م ، ص765). قال ابن تيمية: " ينبغي ان يعرف الاصلح في كل منصب، فان الولاية لها ركنان، القوة، والأمانة، كما قال تعالى : { ان خير من استأجرت القوي الأمين } (سورة القصص، الآية 26؛ ابن تيمية، 1961م، ص14). قامت معايير الخليفة على ملاءمة القوة للأمانة ، فاشترط في ولاية الحرب الشجاعة، والخبرة القتالية، وفي القضاء العلم بالعدل المستمد من الكتاب والسنة مع القدرة على التنفيذ وجعل أساس الأمانة خشية الله (ابن تيمية، 1961م، ص19-20).

2-ان تتوفر في المرشح بواعث الطاعة: اشترط الخليفة في اختيار الولاة توافر الأهلية والهيبة الاجتماعية، فكان يقدم من عرف بالسيادة والطاعة في قومه ليضمن انقياد الرعية لأمره كما راعى الملاءمة الوظيفية فعين الشجاع الحكيم لقيادة الجيوش، لما لذلك من اثر في نجاح المهمة وقبولها (الصلابي، 2002م، ص180؛ الذهبي، 2003م، ج3، ص105).

3-ان يكون الوالي من صحابة النبي : كان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حريصا على ان يتولى صحابة الرسول امارة الامصار، لما لهم من فقه في السياسة وتجربة في الإدارة ومعايشة لمرحلتي الجاهلية والإسلام .وقد علل ذلك بان هلاك العرب يكون اذا تولى امرهم من لم يصاحب الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، ولم يعالج شؤون الجاهلية والإسلام (الاصبهاني، 1967م، ج7، ص243؛ الحاكم النيسابوري، 1398ه ، ج4، ص428؛ ابن قتيبة، 1998م، ج1، ص65) . واستدل ابن حجر على كون الرجل صحابيا اذا نقل ان عمر ولاه على مصر من الامصار، فيقول: وقد تقدم انهم كانوا لا يؤمرون الا الصحابة (ابن حجر، 1995م، ج1، ص336 ، ج2، ص221).

4-القدوة والخبرة السياسية: كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يرى ان الكفاءة الإدارية والخبرة السياسية شرط أساسي لتولي الولايات ، فلا يكفي في الوالي صلاحه الشخصي وصحبته للنبي (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، اذا افتقر الى القدرة والحنكة السياسية . ومن تطبيقات ذلك: انه عزل عمار بن ياسر عن ولاية الكوفة بعد ان استشارة جرير بن عبدالله عنه فقال : والله لا هو بمجزي ولا عالم بالسياسة، فعزله وولى المغيرة بن شعبة لما عرف عنه من خبرة في

السياسة ودهاء في الإدارة (ابن حجر، 1989م، ج13، ص210-211؛ آل عيسى ، 2002م، ص626).

5-الفطنة والذكاء: عد الخليفة الفطنة، وسرعة البديهة، من اهم صفات الوالي، لتمكينه من وضع الأمور في نصابها والتصرف المناسب مع كل حادثة. ويظهر ذلك في توليته شخصا اميرا للركب بعد ان تبين له رجحان عقله وحكمته، مع كونه ليس اكبرهم سناً (أبو بكر عبد الرزاق، 1403ه، ج2، ص309، رقم الحديث 3813)

6-الرحمة والشفقة على الرعية: هي صفة مهمة واساسية اذ بها يحسن التعامل مع الرعية، ويقيم العدل فيهم ويحبهم ويحبونه ويقبلون اليه، ويرفعون اليه حوائجهم من غير رهبه، استعمل عمر (رضي الله عنه) رجلا من بني اسد على عمل، فدخل على عمر فأتى الى عمر احد أولاده فقبله، فقال الاسدي، أتقبل هذا يا امير المؤمنين؟ فوالله ما قبلت ولداً لي قط! فقال عمر: فأنت والله بالناس اقل رحمة، لا تعمل لي عملاً ابداً، فرد عهده (أل عيسى، 2002م، ص629-630؛ البيهقي، 2003م، ج3، ص367).

7-مراعاة الطبائع والخصائص النفسية: كان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ينهى عن استعمال رجل من اهل الوبر على المدر، واهل الوبر هم ساكنوا الخيام، واهل المدر ساكنوا المدن، وهذه نظرة اجتماعية سلوكية، فقد كان عمر يراعي بعض الخصائص والطباع والعادات والأعراف عند تعين الولاة. فلكل من اهل الوبر والمدر طبائع واخلاق وعادات واعراف مختلفة (الكتاني، 1981م، ج1، ص283). يجب ان يكون الوالي عارف بنفسية الرعية .

8-لا يولي احد من أقاربه: تجلت عدالة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في مبدأ تجنب المحاباة عند تولية المناصب، فقد امتنع عن تولية اقاربه رغم كفاءتهم وسبقهم في الإسلام، ومنهم سعيد بن زيد بن عمرو ، وابنه عبدالله بن عمر. وكان يرى ان تولية القريب تفتح باب التهمة، وتضعف هيبة الدولة، فقدم المصلحة العامة على القرابة (الصلابي، 2002م، ص178؛ الذهبي، 2003م ، ج3، ص106). فكان عمر (رضي الله عنه) يتابع قادته، ويأمرهم ان يكتبوا له بكل ما له شأن من امورهم (القلقشندي، 1963م، ج6، ص285). ارسى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نظاماً رقابياً صارماً على الولاة فكان يلزمهم بالحضور الى الحج سنويا لمحاسبتهم

وسماع شكاوي الرعية منهم، ويعاقب المقصر، ويعزل الظالم، ويمدح المحسن (ابن تيمية، 1961م، ج6، ص158؛ ابن عبد ربه، 1983م، ج3، ص77)

9-الاستقامة والصلاح: ارسى عمر (رضي الله عنه)، قاعدة ان صلاح الرعية مرتبط بصلاح ولاة الامر. وكان يقول: الناس بخير ما استقامت لهم ولاتهم (آل عيسى، 2002م، ص625). ولذلك كان يراقب عماله مراقبة دقيقة حتى قال: اني لأستعمل الرجل لأستعين بقوته ثم أكون على قضائه (ابن منظور، 1955م، ج11، ص267؛ الشريف، 1999م، ص133). أي اتابعه واحاسبه .

تدوين الدواوين:

الديوان عند علماء اللغة هو " مجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه اهل الجيش واهل العطية (الفيروز ابادي، 2005م، ج3، ص224). فالديوان يعني السجل الذي تدون فيه أسماء المستحقين للعطاء، والمكان الذي تحفظ فيه هذه السجلات. وقد استحدثه الخليفة لمواجهة تدفق أموال الفتوحات فكان اول من دون الأسماء على قبائلهم وفرض لهم الأعطية من الفيء، تحقيقاً للضبط المالي والإداري في الدولة الناشئة (القلقشندي، 1963م، ج6، ص278-280؛ الديار بكري، 1999م، ج2، ص248؛ ابن سعد، 2001م، ج3، ص282). ويشير البلاذري الى ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد اجمع على تدوين الديوان في شهر محرم من سنة 20 ه / 640م.

ويلاحظ ان الاسم الذي اطلق على هذا التنظيم الناشئ هو " الديوان " ، غير انه بمرور الزمن اخذ يعرف طبقاً لوظيفته ، فقيل عنه ديوان العطاء . كما اطلق عليه اسم ديوان الجند (القلقشندي ، 1963م، ج6، ص278-282 ؛ ابن الطقطقي، 1966م، ص42-43؛ ابن خلكان، 1972م، ج3، ص289).

لما تدفقت أموال الفتوحات على الدولة الإسلامية احتار عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في توزيعها، فأستشار الصحابة واخذ بمشورة من أشار عليه بتدوين الناس ودواوينهم، فكان اول من أنشأ الديوان لضبط العطاء وتنظيم الحقوق (أبو يوسف، 1973م، ص45). وفي رواية ابن سعد ان الرجل قال له: " إني قد رأيت هؤلاء الاعاجم يدونون، ويعطون الناس عليه ، فدون الديوان (

ابن سعد، 2001م، ج3، ص300). وقد أشار البلاذري الى ان الرجل الذي اقترح انشاء الديوان هو الوليد بن هشام بن المغيرة، اذ قال لعمر: " قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً وجندوا جنداً، فدون ديوانا وجند جندا " (البلاذري، 1987م، ص436).

وهكذا فقد شرع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بتدوين الديوان فكلف كلا من عقيل بن ابي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، بتدوين أسماء الناس الذين يشملهم نظام العطاء وفقا لأنسابهم ودرجة قرابتهم من الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) (ابن خلكان، 1972م، ج3، ص289؛ البلاذري، 1987م، ص436).

تبنى عمر نظام اللامركزية في توزيع العطاء، فأنشأ دواوين في الامصار كالبصرة والكوفة والشام ومصر. وكان كل إقليم يتولى توزيع ايراداته، ويرسل الفائض منها الى ديوان المدينة (ابن الاثير، 1965م، ج2، ص489؛ شلبي، 1985م، ص78).

نظم عمر الديوان لتوزيع العطاء فأمر كل امير بتسجيل أسماء المقاتلين في قبيلته ووحدته مع اعدادهم ، وتجهيزاتهم ومواليهم واهلهم ، وكان الهدف منه ضبط الاستحقاقات المالية وحصر المجندين عند النفير (الشلبي، 1985ه ، ص80؛ الصلابي، 2002م، ص153).

لقد ساعد نظام العطاء على تقوية دور السلطة المركزية للدولة وربط الناس بها من خلال تأثيرها على نظام حياتهم ومعيشتهم. وقد ترتب على توزيع العطاء وبخاصة بالنسبة لذوي العطاءات العالية ظهور فئة من ذوي الدخل الدائم .

الحسبة:

تعد الحسبة من الوظائف التي مارسها النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) بنفسه، حيث كان يتفقد الأسواق، وينهى عن الغش والاحتكار ، وربما فوض ذلك لبعض أصحابه ، واقتفى الخلفاء الراشدون اثره في ذلك (أبو يوسف، 1973م، ص48). يرى بعض المؤرخين ان ولاية الحسبة نشأت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث وضع أسسها وحدد اختصاصاتها. وقد باشرها بنفسه اولاً، ثم فوضها الى رجال اطلق عليهم اسم المحتسب، وتمثلت اهم مهام المحتسب في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومراعاة احكام الشرع

وإقامة الشعائر الدينية، والنظر في المعاملات التجارية مثل البيوع الفاسدة والموازين، والمكاييل ، وكذلك النظر في الآداب العامة(أبو يوسف، 1973م، ص48).

وضع التقويم الهجري:

يمثل التقويم الهجري اول نظام زمني موحد للدولة الإسلامية، اذ استحدثه عمر بن الخطاب لضبط الوثائق والمعاملات بدل التاريخ بالحوادث مثل عام الفيل (الطبري، 1967م، ج2، ص390-391). او ببعثة النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، او بوفاته، او بأحداث سياسية وعسكرية متفرقة، وهو ما أدى الى اضطراب اداري واضح مع اتساع رقعة الدولة بعد الفتوحات الكبرى في الشام والعراق ومصر، اذ أصبحت الحاجة ملحة الى نظام زمني محدد يضبط المراسلات بين مراكز الحكم والاقاليم (ابن الاثير، 1965م، ج2، ص493؛ البخاري، 2002م، رقم الحديث 3902). وقد ذكر ان المسلمين اخذوا يؤرخون بعد هجرة الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) الى المدينة اعتباراً من تاريخ قدومه (ابن الاثير، 1965م، ج2، ص493؛ ابن حجر، 1989م، ج7، ص268-269).

مع توسع الدولة العربية الإسلامية ، وكثرة المراسلات بين الخليفة وبين عماله على الامصار ظهرت الحاجة الى تقويم موحد لتوثيق الكتب فأستجابة لأقتراح أبي موسى الاشعري، أرخ المسلمون من هجرة الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، لكونها الفارقة بين الحق والباطل (الطبري، 1967م، ج2، ص388). واتخذوا بداية الهجرة من شهر محرم ، لأن المحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام (ابن الاثير، 1965م، ج2، ص493؛ ابن حجر العسقلاني، 1989م، ج7، ص207).

وهكذا وضع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) التقويم الهجري ، وكان ذلك في حدود سنة 16ه / 637م

، وهو التقويم الذي استخدمه المسلمون في تدوين الحوادث والاخبار طوال حقب التاريخ الإسلامي (ابن الاثير، 1965م، ج2، ص493؛ المسعودي، 2005م، ج2، ص304).

النظام المالي :

مع تزايد موارد الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، توسعت وظيفة بيت المال من الزكاة فقط الى ضبط إيرادات الدولة ونفقاتها. فتطور ليصبح الجهاز المالي الذي يشرف على جباية الأموال وتوزيعها وفق نظام الدواوين (أبو يوسف، 1973م، ص12؛ ابو عبيد، 1988م ، ص150). شهد بيت المال في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، توسعاً كبيرا ، فاضيف الى الزكاة، الخراج: وهو ضريبة تفرض على الأراضي الزراعية في البلاد المفتوحة صلحاً او عنوةٍ ، ويدفعها أهلها بمقدار معلوم (أبو يوسف، 1973م، ص24؛ يحيى بن ادم، 1979م، ص58). ومن موارد بيت المال في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هي ضريبة العشر، وهي ثلاثة أنواع، الأولى اسلم أهلها طوعاً، والثانية ارض فتحت عنوة ثم قسمها الخليفة على المجاهدين فملكوها ، والثالثة ارض غنيمة تملكها المسلمون (أبو يوسف، 1973م، ص37؛ يحيى بن ادم، 1979م، ص72). ومن موارد بيت المال، أراضي الصوافي وهي مملوكة للدولة وكانت هذه مملوكة للأسرة الحاكمة والنبلاء من الروم والفرس فلما قتلوا أو هربوا نتيجة لحروب التحرير انتقلت ملكيتها للدولة الإسلامية (الطبري، 1967م، ج3، ص605؛ أبو يوسف، 1973م، ص63). تعتبر الجزية من الموارد المالية الثابتة التي اقرها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لبيت المال، وهي ضريبة مالية سنوية على الرؤوس، تفرض على اهل الكتاب من غير المسلمين في دار الإسلام (أبو يوسف، 1973م، ص81 ؛ ابن قدامة، 1985م، ج8، ص375). يعد الفيء من اهم موارد بيت المال في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) ، والفيء: وهو ما يحصل عليه المسلمون من أموال الكفار دون قتال (أبو يوسف، 1973م، ص28؛ ابن حجر، 1989م، ج6، ص231). تعد الغنيمة اهم موارد بيت المال في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهي ما يحصل عليه المسلمون من أموال العدو بعد القتال والنصر، وقد نظم القرآن الكريم طريقة توزيعها في قوله تعالى:{ واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول}(سورة النفال، الآية 41)

مجلس الشورى :

كانت احدى قواعد النظام الإداري التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هي مجلس الشورى الذي يمثل الامة، اذ أوردت اليه قضية مهمة او رسائل من الولاة، يدعو مجلس الشورى للانعقاد في المسجد النبوي (الطبري، 1967م، ج3، ص294). وكان هذا المجلس

يضم كبار الصحابة من المهاجرين والانصار الذين عدوا ممثلين للامة. وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لا يبت في الامر الا بعد اخذ رأيهم، فكان القرار يصدر بأغلبية الآراء. وقد مثلت هذه الممارسة تطبيقا عمليا لمبدأ الشورى في الإسلام (ابن قتيبة، 1967م، ج1، ص44؛ ابن ابي شيبة، 1989م، ج7، ص434).

البريد:

استخدم المسلمون في عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، والخلفاء الراشدين، البريد انشأ الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ديوان البريد لمواجهة مشكلة اتساع الدولة الإسلامية فقد قسم الطرق الى محطات بريدية تقدر المسافة بينها ب اثني عشر ميلاً (أبو يوسف، 1973م، ص173). وجعل في كل محطة، الحرس والماء والطعام، كما ابتكر نظام الإشارات بالنار لنقل الاخبار المستعجلة، فكتب الى معاوية بن ابي سفيان والي الشام يأمره بإقامة المواقد على المرتفعات (ابن الاثير ، 1995م، ج1 ‘ ص11-12). وكان الهدف الأساسي من انشاء ديوان الجند هو سرعة نقل المراسلات والاوامر والاستخبارات بين المدينة المنورة وولاة الأقاليم وقادة الجيوش ، مما ساهم في احكام السيطرة الإدارية والعسكرية على الدولة الإسلامية المترامية الأطراف .

نظام العس:

انشأ الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، العس (ابن منظور، 1955م، ج6، ص139). وهو الطواف في الليل لحراسة الناس وتفقد احوالهم وكان عمر اول من سن النظام من الخلفاء الراشدين، فكان يخرج بنفسه ليلاً ومعه بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف للقيام بهذه المهمة. ولم يقتصر هدف العس على كشف اهل الريبة، وإقامة الحدود، بل تعداه الى تفقد حاجات الرعية والقيام على الضعفاء، كما في قصته مع العجوز العمياء التي كان يتعهدها بالطعام دون ان يعلم بها احد. وقد مثل نظام العس تطبيقا عمليا لمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحرص ولي الامر على رعاية رعيته (ابن قتيبة، 1967م، ج1، ص52؛ الطبري، 1967م، ج3 ، ص296).

الشرطة:

اوجد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جهاز الشرطة: وهو من اهم الأجهزة الأمنية في الدولة. والشرطة هم نخبة الجند الذين اختارهم الخليفة، وتميزوا بعلامة خاصة غالبا ما تكون باللون الأحمر. وكانت مهامهم متعددة: حفظ الامن ليلاً ونهاراً، ومعاونة الولاة والقضاة ، وتأمين الحراسة الشخصية للخليفة. وقد عين الخليفة عمر (رضي الله عنه) حاجباً، لينظم دخول الناس عليه ، وبهذا يعتبر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اول من أسس نظام الشرطة المنظم في الإسلام (ابن الجوزي، 1960م، ج1، ص130؛ القلقشندي، 1963م، ج6، ص282؛ ابن حجر، 1989م، ج13، ص114) .

يعتبر الخليفة عمر(رضي الله عنه)، اول من اوجد مؤسسة السجن في الإسلام، فقد اشترى دار صفوان بن امية بمكة، وجعلها اول سجن في تاريخ المسلمين (القلقشندي 1963م، ج6، ص283). ثم امر ولاته في الامصار باتخاذ السجون، فأنشئ سجن المدينة، وسجن الكوفة (المقدسي، 1980م، ص116). وسجن البصرة (ياقوت الحموي، 1977م، ج1، ص431-432؛ ابن اعثم، 1986م، ص276). وسجن قصر القادسية، وكان الهدف من ذلك حفظ المتهمين، وتنفيذ الاحكام القضائية وضبط الامن .

تنظيم القضاء:

لم يكن القضاء في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) وظيفة مستقلة، بل تولاه النبي بنفسه واستعان ببعض الصحابة كمعاذ وعلي للقضاء والتعليم، دون تخصيص قضاة دائمين او هيئة قضائية منظمة (القطان، 1984م، ج1، ص355-368). يعد عمر بن الخطاب اول من استقل بالقضاء في الامصار، حيث عين قضاة متفرغين لمواجهة اتساع الدولة وكثرة الاعمال بعد الفتوحات (ابن الطقطقي، 1966م، ص48؛ ابن حجر، 1995م، ج3، ص255). كما ذكر ان الخلفاء في صدر الإسلام كانوا يباشرون القضاء بأنفسهم ولا يجعلون القضاء الى من سواهم، وأول من دفعه الى غيره وفوضه الخليفة عمر (رضي الله عنه)، فولى أبا الدرداء معه بالمدينة، وولى شريحا بالبصرة، وولى أبو موسى الاشعري بالكوفة، وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه احكام القضاة (ابن خلدون، 2000م، ص220-221).

احتفظ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لنفسه بسلطة تعيين القضاة لما للمنصب من أهمية متصلة بواجبات الخلافة (ابن خياط، 1977م، ج1، ص128-129). كما اشير الى انه قد خصص للقاضي مرتبا لقاء عمله (القلقشندي، 1963م، ج6، ص286؛ ابن سعد، 2001م، ج2، ص359). يعد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اول من أرسى معالم التنظيم القضائي في الإسلام، ففصل القضاء عن الولاية في الامصار الكبرى كالبصرة والكوفة والشام ومصر وعين لها قضاة ، في حين ابقى الجمع بينهما في مكة المكرمة والطائف واليمن والبحرين، وارسل للقضاة كتباً تتضمن أصول الحكم وتحقيق العدالة (طه، 1998م، ص217-247).

قرر الخليفة تخصيص رواتب للقضاة، لضمان تفرقهم ، وقسم القضاء الى قضايا كبرى وصغرى مع تخصيص قضاة مختصين لكل نوع (الذهبي، 2003م، ج3، ص110). من نماذج قضاءالخليفة (رضي الله عنه)، في حقوق الجوار: منعه لرجل أحدث غرفة بسطح داره وفتح فيها كوة تطل على دار جاره، مراعاة لحرمة البيوت وصوناً للخصوصية (ابن قدامة، 1985م، ج5، ص305؛ ابن ابي شيبة، 1989م، ج5، ص462). من اجتهادات الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) القضائية إجازته الحكم بشاهد واحد مع اليمين ، وقد ورد عن الشعبي ان عمر قضى بذلك في خصومة بين المقداد بن الأسود، ورجل اخر باليمن، وهو اصل اخذ به جمهور الفقهاء في جواز اكمال البينة الناقصة باليمين (ابن ابي شيبة، 1989م، ج6، ص300؛ ابن رشد، 2003م، ج2، ص340).

من اشهر قضاة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وزيد بن ثابت، وابي بن كعب على المدينة المنورة (البيهقي، 2003م، ج10، ص115؛ الذهبي، 2003م، ج3، ص111). من اشهر القضاة في الكوفة في عهد خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). شريح بن الحارث الكندي، وسعد بن ابي وقاص، وعمار بن ياسر (الماوردي، 1973م، ص71). ومن اشهر قضاة البصرة في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، أبو موسى الاشعري الذي جمع بين الولاية والقضاء، وعمران بن الحصين الصحابي الجليل، وكعب بن سوار (البلاذري، 1987م، ص324). عند فتح مصر عين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عمرو بن العاص، واليا على مصر، وعين خارجة بن حذافة العدوي قاضيا لها، وكان خارجة اول من تولى القضاء في مصر تطبيقا لمبدأ عمر في فصل القضاء عن الامارة (

ابن عبد البر، 1992م، ج1، ص450؛ ابن حجر العسقلاني، 1995م، ج2، ص278). وكان الخليفة يشترط في تولي القضاة من عرف بالعلم والفقه.

المبحث الثالث: أثر الخليفة عمر بن الخطاب في اصلاح المؤسسة العسكرية والفتوحات الإسلامية :

تطور الجيش :

يعد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هو اول الحكام المسلمين الذي نظم الجيش كمؤسسة في الدولة وقد باشر بهذا الإصلاح في سنة 637م، حيث كان في البداية يتكون من قبيلة قريش والانصار وهذا النظام اخذ ينمو تدريجيا، ليشمل الجزيرة العربية كلها ثم المسلمين كلهم من الأراضي التي فتحت، وبذلك حول الجماعات المتطوعة في الجيش الإسلامي الى مؤسسة عسكرية نظامية مستقلة. وقد بادر الى انشاء ديوان الجند عام 15ه لغرض تنظيم شؤون المقاتلين عن طريق، تسجيل المقاتلين فقد تم تدوين أسماء القادرين على القتال والجهاد وبدأ بأقارب الرسول (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ثم الأسبق فالأسبق في الإسلام ، ثم فرض رواتب ثابتة وعطايا مالية للجنود وعوائلهم لضمان حياة كريمة. ثم ربط قيمة العطاء بالسابقة في الإسلام والجهاد مع تخصيص نصيب لأبناء المقاتلين (اليعقوبي، 1960م، ج2، ص151؛ القلقشندي، 1963م، ج3، ص380) .

وكان المقاتلين ينقسمون الى فئتين هما: 1-الرجال الذين يشكلون الجيش النظامي.

2-الرجال الذين يعيشون في بيوتهم ويتم استدعائهم الى القتال متى ما دعت الضرورة والحاجة الى ذلك.

كما عمد الخليفة عمر (رضي الله عنه) من اجل تعزيز قدرة وكفاءة المؤسسة العسكرية الى الاتي:

1-إقامة الامصار والمعسكرات لتكون قواعد انطلاق ومراكز امداد للجيوش الإسلامية وابرز تلك الامصار الكوفة والبصرة في العراق والفسطاط في مصر لغرض استيعاب المقاتلين وعوائلهم .

2-تطوير الخطط والتكتيكات والاستفادة من الخبرات واستخدام أسلحة الحصار التي برع فيها الروم والفرس مثل المنجنيق والابراج مع احكام نظام الامداد بين الجبهات والخليفة .

3-التنظيم الميداني حيث شرع الخليفة عمر (رضي الله عنه) الى تقسيم الجيش وفق خطط عسكرية في

ساحة القتال.

4-الشورى العسكرية، اقام مجلساً استشاريا يضم كبار الصحابة والقادة لأعداد ومراجعات الخطط ودراسة النتائج. وقد كان القتال ملزما لمن ثبت اسمه في الديوان ومن يتخلف من القتال فأنه سوف يعاقب حيث تنزع عمامته ويشهر به بين الناس (الخطيب البغدادي، 1997م، ج1، ص67؛ الجاحظ، 1998م، ج2، ص112) .

كما تم الخوض في طريقة التعبئة وأساليب القتال لان للتعبئة أهمية كبيرة في ترتيب الجند في مواضعهم وتهيئتهم للقتال، فأن مفردة التعبئة تعبر عن كل ما يقوم به الجيش من متحركات سوقية لوضعه في حالة استعداد واستنفار تام للقتال وتعد الآية الكريمة : { واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم } (سورة الانفال، الآية 6) المرتكز الأساس والأول الذي استند اليه نظام التعبئة فهو يعني الاستخدام الأمثل لتوزيع الأسلحة والقطعات العسكري في المعارك مع تحشيد جميع الطاقات المادية والمعنوية اللازمة لتحقيق النصر (السامرائي، 1976م، ص8). وقد تطور نظام التعبئة عند العرب تبعا للمتغيرات والظروف والعوامل التي رافقت تطور المؤسسة العسكرية ويمكن تقسيم نظام التعبئة الى ما يأتي:

1-نظام الكر والفر والذي يعني الاغارة بقوة خاصة يتم تسليحها وتدريبها بشكل خاص لتنفيذ واجب محدد. وتعتمد على عامل المباغتة في توجيه ضربة قوية . وكان هذا النوع من القتال يسمى عند العرب " بالرجعة بعد الجولة " او " الكرة بعد الفره " والغرض من الجولة ان تعرف القبيلة المتسببة في الفرار لانهم كانوا يصفون جندهم على أساس قبلي فيعين القائد لكل قبيلة مركزها ويجعل زعيمها قائدها لتتبارى القبائل في اظهار بطولاتها (ابن الطقطقي، 1966م، ص112؛ السامرائي،1976م، ص97-98).

وكان العرب قد اتخذوا هذا النوع في القتال في حروبهم قبل الإسلام وفي عهد الرسول (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) كونه يلائم طبيعة الصحراء التي يعيشون فيها وابرز مثال على ذلك معركة ذي قار التي حدثت بين العرب والفرس في العراق ، اثنا الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله

وسلم) عندما قام احد الفرسان الابطال بقطع احزمة الهودج فسقطت على الأرض وصاح بقومه: ان يقاتل كل رجل عن حليلته ثم ضرب قبة وقال: الا افر حتى تفر القبة مما دفع المقاتلين الى الكر باتجاه العدو وبحماس شديد (الطبري،1967م، ج1، ص479) .

2-نظام الصنوف والذي وضعه الرسول الكريم (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) كنظام يتلائم وينسجم مع قلة المسلمين العددية بالقياس الى كثرة اعدائهم وعلى ضوء ما جاء بالآية الكريمة: { ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص } (سورة الصف، الآية 4). وهنا يعد هذا النوع من القتال تحول او انتقال من نظام الكر والفر الى نظام الصفوف وهو عملية ترتيب الصفوف وتسوى كما تسوى القداح او صفوف الصلاة ويزحفون بصفوفهم الى العدو قدما دون أي فكرة للتراجع والذي يسبب رهبة للعدو لأنهم بمثابة الحائط الممتد المشيد الذي لا يمكن ازالته (ابن خلدون، 2000م، ص271).

وان هذا الأسلوب من القتال يكون فيه رجال الصف الأول وهم المسلحون بالرماح الطويلة يجثون على ركبهم ويحمون انفسهم بالتروس من نبال الأعداء ورماحه ويغرسون رماحهم الطويلة في الأرض موجهين رؤوسها الى الأعداء ويتمركز النبالون خلف المشاة حاملي الرماح ويرمون العدو من فوق رؤوسهم (السامرائي، 1976م ص18). وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها حتى يفقد هجوم العدو قوته وشدته عند ذلك تتقدم الصفوف للزحف على العدو (السامرائي، 1976م ، ص101-102؛ الديار بكري، 1999م، ج2). وقد الغى المسلمون " الفر " الغاءً تاماً فكان ذلك مفاجأة صاعقة لخصومهم وتعد معركة بدر سنة 2ه / 623م اول معركة طبق المسلمون فيها هذا النظام الجديد في القتال. وهذا يعكس شجاعة المقاتل المسلم وتساميه عن طريقة الفر على الرغم من انها طريقة قتالية ولكنه يرى ان موضوعة الفر فيها مثلمة (ابن خلدون، 2000م، ص271) .

3-نظام الكراديس والذي يقوم على تقسيم الجيش المحارب الى عدة كتل سميت كل كتلة كردوسا والكردوس يتألف من الف جندي وجعلوا لكل كردوس قائد وبين الكردوس والأخر فرجات مناسبة تتحكم بسعتها طبيعة الأرض وسلاح العدو وان أسباب هذا التحول يعود الى اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية وتزايد اعداد الجند أدى الى ان يجهل هؤلاء الجند بعضهم بعضا (ابن خلدون، 2000م، ص274) . وأيضا هجرة العرب المسلمين من البادية واستيطانهم المدن صعب عليهم

اصطحاب النساء والأولاد في القتال واقتصروا على الخيام (حسني، 1978م، ص148-150) .

4-نظام الخميس وهو يقسم القوات الى خمسة اقسام بغية تأمين الحماية من جميع الجهات.

ا-المقدمة: وتكون امام القلب من الجيش وتتكلف بصد هجمات العدو من جهة الامام واستطلاع الارض

بواسطة قوة الطلائع التي تتقدم الجيش .

ب-الميمنة: وموقعها الى اليمين من القلب وواجبها حماية الجناح الأيمن للقطعات.

ج-الميسرة: وموقعها الى اليسار من القلب وواجبها حماية القطعات من الجانب الايسر .

د-القلب: ويضم القسم الأكبر من القطعات ومكانه في الوسط وفيه مقر القائد العام للتشكيل.

ه-الساقة: وموقعها خلف الجيش وتضم قوات الحماية مع وحدات الشؤون الإداري (السامرائي، 1976م، ص105؛ الصفدي، 1990م، ج20، ص85).

الفتوحات:

لعب الجيش العربي الإسلامي منذ البواكير الأولى دورا كبيرا ومتميزا في نشر الدعوة الإسلامية وبسط لواء الحق والعدل من عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) وحتى حكم الخلفاء الراشدين وتثبيت اركان الدولة الإسلامية وقد استمرت الإنجازات العسكرية والتي دائما ما تتكلل بالنصر وقد كان للخليفة الراشدي الثاني عمر (رضي الله عنه) الحصة الأكبر في عمليات الفتح الإسلامي.

ففي عهده تمت اعظم الفتوحات الإسلامية على مر العصور فقد تم طرد الروم وانهاء وجودهم في الشام، وفتح مصر التي كان سكانها خليط من الاقباط وهم السكان الأصليين والروم الذين يمثلون الجند والموظفين ورجال الدين ومع مرور الزمن استطاع المسلمين من احتواء هؤلاء ودخولهم الدين الإسلامي (حسني، 1978م، ص45-50؛ أبو الفداء، د. ت، ج2، ص138). كما تم القضاء على حكم الإمبراطورية الفارسية وفتح العراق بأكمله مع بلاد فارس ومع سجستان (

سجستان اصلها مشتق من اسم رجل وقيل الى السجزيين وهم قوم نزلوها، إضافة الى أستان التي تعني البلاد وتم فتحها في عهد الخليفة عمر (ياقوت

الحموي، 1977م، ج3، ص186). ومن اهم الفتوحات التي حدثت في عهد الخليفة عمر هي:

أ-فتح بلاد العراق:

كان اول عمل ما باشر به الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعد مبايعته بالخلافة ، الدعوة الى النفير لقتال الفرس في العراق . الا ان الناس تثاقلوا عنها لهيبة سلطان الفرس وشوكتهم ، مما كشف عن ادراك المسلمين آنذاك لصعوبة المواجهة وعظم البأس الفارسي (الطبري، 1967م، ج3، ص444؛ الملاح، 2007م، ص330) .

لعب المثنى بن حارثة الشيباني دورا محوريا في تحفيز الناس للألتحاق بجيش العراق ، فبدد مخاوفهم بذكره انتصارات المسلمين السابقة على الفرس ووعدهم بالنصر. كما ان الخليفة حث الناس بنفسه على الجهاد ، مما يدل على الأهمية الاستراتيجية لتلك الجبهة وضرورة حسمها لصالح الدولة الإسلامية وتعزيز قوتها(ابن الجوزي، 1960م، ج2، ص132؛ الاصبهاني، 1967م، ج2، ص43-44) .

استجاب أبو عبيدة بن مسعود الثقفي لنداء الخليفة للجهاد في العراق، فخرج بالف مقاتل ، فولاه الخليفة عمر قيادة الجيش رغم انه لم يكن من السابقين من المهاجرين والانصار(البلاذري، 1987م، ص241).

كلف الخليفة عمر (رضي الله عنه) أبا عبيدة بن مسعود الثقفي بقيادة جبهة العراق مكافأة له على سرعة استجابته وتضحيته ، واوصاه بمشاورة الصحابة والتثبت في الراي، فتوجه على راس جيشه وعمل مع المثنى بن حارث على حشد العرب للجهاد تأكيدا لأهمية المعركة في تحقيق النصر (حسني، 1978م، ص187-189؛ الديار بكري، 1999م، ج2، ص218) .

حقق جيش ابي عبيدة انتصارات أولية في العراق بمعركتي النمارق والسقاطية ، الامر الذي دفع الفرس الى حشد قوة كبيرة لمواجهته. فكانت معركة الجسر عند نهر الفرات (الطبري، 1967م، ج3، ص346، الملاح، 2007م، ص331) . تمركزت القوات الفرس على الضفة الشرقية لنهر الفرات ، في حين تمركز المسلمون الضفة الغربية. ولحرصهم على خوض القتال بادروا الى

عبور الجسر، فدارت معركة حامية عند مواقع الفارس. وقد مني المسلمون بهزيمة كبيرة في "معركة الجسر" بسبب تفوق الفرس عدديا وعدة، ولا سيما استخدامهم الفيلة التي أربكت خيول المسلمين، وانتهت بأستشهاد القائد أبي عبيدة بن مسعود الثقفي (البلاذري، 1987م، ص252 ؛ الصفدي، 1990م، ج9، ص13). ساءت أوضاع المسلمين في معركة الجسر عندما اقدم احدهم على قطع الجسر ليشجع الجيش على الصمود ، فتسبب ذلك في إعاقة انسحابهم وزيادة خسائرهم وقد وقعت المعركة في رمضان سنة 13ه / 634م ، واستشهد فيها القائد ابي عبيدة، فتولى المثنى بن حارثة الشيباني . أثرت الهزيمة في الخليفة عمر اثرا بالغاً حتى كاد يترك ذكر العراق سنة كاملة، ثم أدرك انها مواجهة مصيرية فندب الناس للجهاد ، ولما تثاقلوا هم بالخروج بنفسه، واستجاب له جرير بن عبدالله البجلي فقدم بجيشه الى العراق (ابن الجوزي، 1960م، ج2، ص140). نتيجة خطورة الموقف العسكري ، استنجد عمر بن الخطاب بالقبائل التي ارتدت ثم أعيدت الى الإسلام في حروب التحرير فكتب اليهم للألتحاق بالقتال فلم يستجب الا من ارسلهم نجدة للمثنى بن حارثة في جبهة العراق (ابن الطقطقي ، 1966م، ص65).أدرك الخليفة خطورة الوضع في جبهة العراق فاستثمر عودة المرتدين الى الإسلام بعد حروب الردة، فأستدعاهم للمشاركة في القتال لإتاحة فرصة لهم لإثبات ولائهم وتعويض النقص في صفوف المسلمين (الملاح، 2007م، ص332). عندما تمركز الفريقان على ضفتي الفرات عند البويب ، عرض مهران قائد الفرس على المثنى بن حارثة العبور او ان يعبر هو، فأذن له المثنى فعبر بجيشه ونزل بالملطاط (الصفدي، 1990م، ج18، ص43). شهد شاطئ البويب الشرقي معركة عنيفة خاضها المسلمون ، وقاتلوا فيها قتال الابطال لتعويض هزيمة الجسر وتاكيد وجودهم المهدد، وبرز فيها بوضوح طابع الحماس القومي (الملاح، 2007م، ص332). شارك نصارى بني تغلب مع المسلمين في المعركة بدافع العصبية القبلية، اذ أعلنوا قتالهم مع قومهم العرب ضد العجم حتى مع اختلاف الدين، وتعهدوا بالانقضاض مع من يحمل على مهران (حسني، 1978م ، ص195-197).

انتهت المعركة بانتصار حاسم للمسلمين ومقتل مهران قائد الفرس على يد غلام نصراني من تغلب ، وخلفت خسائر جسيمة في صفوف الفرس حتى غدت جثثهم تلالاً. وقد أعاد هذا النصر موازين القتال لصالح المسلمين، فتابعوا شن الغارات بين الحيرة وكسكر وسواد العراق وعين

التمر، ممهدين بذلك لمعركة القادسية سنة 15ه التي حسمت الوضع في جبهة العراق (ابن خياط، 1977م، ج1، ص101). حشد الفرس بعد استقرار حكم يزد جرد الثالث جيشاً ضخماً لمواجهة المسلمين ، اذ تذكر المصادر ان عددهم بلغ نحو مائة وعشرين الف مقاتل مجهزين بأحسن الأسلحة والخيول والفيلة . بينما تشير روايات أخرى الى انهم تراوحوا بين أربعين الفاً وستين الفاً. ويعكس هذا الحشد الكبير مدى استعداد الفرس وتأهبهم لمعركة مصيرية ، إدراكاً منهم لصلابة عقيدة المسلمين وقدرتهم القتالية .

لقد قام الخليفة عمر بن الخطاب بمواجهة استعدادات الفرس بان حشد في مواجهتهم قوة عسكرية ذكرت بعض المصادر انها كانت تتراوح بين ستة الاف الى عشرة الاف (حسني، 1978م ، ص200-202). وهو عدد لا يمكن مقارنته بعدد مقاتلي الفرس الا ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان كما يبدو يعول كثيرا على شجاعة المقاتلين المسلمين وارتفاع معنوياتهم بفضل عقيدة الإسلام التي حببت اليهم الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

عين الخليفة عمر بن الخطاب، سعد بن ابي وقاص قائداً لجبهة العراق خلفا للمثنى بن حارثة الذي توفي اثر مرض قبل بدء المعركة، وكان المثنى بن حارثة من ابرز القادة الذين رفعوا معنويات المقاتلين وحثوهم على الصمود في مواجهة الفرس. وجاء اختيار سعد لما عرف عنه من شجاعة وحنكة عسكرية وقدرة على وضع الخطط المحكمة لحسم المعركة (الصفدي، 1990م، ج18، ص45).

لقد وقعت هذه المعركة عند موضع قريب من الحيرة على حافة الصحراء على الضفة الغربية من نهر الفرات يدعى القادسية ومنه اخذت معركة القادسية اسمها (الانباري، 1971م ، ص87؛ الملاح، 2007م، ص334). وتجمع المصادر على ان هذه المعركة كانت من اعنف واشرس المعارك التي خاضها المسلمون في مواجهة الفرس وقد استمرت أربعة أيام تواصل القتال في بعضها ليلاً ونهاراً وقد انتهت بانتصار المسلمين نصرا حاسما على الفرس . مما اجبر القوات المنهزمة على الانسحاب الى المدائن " طيسفون " التي كانت عاصمة الساسانيين للتحصن بها. ولم يفوت المسلمون هذه الفرصة فتابعوا القوات المنهزمة الى المدائن وما زالوا يضيقون عليها الحصار حتى ارغموها على الاستسلام. وفر منها يزد جرد ملك الفرس الى حلوان معه أساورته وحمل معه بيت ماله وما خف من متاعه وخزانته والنساء والذراري وكانت السنة التي هرب فيها

سنة مجاعة وطاعون عم اهل فارس (ابن الجوزي، 2006م، ج4، ص210). وهذا هو ديدن الحكام عندما يرون ان الهزيمة حتمية سوف يتخلى عن شعبة ويبقى همة الوحيد كيف يفر بنفسه مع خزانته من أموال ومجوهرات وبصحبة اسرته اما غير ذلك فلا يعنيه شيئا. لقد كان الاحرى بيزد جرد ان يعمل على وقف القتال بعد ان هزم جيشه في اكثر من معركة وفقد عاصمة ملكه الا ان العناد غلبه فأستمر بتجهيز الحملات العسكرية المتوالية لمقاومة المسلمين مما أدى الى هزيمة جيشه مرة أخرى عند جلولاء (ابن خياط، 1977م، ج1، ص107). وبهذا انتهت السيطرة الفارسية الساسانية على سواد دجلة وانسحب يزد جرد الثالث وقواته الى داخل الهضبة الإيرانية . ورغم رغبة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في إيقاف الحرب عند هذا الحد ، اصر الفرس على مواصلة القتال مما دفع المسلمين الى متابعة الفتوحات داخل ايران، فتم بذلك القضاء النهائي على الدولة الساسانية وانضمام أقاليمها الى الدولة الإسلامية (ماجدة، 1980م، ج1، ص202 ؛ طه حسين، 2001م ، 156-157). ادخلت انتصارات المسلمين في العراق في القادسية والمدائن الرعب في نفوس البيزنطيين بالموصل والجزيرة ، فحركوا قواتهم الى تكريت واستعدادا لمواجهتها. وعندما بلغ الخبر سعد بن ابي وقاص اخبر الخليفة عمر بن الخطاب ، فأمره بتوجيه جيش بقيادة عبدالله بن المعتم وعلى مقدمته ربعي بن الافكل العنزي لتحرير تكريت (ابن الجوزي ، 2006م ، ج4، ص211). اعتمدت خطة تحرير الموصل على عنصر المباغته لنفويت الفرصة على الروم وحلفائهم في الاستعداد للمقاومة ، مع الاستفادة من ولاء القبائل العربية المتعاونة مع المسلمين. فقد سبق رسل من تغلب واياد قوات المسلمين وبشروا اهل المدينة بأنتصار الروم، مما دفعهم لفتح الأبواب وترك الاستعداد، فدخلها ربعي بن الافكل دون قتال يذكر. وبذلك تم تحرير الموصل صلحاً لا عنوة ، فأمن عبدالله بن المعتم المقيمين ومنحهم الذمة، في حين فر من أبى الصلح (الصفدي ، 1990م، ج18، ص146؛ الملاح، 2007م، ص337).

وبذلك تمكن المسلمون من انجاز صفحة تحرير العراق بانتصار تلو الانتصار والقضاء على النفوذ الأجنبي بحيث عادت تلك الأراضي بأهلها الى أحضان الدولة العربية الإسلامية.

ب-فتح بلاد الشام:

حين تولي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الخلافة كانت الجيوش الإسلامية في الشام قد سجلت احد ابرز انتصاراتها على الروم في معركة أجنادين وراحت تستثمر اثار هذا الانتصار في

محاولة القضاء على القوة البيزنطية في مختلف انحاء بلاد الشام وقد تمكنت قوات المسلمين ان تهزم الروم في معركتين كبيرتين في وقعة فحل من الأردن ومرج الصفر وهم متوجهون الى دمشق (البلاذري، 1987م، ص122 و ص125). وبينما كانت قوات المسلمين تحاصر مدينة دمشق وقد أوشكت ان تدخلها صلحاً بعد ان ابدى سكانها رغبتهم في المصالحة وكانت القيادة بيد خالد بن الوليد وصلت رسالة من الخليفة عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح الذي كان احد قادة الجيوش التي تعمل تحت امرة خالد بن الوليد وهو احد كبار صحابة رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) يعلمه فيه قد عينه قائداً عاماً على القوات المكلفة بتحرير بلاد الشام بدلا عن خالد بن الوليد (ابن خياط، 1977، ج1، ص94؛ المزي، 1980م، ج33، ص191-194). وان أبا عبيدة بن الجراح حين تسلم رسالة عزل خالد بن الوليد عن امارة الجيش كتمها واستمر يعمل تحت أمرة خالد حتى انتهى من تحرير دمشق وعقد الصلح مع أهلها فلما سأله خالد عن سبب ذلك بقوله ما دعاك رحمك الله الى ما فعلت قال: كرهت ان اكسرك وأوهن امرك وانت بإزاء عدو . وهذا يدل على حكمة القائد أبو عبيدة الجراح وتفهمه لأبعاد القرار واثارة لذلك كان على حذر شديد من ان هذا الامر قد يعود بالسلب على روح قائد الجيش في ادارته وقدرته وان لا يضعف من عزيمته في قتال العدو

ان انتصارات المسلمين المتتالية في بلاد الشام قد فتحت الطريق امامها نحو الشمال حيث تقع حدود الإمبراطورية البيزنطية ومركز حكمها مما ادخل الخوف الى قلب الامبراطور البيزنطي وجعله يبادر الى حشد جموع كثيرة من الروم واهل الشام واهل الجزيرة وارمينية .لمقاتلة جيوش المسلمين حتى قدرت بعض الروايات عددهم بمائتي الف في حين روايات أخرى ذهبت الى ان عددهم يقدر بمائة الف. لقد حملت هذه الاستعدادات الكبيرة للروم، المسلمين على تجميع قواتهم من مختلف المناطق وحشدها في موضع يسهل الدفاع عنه في مواجهة قوات الروم وكان ذلك الموضع هو وادي اليرموك في الأردن على حافة الصحراء حيث يسهل على العرب تلقي الامدادات والانسحاب عند الضرورة (الصفدي، 1990م، ج18، ص48- 49 ؛ ابن الجوزي، 2006م، ج4، ص201-203) . وقد بلغت قوات المسلمين التي حشدت لهذه المعركة أربعة وعشرين الف مقاتل، وقد اشير الى ان المسلمين افلحوا في اجتذاب المتحالفين مع الروم للقتال الى جانبهم في هذه المعركة ويذكر ان جبلة بن الايهم الغساني الذي كان على مقدمة جيش الروم في

مستعربة الشام من لخم وجذام وغيرهم قد انحاز الى الأنصار فقال : انتم اخوتنا وبنو أبينا وأظهر الإسلام . وهكذا فقد استطاع المسلمون ان يتغلبوا على مشكلة الفارق العددي بينهم وبين قوات الروم بسبب ارتفاع معنوياتهم وحسن استعدادهم للقتال واجتذابهم للعرب المتحالفين مع الروم للقتال الى جانبهم وبذلك تمكنوا من ألحاق هزيمة فادحة في قوات الروم البيزنطيين لقد حملت هزيمة الروم في معركة اليرموك التي وقعت في رجب من سنة 15ه / 636م (ابن الاثير، 1995م ، ج1، ص484-485). امبراطور الروم على الياس من استرجاع بلاد الشام مرة أخرى من ايدي المسلمين ولما بلغ هرقل خبر اهل اليرموك وايقاع المسلمين بجنده هرب من انطاكية الى القسطنطينية فلما جاوز الدرب قال: عليك بسورية السلام ونعم البلد هذا للعدو. وهنا يعلم هرقل مدى أهمية سورية وأيضا كان متيقننا من ان المسلمين مصممين على احراز النصر وألحاق الهزيمة بهم لذلك لا بد من الهروب قبل ان يقع في قبضة المقاتلين المسلمين (الصفدي، 1990م، ج18، ص49).

ان انتصار المسلمين الحاسم على الروم في معركة اليرموك قد افسح المجال امام المسلمين للعودة الى جميع المدن التي انسحبوا منها بعد تحريرها واستكمال تحرير المدن الأخرى وان مما له دلاله عميقة حول معاملة المسلمين لسكان البلاد المحررة وموقف هؤلاء السكان منهم ولما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا اهل حمص ما كانوا اخذوا منهم من الخراج وقالوا: قد شغلنا عن نصركم والدفع عنكم فأنتم على امركم فقال: اهل حمص لولايتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان نغلب ونجهد فأغلقوا الأبواب وحرسوها وكذلك فعل اهل المدن الأخرى (ابن الاثير، 1965م ، ج2، ص485-486). وهكذا فقد عاد المسلمون الى حمص وغيرها من مدن الشام بعد انتصارهم في اليرموك وسط حفاوة وترحيب الناس بهم لانهم نظروا اليهم بصفتهم محررين لا فاتحين .

وقد كان قادة جيوش التحرير الإسلامية حريصون على تالف قلوب الناس وتحقيق أهدافهم بأيسر السبل وأقلها تضحيات في الأرواح لذا فأنهم حينما حاصروا مدينة القدس التي كانت تدعى إيلياء وطلب أهلها الصلح مع المسلمين على ان يكون من يتولى عقده معهم الخليفة نفسه وافق أبو عبيدة بن الجراح امير المسلمين في الشام على ذلك وكتب الى الخليفة عمر بذلك فقدم عمر الى القدس

فصالحوه على الجزية وفتحوها للمسلمين . وقد اشارت بعض المصادر الى ان قدوم عمر الى بلاد الشام كان في سنة 17ه / 638م وانه نزل في الجابية احدى عمال دمشق حيث اجتمع بقادة المسلمين فيها وتدارس معهم أوضاع بلاد الشام ومشكلاتها ووضع المعالجات اللازمة (ابن عبد الحكم، 1999م، ص53، ص56؛ الملاح، 2007م، ص342). وبذلك فان تم تحرير الجبهة الثانية والمهمة والتي لا تقل أهمية عن فتح بلاد العراق وكل ذلك تم بحرص الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على ان تكون ارض العرب المسلمين تحت حكم وسيطرة الدولة العربية الإسلامية .

ج-فتح بلاد مصر

بعد ان تم تحرير بلاد الشام والجزيرة واستقرار الأوضاع فيها بصورة تامة توجه القائد عمرو بن العاص سنة 20ه / 641م الى جبهة مصر لغرض تحريرها من التسلط البيزنطي على رأس جيش مؤلف من ثلاثة الاف وخمسمائة مقاتل. وعلى ما يبدو ان هذا الجيش كان بمثابة قوة استطلاع هدفها التعرف على مدى استعداد الروم وما اعدوا من قوات وخطط لغرض قتال المسلمين على ان يتم بعدها تقديم الامدادات الضرورية واللازمة في سبيل تحقيق أهدافها (ابن عبد الحكم، 1999م، ص16) .

وان عمرو بن العاص لم يدخل مصر الا بناءً على قرار وتوجيه من الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وربما جاء هذا القرار بعد المداولات التي تمت بين الخليفة، وعمرو بن العاص في الشام حينما اجتمع به الخليفة في الجابية . حيث ان الخليفة عمر حين فرغ من تحرير الشام كلها كتب الى عمرو بن العاص ان يسير الى مصر في جنده فخرج حتى فتح باب أليون في سنة 20ه (ابن عبد الحكم، 1999م، ص56، ص104) . وقد كتب الخليفة عمر الى عمرو بن العاص ان سر الى مصر فسار وبعث الخليفة عمر (رضي الله عنه) الزبير بن العوام مدداً. وقد سار عمرو بن العاص من فلسطين الى مصر عن طريق الساحل البحري باتجاه العريش حيث توجه منها الى الفرما (ابن عبد الحكم ، 1999م، ص58) . وهي مدينة في موقع مشرف حصين على مرتفع يبعد ميلاً ونصف الميل عن البحر المتوسط وكان اسمها القديم بلور (بيلو سيوم) . وكان في مدينة الفرما قوم مستعدون للقتال فحاربهم عمرو بن العاص وهزمهم وسيطر على معسكرهم (ابن عبد الحكم ، 1999م ، ص58). ثم واصل منها تقدمه الى منطقة القاهرة

القديمة الفسطاط وكان فيها حصن منيع اسمه بابليون اطلق عليه بعض المؤرخين العرب اسم اليونة . ومضى عمرو بن العاص قدما الى الفسطاط فنزل جنان الريحان وقد خندق اهل الفسطاط وكان اسم المدينة إليونة فسماها المسلمون الفسطاط لأنهم قالوا: هذا فسطاط القوم ومجمعهم. لقد حاصرت قوات عمرو بن العاص حصن بابليون وفي اثناء الحصار وصلتها النجدة بقيادة الزبير بن العوام ومعه جيش مؤلف من حوالي عشرة الاف الى اثني عشر الف مقاتل مما ساعد عمرو بن العاص على ارغام اهل الحصن على طلب الصلح والموافقة على أداء الجزية للمسلمين(حسني، 1978م، ص220-223؛ ابن عبد الحكم، 1999م، ص35-40). وهذه الحملة تتميز بان قيادتها من القادة الذين يتمتعون بقدرات وكفاءات قتالية فائقة تعطي للمقاتل زخماً كبيراً من المعنويات العالية في القتال ببسالة وشجاعة فائقة من اجل تحقيق النصر.

بعد ذلك جمع عمرو بن العاص قواته وتوجه لتحرير الإسكندرية اخر معاقل الروم في مصر وفي الطريق قابلته قوات الروم وحلفاؤهم من القبط عند منطقة تدعى الكربون فأشتبك معهم في معركة عنيفة تمكن فيها من ألحاق الهزيمة بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة. وقد أدت هذه الهزيمة الى تحطيم معنويات الروم وانسحابهم الى الإسكندرية للتحصن بها غير ان جيش المسلمين واصل تقدمه نحو الإسكندرية وفرض حصارا شديدا عليها استمر ثلاثة اشهر حتى ارغم القوات المدافعة عن المدينة على الاستسلام وقبول شروط الصلح التي عرضها عليهم عمرو بن العاص. وبذلك أصبحت جميع مصر ضمن أقاليم الدولة العربية الإسلامية وكان ذلك في حدود سنة 21ه / 642م (ابن عبد الحكم،1999م، ص72).

وبعد ان حققت قوات المسلمين أهدافها في مصر واستقرت الأوضاع فيها توجهت نحو الغرب باتجاه برقه وطرابلس فتم تحريرها من الروم البيزنطيين وعقد الصلح مع أهلها وذلك في سنة 22ه / 643م وبذلك تم ترسيخ الوجود العربي الإسلامي في افريقيا (حسني، 1978م، ص225-227). ولعل ان الدافع الإيجابي والمهم الذي حرك الاحداث واسهم في حدة القبائل العربية المتفرقة بحيث هرعت للاشتراك في القتال والجهاد في حروب التحرير هو الدين الإسلامي الذي اعطى للإنسان قيمته الحقيقية ورفع من شأنه فكانت قوة الجيوش الإسلامية المحررة تكمن بوجود الإسلام فهو بمثابة القوة الدافعة للوصول الى الأهداف فضلا عن حكمة الخليفة في كيفية اختيار القادة المناسبين والمؤهلين ومتابعة الخطط القتالية ومعالجاته السريعة لكل

ثغرة في مختلف نواحي الدولة العربية الإسلامية من اجل ديمومة زخم الانتصار وبذلك فهو من اعظم الإنجازات في تاريخ الإسلام حيث تم دحر اعتى امبراطوريتين الساسانية والبيزنطية والقضاء على نفوذهم.

الخاتمة:

من اهم النتائج التي تم التوصل اليها ما يلي :

1-كان لإسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وهجرته أثر مهم في تقوية المسلمين وعزتهم. فقد تميزت شخصيته بالحزم والعدل والزهد، مما أنعكس بشكل مباشر على طبيعة الحكم في عهده. فكانت قراراته الإدارية والعسكرية والمالية نابعه من رؤية واضحة ، جمعت بين متطلبات الدولة الناشئة وبين القيم الإسلامية، الامر الذي جعل من عهده انموذجاً للحكم الرشيد.

2-يعتبر الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اول من أسس نظام المؤسسات في الاسلام

من خلال انشاء الدواوين، وبيت المال والبريد، والقضاء وغيرها من المؤسسات المنظمة. وقد شهدت المؤسسة الإدارية في عهده "13-23ه "، نقله نوعيه ، وتطور كبير ، ويرجع ذلك الى أتساع رقعة الدولة

الإسلامية، وازدياد رقعة الفتوحات، الامر الذي أستدعي وضع أسس تنظيمية دقيقة لإدارة الأقاليم، وضبط الأموال، وتحقيق العدالة بين الرعية.

3-ترسيخ مبدأ المحاسبة المالية للولاة: تميز عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالتشدد في محاسبة الولاة على أموالهم، ومصادرة ما زاد منها عن حده الطبيعي او ما جمع بطرق غير شرعية وقد هدف من ذلك الى صيانة المال العام ومنع استغلال المنصب الإداري للكسب الخاص.

4-العزل الإداري لتحقيق المصلحة العامة: كان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، يعزل بعض الولاة والقادة والقضاة ، ليس بسبب تقصير او خيانة، وانما اجتهاد منه في وضع الشخص الأنسب في المكان المناسب، ومن ابرز الأمثلة عزل خالد بن الوليد من قيادة جيش الشام وتعين ابي عبيدة بن الجراح ، بهدف توحيد القيادة وتحقيق مصلحة المسلمين. انشأ عمر بن

الخطاب (رضي الله عنه) ديوان المظالم وارسى قاعدة محاسبة الولاة وعزلهم مما حدد من الفساد الإداري.

5-اتسم الفكر العربي الإسلامي في صدر الإسلام بالانفتاح الحضاري، والقدرة على الاستيعاب، فقد اطلع المسلمون الأوائل على النظم العسكرية المتقدمة وتجهيزاتها ووسائلها القتالية بما يتناسب مع متطلبات المرحلة. وقد قام الجيش العربي الإسلامي على مبدأ " الامة المقاتلة " ، وهو مبدأ تنظيمي قامت عليه الدولة الإسلامية في عصورها الأولى ، حيث كان الجهاد والدفاع عن الدولة واجبا عاماً يشارك فيه أبناء الامة .

6-الاهتمام بتنظيم الجيش وإرساء النظام المالي: أولى الخليفة عناية كبيرة بتنظيم المؤسسة العسكرية من خلال تحديد رواتب الجند والاهتمام بتدريبهم وتسليحهم، وانشاء الحاميات على الثغور، كما أسس بيت المال كخزانة مركزية لضبط المال العام، وقسم الدولة الى ولايات وعين لها ولاة مع تفعيل نظام الرقابة والمحاسبة لضمان الالتزام بالمعايير الشرعية والإدارية.

7-لم تكن دوافع الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ذات طابع مادي

أو توسعي بحت. فقد انطلقت الجيوش الإسلامية لفتح بلاد فارس وغيرها بهدف دفع الخطر السياسي الذي مثلته الدول المجاورة التي تحالفت مع الصين والأتراك للقضاء على الدولة الإسلامية الناشئة. وعليه فقد جمعت الفتوحات بين هدفين أساسيين : هما نشر الدعوة الإسلامية، وحماية المنجزات التي تحققت للدولة الإسلامية وتامين حدودها .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت 630ه)

1. اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح: علي محمد عوض، عادل احمد عبد الموجود ، دار الفكر، بيروت، 19995م.
2. الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1965م.

احمد بن حنبل، احمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت 241ه):

3. مسند احمد، تح: شعيب الأرنؤوط واخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م.

الاصبهاني، احمد بن عبدالله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت 430ه):

4. حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتاب العربي، بيروت،1967م.

ابن اعثم، أبو محمد بن اعثم بن جابر بن زيد الكوفي (314ه):

5. الفتوح، تح: علي شيري ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت 256ه):

6. صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، 2002م.

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279ه):

7. انساب الاشراف، تح: سهيل زكار، رياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، 1996م.

8. فتوح البلدان، تح: د. عبدالله انيس الطباع، عمر انيس الطباع، دار الكتب العلمية، بيروت،1987م.

أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت211ه):

9. المصنف، تح: حبيب الرحمن الاعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403ه .

البيهقي، احمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى (458ه):

10. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

11. السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، 2003م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي (ت 279ه) :

12. سنن الترمذي، تح: الشيخ احمد محمد شاكر واخرون، بيروت، 1998م.

ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله الحراني (ت 728ه):

13. السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، مطبعة المدني، القاهرة، 1961م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت 255ه) :

14. البيان والتبين ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت 597ه):

15. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: جمال عبد الهادي ، محمد سيد، القاهرة، 2006م.

16. صفة الصفوة، تح: محمود فاخوري، دار الحديث، القاهرة، 2001م.

الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد الطهماني (ت 405ه):

17. المستدرك على الصحيحين ، دار المعرفة، بيروت، 1398ه.

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد بن حبان البستي (ت 354ه):

18. المشاهير في اخبار الرجال، تح: بزيع ياسين، دار الوفاء، المنصورة، 1991م.

19. السيرة النبوية واخبار الخلفاء، تح: عزيز بك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن امية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت245ه):

20. المحبرفي اخبار العرب، طبعة حيدر اباد ، د. ت.

ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد الكناني (ت 852ه).

21. الإصابة في تمييز الصحابة، تح: علي محمد معوض، عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

22. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1989م.

ابن حزم ، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب الاندلسي (ت 456ه):

23. جمهرة انساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

ابن خردا ذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خردا ذبه (ت 272ه):

24. المسالك والممالك، تح: محمد بن طاوت ، دار صادر، بيروت، 1988م.

الخركوشي، أبو سعد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت 407ه):

25. تاريخ الخلفاء الراشدين، تح: د. عبد العزيز بن محمد، مكتبة الرشد، الرياض، 2004م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت 463ه):

26. تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الحضرمي (ت 808ه).

27. المقدمة، تح: د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2000 م.

ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681ه):

28. وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1972م.

ابن خياط، أبو زكريا خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط الشيباني (ت 240ه):

29. تاريخ ابن خياط، تح: د. اكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977م.

الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت 966ه):

30. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، دار صادر، بيروت، 1999م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان التركماني الدمشقي (ت 748ه):

31. سير اعلام النبلاء ، مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

32. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2003م.

ابن رشد ، محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد القرطبي (ت 595ه):

33. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: د. عبد المجيد محمود، دار ابن حزم، بيروت، 2003م).

ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري (ت 230ه):

34. الطبقات الكبرى، تح: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين محمد بن سابق الدين (ت 911ه):

35. تاريخ الخلفاء، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1952م.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت 790ه):

36. الموافقات في أصول الشريعة، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار ابن عفان، السعودية، 1997م.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد (ت 548ه):

37. الملل والنحل، تح: احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

ابن ابي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن ابي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي (ت 235ه) :

38. المصنف في الاحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، 1989م.

الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك بن عبدالله (ت 696ه):

39. الوافي بالوفيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت 310ه):

40. تاريخ الرسل والملوك، تح: د. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1967م.

41. المنتخب من ذيل المذيل ، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت 360ه):

42. المعجم الكبير ، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1983م.

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف (ت 520ه):

43. سراج الملوك، تح: د. محمد فتحي أبو بكر، دار المنهاج، جدة، 2011م.

الطقطقي، صفي الدين محمد بن علي بن محمد (ت 709ه):

44. الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر، بيروت، 1966م.

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت 463ه):

45. الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م.

ابن عبد الحكم المصري، عبدالله بن عبد الحكم بن اعين (ت 214ه):

46. سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن انس، تح: د. احمد عبيد، دار الفكر، دمشق، 1984م.

47. فتوح مصر واخبارها، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، 1999م.

ابن عبد ربه الاندلسي، أبو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم (ت 328ه)

48. العقد الفريد ، تح: د. احمد امين، د. احمد الزين، د. إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الدمشقي (ت 571ه):

49. تاريخ دمشق ، تح: د. عمر بن غرامة العموري، دار الفكر، بيروت، 1995م.

أبو عبيد ، القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت 224ه):

50. الأموال، تح: د. محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية , بيروت، 1988م.

أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد الأيوبي (ت 732ه):

51. المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د. ت.

الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت 817ه):

52. القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276ه):

53. المعارف، تح: د. ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

54. عيون الاخبار، تح: د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

55. الامامة والسياسة، تح: د. طه محمد الزيني، دار المعرفة، بيروت، 1967م.

ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت 620ه):

56. المغني عن الحاجة الى علم الخلاف، تح: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي ، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار الفكر ، بيروت، 1985م.

القلقشندي، شهاب الدين احمد بن علي بن احمد الفزاري (ت 821ه):

57. صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1963م.

ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن ابي بكر بن أيوب الدمشقي (ت 751ه):

58. اعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار العلم، بيروت،1991.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير الدمشقي (ت 774ه):

59. البداية والنهاية، تح: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1998م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي (ت 450ه):

60. الاحكام السلطانية، تح: د. احمد مبارك البغدادي، دار المعرفة، الكويت، 1973م.

المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان المتقي (ت 975ه):

61. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تح: لجنة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

المزي، يوسف بن الزكي بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك (ت 742ه):

62. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي (ت 346ه):

63. التنبية والاشراف، تح: عبدالله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د. ت.

64. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: د. اسعد داغر، دار الهجرة، 2005م.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد النيسابوري (ت 261ه):

65. صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1991م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن احمد بن منظور الانصاري (ت 711ه).

66. لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1955م.

المقدسي، أبو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء الشامي (ت 380ه):

67. احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: د. محمد جاسم مشهداني، مكتبة المثنى، بغداد، 1980م

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد (ت 676ه):

68. تهذيب الأسماء واللغات، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت 218ه):

69. السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا ، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الحديث، القاهرة، 2010م.

الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي الاسلمي (ت 207ه):

70. المغازي، تح: د. مارسدن جونسن، دار عالم الكتب، بيروت، 2004م.

ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي البغدادي (ت 626ه):

71. معجم البلدان، تح: د. فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1977م.

يحيى بن ادم، أبو زكريا يحيى بن ادم بن سلمان القرشي المخزومي (ت 203ه):

72. الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979م.

اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 292ه):

73. البلدان، دار صادر، بيروت، 1960م.

74. تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1960م.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الانصاري البغدادي (ت 182ه):

75. الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979م.

المراجع:

76. ابن احمد، د. سامي بن عبدالله، اطلس الخليفة عمر بن الخطاب، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005م.

77. أل عيسى، عبد السلام بن محسن، دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية، المدينة المنورة، 2002م.

78. الانباري، د. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت،1971م.

79. البستاني، بطرس بن بولس، محيط المحيط، المطبعة الأدبية، بيروت، 1867م.

80. حسني، عبد الرحمن، الفنون الحربية في صدر الإسلام، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1978م.

81. الخطيب، علي احمد ، عمر بن الخطاب (رض) حياته وعصره وادارته، دار القلم، دمشق، 1990م.

82. الدويش، د. محمد بن عبدالله بن صالح، منهج عمر بن الخطاب (رض) في الإدارة، دار ابن الجوزي، الرياض، 1998م.

83. السامرائي، كمال عبد الرزاق، الحرب في صدر الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1976م.

84. السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم في تفسير كلام المنان ، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م .

85. شاهين، حمدي، الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، دار الفكر العربي، القاهرة،2003م

86. شبارو، عصام محمد، الدولة العربية الإسلامية الأولى من 1- 41ه، دار النهضة العربية، بيروت، 1995م.

87. الشريف، احمد إبراهيم ، السياسة الإدارية والمالية في عهد عمر بن الخطاب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م.

88. شلبي، احمد ، عمر بن الخطاب مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1985م.

89. الصلابي، علي محمد، فصل الخطاب في سيرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض)، دار المعرفة، بيروت، 2002م.

90. ضيف، شوقي، تاريخ المدن الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1994م.

91. طقوش، محمد سهيل، الخلفاء الراشدون ، الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، بيروت، 2002م.

92. طه، جاسم باسل، التنظيمات الإدارية في عهد عمر بن الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت،1998م.

93. طه، حسين علي، الشيخان أبو بكر وعمر (رض) ، دار ابن الجوزي، الدمام، 2001م.

94. عادل، محمد الياس، سيرة حضرة عمر بن الخطاب (رض) ، دار ابن كثير، بيروت، 2014م.

95. العقاد، عباس محمود، عبقرية عمر، دار الهلال، القاهرة، 1984م.

96. علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة دار الساقي، بيروت، 2001م.

97. العمري، اكرم ضياء، محض الصواب في فضائل امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، دار ابن الجوزي، الدمام، 1999م.

98. عودة، محمد عبدالله، حكمت بريحات، إبراهيم ساسين الخطيب، مختصر التاريخ الإسلامي، من البعثة النبوية الى سقوط بغداد، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 1989م.

99. القطان، مناع خليل، النظام القضائي في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي، 1984م.

100. الكتاني، محمد بن جعفر، النظام الحكومي في العهد النبوي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت،1981م.

101. د. ماجدة ناجي ، التاريخ السياسي للدولة العربية، دار الحكمة، بغداد ، 1980م.

102. مجموعة من المؤلفين، موسوعة الثقافة التاريخية والاثرية، دار المنهل، بيروت، 2008م.

103. مصطفى، إبراهيم واخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة ، القاهرة، 1960م.

104. الملاح، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار الكتب العلمية، بيروت،2007م.

105. أبو النصر، محمد، عمر بن الخطاب، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة، 2005م.

106. هيكل، محمد حسين، الفاروق عمر، دار المعارف، القاهرة، 1990م.

Bibliography and References

Primary Sources:

107. The Holy Quran

Ibn al-Athir, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim al-Shaybani al-Jazari (d. 630 AH):

108. Usd al-Ghabah fi Ma'rifat al-Sahabah, ed. Ali Muhammad Mu'awwad & Adil Ahmad Abd al-Mawjud (Beirut: Dar al-Fikr, 1995).

109. Al-Kamil fi al-Tarikh (Beirut: Dar Sadir, 1965).

Ahmad ibn Hanbal, Ahmad ibn Muhammad ibn Hanbal ibn Hilal al-Shaybani (d. 241 AH):

110. Musnad Ahmad, ed. Shu'ayb al-Arna'ut et al. (Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 1999).

Al- Asbahani, Ahmad ibn Abd Allah ibn Ahmad ibn Ishaq ibn Musa ibn Mihran (d. 430 AH):

111. Hilyat al-Awliya' wa Tabaqat al-Asfiya', ed. Mustafa Abd al-Qadir 'Ata (Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1967).

Ibn A'tham, Abu Muhammad ibn A'tham ibn Jabir ibn Zayd al-Kufi (d. 314 AH):

112. Al-Futuh, ed. Ali Shiri (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1986).

Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il ibn Ibrahim ibn al-Mughirah (d. 256 AH):

113. Sahih al-Bukhari, ed. Muhammad Zuhair ibn Nasir (Beirut: Dar Tawq al-Najah, 2002).

Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir ibn Dawud (d. 279 AH):

114. Ansab al-Ashraf, ed. Suhayl Zakkar & Riyad al-Zirikli (Beirut: Dar al-Fikr, 1996).

115. Futuh al-Buldan, ed. Abd Allah Anis al-Tabba' & Umar Anis al-Tabba' (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1987).

Abu Bakr Abd al-Razzaq ibn Humam ibn Nafi' al-San'ani (d. 211 AH):

116. Al-Musannaf, ed. Habib al-Rahman al-A'zami (Beirut: Al-Maktab al-Islami, 1403 AH).

Al-Bayhaqi, Ahmad ibn al-Husayn ibn Ali ibn Abd Allah ibn Musa (d. 458 AH):

117. Dala'il al-Nubuwwah wa Ma'rifat Ahwal Sahib al-Shari'ah, ed. Abd al-Mu'ti Qal'aji (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1988).

118. Al-Sunan al-Kubra, ed. Muhammad Abd al-Qadir 'Ata (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2003).

Al-Tirmidhi, Muhammad ibn Isa ibn Sawrah ibn Musa ibn al-Dahhak al-Sulami (d. 279 AH):

119. Sunan al-Tirmidhi, ed. Ahmad Muhammad Shakir et al. (Beirut, 1998).

Ibn Taymiyyah, Taqiyya al-Din Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Abd Allah al-Harrani (d. 728 AH):

120. Al-Siyasah al-Shar'iyyah fi Islah al-Ra'i wa al-Ra'iyyah (Cairo: Matba'at al-Madani, 1961).

Al-Jahiz, Abu Uthman Amr ibn Bahr ibn Mahbub (d. 255 AH):

121. Al-Bayan wa al-Tabyin, ed. Abd al-Salam Harun (Cairo: Maktabat al-Khanji, 1998).

Ibn al-Jawzi, Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad ibn Ali (d. 597 AH):

122. Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam, ed. Jamal Abd al-Hadi & Muhammad Sayyid (Cairo, 2006).

123. Sifat al-Safwah, ed. Mahmud Fakhuri (Cairo: Dar al-Hadith, 2001).

Al-Hakim al-Nishapuri, Abu Abd Allah Muhammad ibn Abd Allah ibn Muhammad al-Tahmani (d. 405 AH):

124. Al-Mustadrak 'ala al-Sahihayn (Beirut: Dar al-Ma'rifah, 1398 AH).

Ibn Hibban, Abu Hatim Muhammad ibn Hibban ibn Ahmad ibn Hibban al-Busti (d. 354 AH):

125. Al-Mashahir fi Akhbar al-Rijal, ed. Bazi' Yasin (Mansoura: Dar al-Wafa', 1991).

126. Al-Sirah al-Nabawiyyah wa Akhbar al-Khulafa', ed. Aziz Bak (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1997).

Ibn Habib, Abu Ja'far Muhammad ibn Habib ibn Umayyah ibn Amr al-Hashimi al-Baghdadi (d. 245 AH):

127. Al-Muhabbar fi Akhbar al-Arab (Hyderabad ed., n.d.).

Ibn Hajar al-Asqalani, Ahmad ibn Ali ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Ali ibn Ahmad al-Kinani (d. 852 AH):

128. Al-Isabah fi Tamyiz al-Sahabah, ed. Ali Muhammad Mu'awwad & Adil Ahmad Abd al-Mawjud (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1995).

129. Fath al-Bari fi Sharh Sahih al-Bukhari (Beirut: Dar al-Ma'rifah, 1989).

Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali ibn Ahmad ibn Sa'id ibn Hazm ibn Ghalib al-Andalusi (d. 456 AH):

130. Jamharat Ansab al-Arab, ed. Abd al-Salam Muhammad Harun (Cairo: Dar al-Ma'arif, 1982).

Ibn Khordadbeh, Abu al-Qasim Ubayd Allah ibn Abd Allah ibn Khordadbeh (d. 272 AH):

131. Al-Masalik wa al-Mamalik, ed. Muhammad ibn Tawit (Beirut: Dar Sadir, 1988).

Al-Kharkushi, Abu Sa'd ibn Muhammad ibn Ibrahim al-Nishapuri (d. 407 AH):

132. Tarikh al-Khulafa' al-Rashidin, ed. Abd al-Aziz ibn Muhammad (Riyadh: Maktabat al-Rushd, 2004).

Al-Khatib al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmad ibn Ali ibn Thabit (d. 463 AH)

133. Tarikh Baghdad (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1997).

Ibn Khaldun, Abu Zayd Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Muhammad ibn al-Hasan al-Hadrami (d. 808 AH):

134. Al-Muqaddimah, ed. Ali Abd al-Wahid Wafi (Cairo: Dar Nahdat Misr, 2000).

Ibn Khallikan, Shams al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim (d. 681 AH):

135. Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman, ed. Ihsan Abbas (Beirut: Dar Sadir, 1972).

Ibn Khayyat, Abu Zakariyya Khalifa ibn Khayyat ibn Khalifa ibn Khayyat al-Shaybani (d. 240 AH):

136. Tarikh Ibn Khayyat, ed. Akram Diya' al-Umari (Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 1977).

Al-Diyar Bakri, Husayn ibn Muhammad ibn al-Hasan (d. 966 AH):

137. Tarikh al-Khamis fi Ahwal Anfas Nafis (Beirut: Dar Sadir, 1999).

Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman al-Turkmani al-Dimashqi (d. 748 AH):

138. Siyar A'lam al-Nubala', ed. Shu'ayb al-Arna'ut et al. (Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 1996).

139. Tarikh al-Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-A'lam, ed. Umar Abd al-Salam Tadmuri (Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 2003).

Ibn Rushd, Muhammad ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Rushd al-Qurtubi (d. 595 AH):

140. Bidayat al-Mujtahid wa Nihayat al-Muqtasid, ed. Abd al-Majid Mahmud (Beirut: Dar Ibn Hazm, 2003).

Ibn Sa'd, Abu Abd Allah Muhammad ibn Sa'd ibn Mani' al-Zuhri al-Basri (d. 230 AH):

141. Al-Tabaqat al-Kubra, ed. Ali Muhammad Umar (Cairo: Maktabat al-Khanji, 2001).

Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman ibn Kamal al-Din Muhammad ibn Sabiq al-Din (d. 911 AH):

142. Tarikh al-Khulafa', ed. Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid (Cairo: Matba'at al-Sa'adah, 1952).

Al-Shatibi, Abu Ishaq Ibrahim ibn Musa ibn Muhammad al-Lakhmi al-Gharnati (d. 790 AH):

143. Al-Muwafaqat fi Usul al-Shari'ah, ed. Abu Ubaydah Mashhur ibn Hasan (Saudi Arabia: Dar Ibn Affan, 1997).

Al-Shahrastani, Abu al-Fath Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abi Bakr Ahmad (d. 548 AH):

144. Al-Milal wa al-Nihal, ed. Ahmad Fahmi Muhammad (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2003).

Ibn Abi Shaybah, Abu Bakr Abd Allah ibn Muhammad ibn Abi Shaybah Ibrahim ibn Uthman al-Kufi (d. 235 AH):

145. Al-Musannaf fi al-Ahadith wa al-Athar, ed. Kamal Yusuf al-Hut (Riyadh: Maktabat al-Rushd, 1989).

Al-Safadi, Salah al-Din Khalil Aybak ibn Abd Allah (d. 696 AH):

146. Al-Wafi bi al-Wafayat (Beirut: Dar al-Fikr al-Mu'asir, 1990).

Al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib (d. 310 AH):

147. Tarikh al-Rusul wa al-Muluk, ed. Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim (Cairo: Dar al-Ma'arif, 1967).

148. Al-Muntakhab min Dhayl al-Mudhakkal (Cairo: Dar al-Ma'arif, n.d.).

Al-Tabarani, Abu al-Qasim Sulayman ibn Ahmad ibn Ayyub ibn Mutir al-Lakhmi al-Shami (d. 360 AH):

149. Al-Mu'jam al-Kabir, ed. Hamdi ibn Abd al-Majid al-Salafi (Mosul: Maktabat al-Ulum wa al-Hikam, 1983).

Al-Turtushi, Abu Bakr Muhammad ibn al-Walid ibn Muhammad ibn Khalaf (d. 520 AH):

150. Siraj al-Muluk, ed. Muhammad Fathi Abu Bakr (Jeddah: Dar al-Minhaj, 2011).

Al-Tiqtaqa, Safi al-Din Muhammad ibn Ali ibn Muhammad (d. 709 AH):

151. Al-Fakhri fi al-Adab al-Sultaniyyah wa al-Duwal al-Islamiyyah (Beirut: Dar Sadir, 1966).

Ibn Abd al-Barr, Abu Umar Yusuf ibn Abd Allah ibn Muhammad ibn Abd al-Barr al-Namari al-Qurtubi (d. 463 AH):

152. Al-Isti'ab fi Ma'rifat al-Ashab, ed. Ali Muhammad al-Bijawi (Beirut: Dar al-Jil, 1992).

Ibn Abd al-Hakam al-Misri, Abd Allah ibn Abd al-Hakam ibn A'yan (d. 214 AH):

153. Sirat Umar ibn Abd al-Aziz 'ala Ma Rawahu al-Imam Malik ibn Anas, ed. Ahmad Ubayd (Damascus: Dar al-Fikr, 1984).

154. Futuh Misr wa Akhbaruha, ed. Ali Umar (Cairo: Maktabat al-Thaqafah al-Diniyyah, 1999).

Ibn Abd Rabbih al-Andalusi, Abu Umar Ahmad ibn Muhammad ibn Abd Rabbih ibn Habib ibn Hadir ibn Salam (d. 328 AH):

155. Al-'Iqd al-Farid, ed. Ahmad Amin, Ahmad al-Zayn, & Ibrahim al-Abyari (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1983).

Ibn Asakir, Abu al-Qasim Ali ibn al-Hasan ibn Hibat Allah ibn Abd Allah al-Dimashqi (d. 571 AH):

156. Tarikh Dimashq, ed. Umar ibn Gharamah al-Amrawi (Beirut: Dar al-Fikr, 1995).

Abu Ubayd, Al-Qasim ibn Sallam ibn Abd Allah al-Harawi al-Baghdadi (d. 224 AH):

157. Al-Amwal, ed. Muhammad Khalil Harras (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1988).

Abu al-Fida', Al-Malik al-Mu'ayyad Imad al-Din Isma'il ibn Ali ibn Mahmud ibn Muhammad al-Ayyubi (d. 732 AH):

158. Al-Mukhtasar fi Akhbar al-Bashar (Cairo: Al-Matba'ah al-Husayniyyah, n.d.).

Al-Firuzabadi, Majd al-Din Muhammad ibn Ya'qub ibn Muhammad ibn Ibrahim al-Shirazi (d. 817 AH):

159. Al-Qamus al-Muhit, ed. Heritage Revision Bureau at Mu'assasat al-Risalah (Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 2005).

Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abd Allah ibn Muslim ibn Qutaybah al-Dinawari (d. 276 AH):

160. Al-Ma'arif, ed. Tharwat Okasha (Cairo: General Egyptian Book Organization, 1992).

161. Uyun al-Akhbar, ed. Yusuf Ali Tawil (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1998).

162. Al-Imamah wa al-Siyasah, ed. Taha Muhammad al-Zayni (Beirut: Dar al-Ma'rifah, 1967).

Ibn Qudamah, Abu Muhammad Muwaffaq al-Din Abd Allah ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Qudamah al-Maqdisi (d. 620 AH):

163. Al-Mughni 'an al-Hajah ila 'Ilm al-Khilaf, ed. Abd Allah ibn Abd al-Muhsin al-Turki & Abd al-Fattah Muhammad al-Hilw (Beirut: Dar al-Fikr, 1985).

Al-Qalqashandi, Shihab al-Din Ahmad ibn Ali ibn Ahmad al-Fazari (d. 821 AH):

164. Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha' (Cairo: Al-Matba'ah al-Amiriyyah, 1963).

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Abu Abd Allah Shams al-Din Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub al-Dimashqi (d. 751 AH):

165. I'lam al-Muwaqqi'in 'an Rabb al-'Alamin, ed. Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid (Beirut: Dar al-Ilm, 1991).

Ibn Kathir, Abu al-Fida' Isma'il ibn Umar ibn Kathir ibn Daw' ibn Kathir al-Dimashqi (d. 774 AH):

166. Al-Bidayah wa al-Nihayah, ed. Abd Allah ibn Abd al-Muhsin al-Turki (Cairo: Dar Hajar, 1998).

Al-Mawardi, Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad al-Mawardi al-Shafi'i (d. 450 AH):

167. Al-Ahkam al-Sultaniyyah, ed. Ahmad Mubarak al-Baghdadi (Kuwait: Dar al-Ma'rifah, 1973).

Al-Muttaqi al-Hindi, Ala' al-Din Ali ibn Husam al-Din ibn Qadi Khan al-Muttaqi (d. 975 AH):

168. Kanz al-Ummal fi Sunan al-Aqwal wa al-Af'al, ed. A Committee of Scholars (Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 1985).

Al-Mizzi, Yusuf ibn al-Zaki ibn Abd al-Rahman ibn Yusuf ibn Abd al-Malik (d. 742 AH):

169. Tahdhib al-Kamal fi Asma' al-Rijal, ed. Bashshar Awwad Ma'ruf (Beirut: Mu'assasat al-Risalah, 1980).

Al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn ibn Ali al-Mas'udi al-Hudhali (d. 346 AH):

170. Al-Tanbih wa al-Ishraf, ed. Abd Allah Isma'il al-Sawi (Cairo: Dar al-Sawi, n.d.).

171. Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar, ed. As'ad Dagher (Dar al-Hijrah, 2005).

Muslim, Abu al-Husayn Muslim ibn al-Hajjaj ibn Muslim ibn Ward al-Nishapuri (d. 261 AH):

172. Sahih Muslim, ed. Muhammad Fu'ad Abd al-Baqi (Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, 1991).

Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Mukarram ibn Ali ibn Ahmad ibn Manzur al-Ansari (d. 711 AH):

173. Lisan al-Arab (Beirut: Dar Sadir, 1955).

Al-Maqdisi, Abu Abd Allah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr al-Banna' al-Shami (d. 380 AH):

174. Ahsan al-Taqasim fi Ma'rifat al-Agalim, ed. Muhammad Jasim Mashhadani (Baghdad: Maktabat al-Muthanna, 1980).

Al-Nawawi, Abu Zakariyya Yahya ibn Sharaf ibn Muri ibn Hasan ibn Husayn ibn Muhammad (d. 676 AH):

175. Tahdhib al-Asma' wa al-Lughat, ed. A Committee of Scholars (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1996).

Ibn Hisham, Abu Muhammad Abd al-Malik ibn Hisham ibn Ayyub al-Himyari al-Ma'afiri (d. 218 AH):

176. Al-Sirah al-Nabawiyyah, ed. Mustafa al-Saqqa, Ibrahim al-Abyari, & Abd al-Hafiz Shalabi (Cairo: Dar al-Hadith, 2010).

Al-Waqidi, Abu Abd Allah Muhammad ibn Umar ibn Waqid al-Waqidi al-Aslami (d. 207 AH):

177. Al-Maghazi, ed. Marsden Jones (Beirut: Dar 'Alam al-Kutub, 2004).

Yaqut al-Hamawi, Abu Abd Allah Yaqut ibn Abd Allah al-Rumi al-Hamawi al-Baghdadi (d. 626 AH):

178. Mu'jam al-Buldan, ed. Farid Abd al-Aziz al-Jundi (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1977).

Yahya ibn Adam, Abu Zakariyya Yahya ibn Adam ibn Salman al-Qurashi al-Makhzumi (d. 203 AH):

179. Al-Kharaj (Beirut: Dar al-Ma'rifah, 1979).

Al-Ya'qubi, Ahmad ibn Abi Ya'qub ibn Ja'far ibn Wahb ibn Wadih (d. 292 AH):

180. Al-Buldan (Beirut: Dar Sadir, 1960).

181. Tarikh al-Ya'qubi (Beirut: Dar Sadir, 1960).

Abu Yusuf, Ya'qub ibn Ibrahim ibn Habib al-Ansari al-Baghdadi (d. 182 AH):

182. Al-Kharaj (Beirut: Dar al-Ma'rifah, 1979).

183. A Group of Authors, Mawsu'at al-Thaqafah al-Tarikhiyyah wa al-Athariyyah (Beirut: Dar al-Manhal, 2008).

References

184. Ibn Ahmad, Dr. Sami bin Abdullah. *Atlas of Caliph Umar ibn al-Khattab*. Obeikan Bookstore, Riyadh, 2005.

185. Aal Isa, Abd al-Salam bin Muhsin. *A Critical Study of Narratives Regarding the Character and Administrative Policy of Umar ibn al-Khattab*. Medina, 2002.

186. Al-Anbari, Dr. Abdul Aziz Sulaiman Nawar. *History of the Arab State*. Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1971.

187. Al-Bustani, Butrus bin Boulos. *Muhit al-Muhit*. Al-Matba'ah al-Adabiyyah, Beirut, 1867.

188. Husni, Abd al-Rahman. *Military Arts in Early Islam*. Maktabat al-Khanji, Cairo, 1978.

189. Al-Khatib, Ali Ahmad. *Umar ibn al-Khattab (may Allah be pleased with him): His Life, Era, and Administration*. Dar Al-Qalam, Damascus, 1990.

190. Al-Duweish, Dr. Muhammad bin Abdullah bin Saleh. *The Approach of Umar ibn al-Khattab (may Allah be pleased with him) in Administration*. Dar Ibn al-Jawzi, Riyadh, 1998.

191. Al-Samarrai, Kamal Abd al-Razzaq. *Warfare in Early Islam*. Dar Al-Hurriya for Printing, Baghdad, 1976.

192. Al-Sa'di, Sheikh Abd al-Rahman bin Nasir. *Taysir al-Karim in the Interpretation of the Words of the Manan*. Edited by Abd al-Rahman bin Mu'alla al-Luwaihiq, Al-Resalah Foundation, Beirut, 2000.

193. Shahin, Hamdi. *The Islamic State in the Era of the Rightly-Guided Caliphs*. Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 2003.

194. Shabaro, Issam Muhammad. *The First Arab Islamic State (1–41 AH)*. Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1995.

195. Al-Sharif, Ahmad Ibrahim. *Administrative and Financial Policy during the Reign of Umar ibn al-Khattab*. Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1999.

196. Shalabi, Ahmad. *Umar ibn al-Khattab*. Egyptian Renaissance Library, Cairo, 1985.

197. Al-Sallabi, Ali Muhammad. *Fasl al-Khitab in the Biography of the Commander of the Faithful Umar ibn al-Khattab (may Allah be pleased with him)*. Dar Al-Ma'rifah, Beirut, 2002.

198. Dayf, Shawqi. *History of Islamic Cities*. Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1994.

199. Taqqush, Muhammad Suhail. *The Rightly-Guided Caliphs: Conquests and Political Achievements*. Dar Al-Nafaes, Beirut, 2002.

200. Taha, Jassim Basil. *Administrative System during the Reign of Umar ibn al-Khattab*. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Beirut, 1998.

201. Taha, Hussein Ali. *The Two Sheikha: Abu Bakr and Umar (may Allah be pleased with them)*. Dar Ibn al-Jawzi, Dammam, 2001.

202. Adel, Muhammad Ilyas. *Biography of Umar ibn al-Khattab (may Allah be pleased with him)*. Dar Ibn Kathir, Beirut, 2014.

203. Al-Aqqad, Abbas Mahmoud. *Genius of Umar*. Dar Al-Hilal, Cairo, 1984.

204. Ali, Dr. Jawad. *The Detailed History of Arabs Before Islam*. Dar Al-Saqi Press, Beirut, 2001.

205. Al-Omari, Akram Diya. *Mahd al-Sawab on the Virtues of the Commander of the Faithful Umar ibn al-Khattab*. Dar Ibn al-Jawzi, Dammam, 1999.

206. Oudeh, Muhammad Abdullah; Breihat, Hikmat; and Al-Khatib, Ibrahim Sasin. *A Brief History of Islam: From the Prophetic Mission to the Fall of Baghdad*. Dar Al-Furqan for Publishing and Distribution, Amman, 1989.

207. Al-Qattan, Manna' Khalil. *The Judicial System during the Prophetic Era and the Rightly-Guided Caliphate*. Proceedings of the Islamic Systems Symposium, Abu Dhabi, 1984.

208. Al-Kattani, Muhammad bin Ja'far. *The Governmental System during the Prophetic Era*. Dar Al-Kitab Al-Islami, Beirut, 1981.

209. Magda Naji, Dr. *The Political History of the Arab State*. Dar Al-Hikmah, Baghdad, 1980.

210. A Group of Authors. *Encyclopedia of Historical and Archaeological Culture*. Dar Al-Manhal, Beirut, 2008.

211. Mustafa, Ibrahim et al. *Al-Mu'jam al-Wasit*. Dar Al-Da'wah, Cairo, 1960.

212. Al-Mallah, Hashim Yahya. *Al-Wasit in the Prophetic Biography and the Rightly-Guided Caliphate*. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Beirut, 2007.

213. Abu Al-Nasr, Muhammad. *Umar ibn al-Khattab*. Islamic Publishing and Distribution House, Cairo, 2005.

214. Haykal, Muhammad Husayn. *Al-Farooq Umar*. Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1990.

الفصل الثالث

الشركات التجارية في العصر الراشدي

م.م. سباسر علي عودة زعال
المديرية العامة لتربية بابل - العراق

الملخص

يتناول البحث مفهوم "الشركة" في الشريعة الإسلامية، مستعرضاً تطورها من المعاملات التقليدية إلى الأنماط الاقتصادية الحديثة. يهدف البحث إلى تأصيل أحكام الشركات، بيان أنواعها، ومقارنة آراء الفقهاء حول مشروعيتها وتنظيمها.

أكد البحث أن الشركة مشروعة بإجماع الفقهاء، وتستند إلى القرآن الكريم: كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، وإشارة القرآن لقصة أصحاب الكهف، السنة النبوية: إقرار النبي ﷺ للمعاملات التجارية التي كان يقوم بها الصحابة (مثل المضاربة والمشاركة)، وقوله: "الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار"، الإجماع والمعقول: تعامل المسلمون بالشركات منذ عهد الرسالة دون نكير، ولتحقيق مقاصد الشريعة في حفظ المال وتلبية حاجة الناس. أنواع الشركات في الفقه الإسلامي قسم الفقهاء الشركات إلى عدة أنواع بناءً على طبيعة التعاقد، شركة العنان: اشتراك في مال وعمل، ولكل شريك حرية التصرف، شركة المفاوضة: مساواة كاملة في رأس المال والربح والخسارة والتصرف (توسعت فيها آراء الحنفية)، شركة الوجوه: اعتماد على السمعة والثقة دون رأس مال نقدي، شركة الأعمال (الأبدان): تعاون على تنفيذ عمل بدني أو فكري (اختلف الفقهاء في جوازها)، شركة المضاربة: دفع المال من طرف والعمل من طرف آخر، مع تقسيم الربح بينهما، ويبين أقسام الشركة من حيث التأسيس، شركة الإباحة: اشتراك العامة في المباحات (الماء، الكلأ، النار)، شركة الملك: اجتماع أكثر من شخص في ملكية شيء دون عقد (جبرية كالميراث، أو اختيارية كالشراء المشترك)، شركة العقد: هي "الشركة التجارية" التي تنشأ بإرادة الطرفين (الإيجاب والقبول) لتنظيم استثمار الأموال أو الجهد.

الكلمات المفتاحية: الشركات التجارية؛ الفقه الإسلامي؛ المعاملات؛ العقود؛ الشراكة

Abstract

The research addresses the concept of "Sharika" (partnership/company) in Islamic Sharia, reviewing its development from traditional transactions to modern economic patterns. The research aims to establish the foundations of the provisions of companies, clarify their types, and compare the jurists' opinions regarding their legitimacy and regulation.

The research confirmed that the company (partnership) is legitimate by the consensus of jurists, based on the Holy Quran: such as His saying, "And indeed, many associates oppress one another," and the Quranic reference to the story of the People of the Cave; the Sunnah of the Prophet: the Prophet’s (peace be upon him) approval of commercial transactions practiced by the Companions (such as Mudaraba and Musharaka), and his saying, "People are partners in three: water, pasture, and fire"; and consensus and reason: Muslims have engaged in partnerships since the Prophetic era without objection, and to achieve the objectives of Sharia in preserving wealth and meeting the needs of people.

Regarding the types of companies in Islamic jurisprudence, jurists divided companies into several types based on the nature of the contract: Sharikat al-Inan (company of mutual contribution): participation in capital and work, where each partner has the freedom of action; Sharikat al-Mufawada (company of absolute equality): complete equality in capital, profit, loss, and action (the Hanafi school expanded upon this); Sharikat al-Wujuh (company of

credit/goodwill): relying on reputation and trust without monetary capital; Sharikat al-A'mal (company of labor/services): cooperation in performing physical or intellectual work (jurists differed on its permissibility); and Sharikat al-Mudaraba (profit-sharing company): providing capital by one party and labor by another, with profit divided between them.

The research also illustrates the classifications of the company in terms of establishment: Sharikat al-Ibahah (company of permissibility): public participation in permissible resources (water, pasture, fire); Sharikat al-Milk (company of ownership): the meeting of more than one person in the ownership of an object without a contract (compulsory, such as inheritance, or optional, such as joint purchase); and Sharikat al-'Aqd (contractual company): which is the "commercial company" that is established by the will of the parties (offer and acceptance) to organize the investment of funds or effort

Keywords: Commercial partnerships; Islamic jurisprudence; Transactions; Contracts; Partnership

المقدمة:

لقد تأثر عالمنا الإسلامي ومنه العربي بهذه النهضة الواسعة، ونشأت عندنا معاملات جديدة وأنماط جديدة من الشركات، احتاجت إلى أموال ضخمة من رؤوس أموال كبيرة لا يستطيع أن يقوم بها فرد أو أفراد قلائل لقصور ثرواتهم وجهودهم، فتكتلت جهود وضمت الثروات بعضها إلى بعض، وتعاونت طاقات مختلفة في العمل والإنتاج؛ فنشأت الشركات الكبرى وتطورت تبعاً لازدياد حاجات الناس ونشوء الصناعات الكبرى، وطغيان رأس المال، ونشوء الاحتكارات حتى أصبحت الشركات شركات البترول وشركات صنع السيارات والمصانع الثقيلة وشركات ونشوء

الاحتكارات حتى أصبحت هذه الشركات هي التي تحكم الاقتصاد وتسيره لا سيما في النظام الرأسمالي.

وقد نشأ من ذلك قواعد ونظم للشركات، واعتبرت الشركات أشخاصاً اعتبارية، لها كما للأشخاص الطبيعيين ذمة مستقلة، سواء أكانت شركات تقوم على المال وحده، أو على الأموال والأشخاص، ووجدت أنواع جديدة من الشركات.

وأصبح من واجبنا أن ندرس هذه الشركات وأن نتعرف على القواعد الأساسية التي تحكمها والتي سادت في القوانين الوضعية، وأن نعرضها على قواعد الإسلام وأصوله ونقارن بينها لنرى ما يؤخذ منها وما يترك، وما يتفق مع قواعد الإسلام العامة أو قواعده الخاصة في الشركات وما لا يتفق.

وقد قسم بحثنا إلى مبحثين تناول المبحث الأول مفهوم الشركة لغة واصطلاحاً وتناول مشروعية الشركة من حيث القرآن الكريم والسنة النبوية والاجماع كما تطرقنا فيه إلى الشركات التجارية. وتناول المبحث الثاني انواع الشركات واختلاف الفقهاء فيها، وهي شركة العنان وشركة المفاوضة وشركة الوجوه وشركة الأعمال وشركة المضاربة.

كما تم الحديث فيه على اقسام الشركة وماذا تعني واختلاف اراء الفقهاء فيها ومنها شركة الإباحة وشركة الملك وشركة العقد.

المبحث الاول:: مفهوم الشركة:

في اللغة:

الشركة في اللغة مصدر من شرك يشرك شركا وشركة، وشركت بينهما في المال وأشركته جعلته شريكا.([1])

اصطلاحاً:

ومعناها لغة الاختلاط، أو خلط الشريكين ([2])، أو خلط المالين وقد ذكر للشركة معنى آخر غير الاختلاط أو الخلط وهو إطلاقها على عقد الشركة نفسه، لأنه سبب الخلط فإذا قيل شركة العقد فهي إضافة بيانية أو إطلاق مجازي علاقته المسببية وهي أقوى الإضافات وقد ورد في المعنى اللغوي قوله صلى الله عليه وسلم: الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار، وحديث معاذ أنه

أجاز بين أهل اليمن الشرك أي الاختلاط في الأرض، وهي أن يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك([3]).

ويتضح من هذا أن الشركة بمعنيين لغويين: الخلط مطلقاً سواء أكان في المال أو في الشريكين أو غيرهما، والعقد.

وقد ظل المعنى اللغوي بارزاً في المعنى الاصطلاحي فالشركة في اصطلاح الفقه الإسلامي والقانون الوضعي لا تتحقق إلا بالعقد وخلط الأموال. والشركة قد تحصل في المال أو في الجهد أو فيهما معاً، أو في استغلال ثقة الناس ببعضهم، وقد يشترك الناس في أموال خاصة، أو في استغلال أموال عامة، وقد يشترك كون اختياراً، وقد يشتر كون جبراً كالشركة في المال الموروث.

مشروعية الشركة:

١- القرآن الكريم:

شرعت الشركة بالكتاب الكريم فقد وردت عدة آيات تدل على مشروعيتها منها قوله تعالى على لسان فتية الكهف:

(فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً([4]).

وتدل هذه الآية على جواز الشركة في المال والطعام دلالة إشارة لا عبارة، والتلازم ظاهر بين شرائهم للطعام واشتراكهم فيه. قال الجصاص: يدل على خلط دراهم الجماعة والشري بها، والأكل من الطعام الذي بينهم بالشركة، وإن كان بعضهم يأكل أكثر مما يأكل غيره، وهذا هو الذي يسميه الناس المناهدة، ويفعلونه في الأسفار.

وقال تعالى (وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم)([5]).

دلت هذه الآية على وجود الشركة والشركات وأن معنى الخلطاء الشركاء، وهي وإن ذكرت في معرض الخصومة، إلا أنها تقرر وجود الشركة دون أن ينكر عقدها، بل بين أن النفوس تميل إلى

البغي وأن كثيراً من الشركاء يظلم بعضهم بعضاً. وقد رأى الحنابلة في هذه الآية دليلاً على جواز الشركة في العين والعقد([6]).

2_السنة النبوية:

فهي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقر لأصحابه على تعاملهم في الشركة، جاء في الهداية: الشركة جائزة لأنه صلى الله عليه وآله وسلم بعث والناس يتعاملون عليها فأقرهم عليه. وفي مجمع الأنهر وشرعيتها بالسنة فأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث والناس يباشرونها فقررهم عليها([7]). وقد روى ابن ماجه وأبو داود والحاكم وصححه أن السائب قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: كنت شريكي في الجاهلية فكنت خير شريك لا تداريني ولا تماريني. ولفظ ابن ماجه: كنت شريكي ونعم الشريك كنت لا تداري ولا تماري، فدل ذلك على إقرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم للشركة، وقد كانت معروفة قبل الإسلام يتعامل الناس بها كما أخبر السائب وقد كان أهل مكة تجاراً، وسميت قريشاً لأنها كانت أشهر قبيلة تقوم بالتجارة في رحلتي الشتاء والصيف، قال تعالى: (لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف)([8])..

والحاجة كانت قائمة إلى المشاركة، لأن بعض أصحاب رؤوس الأموال كانوا لا يستطيعون الخروج بأنفسهم، فكانوا يشاركون من يتاجر لهم بها، وقد ورد أن الرجل في الجاهلية كان يدفع إلى آخر ماله، ليخرج به إلى الشام وغيرها، فيبتاع المتاع على هذا الشرط المال من رجل والعمل من الآخر، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شارك خديجة مضاربة بمالها فكان يخرج به إلى الشام، وقد روي عن حكيم بن حزام صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعباس عمه عليه السلام أنهما كانا يضاربان بمالهما ويشترطان شروطاً معينة فأقرهما عليه السلام عليها([9])

3_الإجماع:

فقد حكاه جمهرة الفقهاء إذ كان الناس يتعاملون بالشركة من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا من غير نكير ([10]). وجاء في المغني لابن قدامة أن المسلمين أجمعوا على جواز الشركة بالجملة ([11]). وجاء في العناية على الهداية: وتعاملها الناس من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا من غير نكير.

وأما المعقول فإن الإسلام حث على حفظ الضروريات وهي ما تقوم عليه حياة الناس، ولابد منها لاستقامة مصالحهم من حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وراعي الحاجيات وهي ما يحتاج إليه الناس من اليسر والسعة ويبعدهم عن المشقة والضيق، وإذا لم تراع هذه الحاجيات أصاب الناس حرج ومشقة.

قال تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج)[12]. وقال: (يريد الله بكم اليسر)[13]..

وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتيسير على الناس بقوله: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)، كما وضع من الأحكام التحسينية ما تقضيه المروءة والأدب، ويكتمل به حسن الناس، وهدف من وراء ذلك أن تستقيم أمور العباد، وتصلح أحوالهم، وترقى شؤونهم، وتسمو غاياتهم. وقد دعا الإسلام إلى ابتغاء فضل الله ورزقه بنص الكتاب، قال تعالى:

(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)[14]: هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور[15].

الشركات التجارية:

نظراً لحاجة الناس إليها فقد كان هناك تعامل في الشركة قائماً بين العرب، لما كان للعرب وبخاصة قريش من نشاط تجاري ملحوظ، ولما اقتضته طبيعة الحياة التجارية والحاجة إلى التعاون على تنمية المال واستثماره بين الأشخاص، فشرع التعامل بالشركة، ووضع عموميات أحكامها. ثم جرى التعامل بها في صدر الإسلام دون أن يكون هناك تفصيل في بيان أحكامها. ولما اتسعت الفتوحات وتعددت مصالح الناس، وكثرت الحوادث، واستقر المسلمون، وانتشرت التجارة في رقعة العالم الإسلامي[16].

حيث حددت معالم الفقه الإسلامي وفصل الفقهاء أحكام الشركة وميزوا أنواعها من الشركة إباحة أو ملك أو عقد، ومن شركات أشخاص أو أموال، وتوسع الفقهاء منها في بيان ما يباح منها وما لا يباح، فأجاز الأمامان مالك وأبو حنيفة وكثير من الفقهاء أنواعاً من الشركات كالمفاوضة والعنان والأبدان والمضاربة والوجوه، عند أبي حنيفة، ثم جاء الإمام الشافعي فأداه اجتهاده إلى تضييق أنواع الشركة فلم يجز إلا شركة العنان والمضاربة، وجرى مجراه في هذا فقهاء الظاهرية

والشيعة، ولكن الإمام أحمد بن حنبل أجاز التعامل بجميع أنواع الشركات التي قال بها الفقهاء من قبل([17]).

المبحث الثاني:: أنواع الشركات:

١- شركة العنان:

أخذ الاسم من عنان الدابة، أو من المعنى المراد من إطلاق العنان لكل من الشريكين حرية التصرف في المال المشترك، والاشتراك في كل التجارات، أو في بعضها وقد يتساوى الشريكان في رأس المال، وربما لا يتساويان وفي حالة تساوي رأس المال قد لا يتساويان في الربح، وهو ما لا يجوز عند مالك والشافعي، وقد لا يتساويان في رأس المال ولكنهما يتساويان في الربح، ولأهل العراق تبرير لذلك، بقولهم أن الناس متفاوتون في الحذق في أعمال التجارة أما الخسارة فتتناسب ونصيب كل من الشريكين في رأس المال، وكان لكل من الجنسين الحق في تأسيس شركة مادامت بالغين عاقلين. ويرى الكاساني جواز العمل بشركة العنان كما تصح شركة العنان مع المسلم والذمي والحر والعبد والصبي([18]).

٢- شركة المفاوضة:

تتكون هذه الشركة من اثنين أو أكثر من التجار يتساويان برأس المال، وفي الربح والخسارة ولكل من الشريكين حق التصرف والتعامل برأس المال، وفي أي وجه من وجوه التجارة في حضور الطرف الآخر وغيابه، وإذا زاد رأس مال أحد الشركاء على الآخر فسدت الشركة في قول أصحاب أبي حنيفة، ويرى الكاساني جواز العمل بشركة المفاوضة في حين يعتبرها البعض باطلة. وقد نوه الرسول (ص) بجواز هذه الشركة حين قال: تفاوضوا فإنه أعظم للبركة.

ويتضح ذلك نتيجة اشتمال الشركة على أمرين جائزين هما الوكالة والكفالة، فيحكم الوكالة يكون شراء أحد الشريكين كشرائهما معاً وبحكم الكفالة يكون كل منهما مطالباً بما يجب على صاحبة بسبب التجارة([19]).

3_شركة الوجوه:

وهي أن يشترك اثنان بغير رأسمال، على أن يشتريا ويبيعا بالنسيئة، معتمدين على حسن سمعتهم إلى جانب أمانة عملهم، على أن يكون الربح بينهما بالمناصفة، ويراها الشافعي، باطلة، لأنه لا

يرى شركة دون رأسمال([20]). في حين أن مالك بن أنس ينكر شركة الوجه ويبرر الحنفية شركة الوجوه على أساس الوكالة، وعلى أساس العرف ويقول السرخسي: سميت بهذا الاسم على أن رأس مالها وجهها فإنه إنما يباع في النسيء ممن له في الناس وجه ويمكن أن تكون هذه الشركة شركة مفاوضة أو شركة عنان فتتبع أسس كل منهما ويذكر الكاساني أن هذا النوع من الشركات تعامل به الناس منذ أزمنة بعيدة، حتى جاء الإسلام، ولم ينكرها الرسول (ص) لأنها تشتمل على الوكالة والوكالة جائزة والمشتمل على الجائز جائز.

فالشركة بالأموال سعت لتنمية رأس المال، بينما الشركة بالوجوه فإنها شرعت التحصيل أصل المال لا لتنميته، والحاجة إلى تحصيل أصل المال فوق الحاجة لتنمية([21]).

4_شركة الأعمال (الأبدان):

شركة الأعمال هي الشركة التي تعتمد على الجهد البدني أو الفكري وهي أن يشترك اثنان أو أكثر في عمل معين أو في تقبل الأعمال ويكون ما يكسبانه مشتركة بينهما بحسب الاتفاق، فإذا اشترك كاتبان في عمل فكري ككتابة كتاب ونشره، أو اشترك طبيبان في فتح عيادة، أو اشترك خياطان في تقبل الخياطة واتفقا على أن ما يكسبانه لهما مناصفة أو غير ذلك كان ذلك شركة أعمال. وقد اتفق الجمهور على جواز هذه الشركة واختلفوا في بعض أحكامها وأنواعها، وخالف في ذلك الشافعي وأهل الظاهر والشيعة الجعفرية فذهبوا إلى أنها شركة باطلة ([22]).

واستدل الشافعية على منع شركة الأعمال بأن الشركة تنبيء عن الاختلاط وهو الاختلاط وهو شرط لجوازها ولا يقع الاختلاط إلا في الأموال، ولا يتحقق الاختلاط بالأموال في شركة الأعمال، لأن الشركة إنما شرعت أصلا الاستنماء المال بالتجارة، ولا بد من أصل يستنمى، ولا يوجد في شركة الأعمال لأنها تعتمد على الأبدان، فلا يحصل ما وضعت له الشركة فلا يجوز، ثم أن فيها كثير غرر، لأن الأعمال لا تنضبط، وعمل كل واحد من الشركاء مجهول عند صاحبه وهو مميز ببدنه ومنافعه فيختص بفوائده ولا يجوز أن يشاركه فيها غيره([23]).

واستدل الشيعة الجعفرية على المنع بما استدل به الشافعية ويزيدون بأن العقود الشرعية تحتاج إلى أدلة شرعية وليس في الشرع ما يدل على صحة شركة الأبدان([24]).

5_شركة المضاربة:

المضاربة_ وتسمى القراض والمعاملة نوع من أنواع الشركة في الشريعة الإسلامية لأنها شركة في الربح لا في رأس المال.

معناها:

هي عقد على الشركة بمال من أحد الجانبين والعمل من جانب آخر([25]). والعمل يكون بالتجارة، والربح بينهما ولا تصح إلا بالنقد عند الشافعية، فهي عندهم عقد على نقد لا ينصرف فيه العامل بالتجارة وتكون الشركة بالربح لأن المال من جانب واحد، ولا يشترك الاثنان إلا في الربح.

ويقال لصاحب رأس المال: رب المال، أو المالك، ويقال للشريك الذي يقدم عمله: العامل أو المفارض أو المضارب. فالركن الأساسي لشركة المضاربة هو الإيجاب والقبول كأن يقول رب المال: خذ هذا المال فضارب فيه على أن يكون الربح بيننا نصفين، أو اتجر به أو أعمل فيه، فقال الآخر: قبلت ورضيت، وتسلم المال انعقدت المضاربة([26]).

وقد ذهب الشافعية إلى أن أركان المضاربة خمسة: ١- رأس المال. ٢- العمل. ٣- الصيغة. ٤- العاقدان: ٥- رب المال والمضارب.

اقسام الشركة:

١- شركة الإباحة:

معنى شركة الإباحة: اشتراك العامة في حق تملك الأشياء المباحة التي ليست في الأصل ملكاً لأحد كالماء بأخذها وإحرازها ([27]).

والمقصود بالعامة جميع الناس، والمقصود بحق التملك هو حق القدرة على التصرف ابتداءً إلا لمانع أو بعبارة أوضح السلطة التي تمكن صاحبها من استعمال الشيء والإفادة منه..

والإباحة تكون بإذن من الشارع مباشرة بما ورد من نصوص تدل عليه، أو من استنباط المجتهدين لهذا الإذن، والإذن من الشارع أما أن يكون إذناً بالاستهلاك كالإذن الوارد في قوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً)([28]).

فنص بقوله تعالى (لكم وللسيارة) على أنه يباح للناس جميعاً صيد البحر، ونص على إباحة صيد البر إلا للمحرم فهو إذن بإباحة الاستهلاك. ومثله الإذن الوارد في قوله صلى الله عليه وآله وسلم

(الناس شركاء في ثلاثة: في الماء والكلأ والنار)، فهو نص على الشركة العامة في أشياء ثلاثة وجعلها للناس كافة.

وأما أن يكون إذناً من الشارع بالاستعمال وهذا يتناول إباحة المرافق والمنافع العامة. والفرق بين الاستهلاك والاستعمال واضح، وذلك أن كلمة المال تشمل ما يتمول به، إما باستهلاك عينه ذهاب أصله كالطعام، وإما بعدم استهلاكها بالانتفاع بها مع بقاء عينها كالطريق العام([29]).

2_شركة الملك:

شركة الملك أن يكون الشيء مشتركاً بين اثنين أو أكثر بسبب من أسباب التملك كالشراء والهبة والوصية والإرث أو خلط الأموال أو اختلاطها بصورة لا تقبل التمييز والتفريق.

وذهب المالكية إلى أن شركة الملك تنقسم بحسب أسباب التملك إلى ثلاثة أقسام:

أ- شركة الإرث: وهي اجتماع الورثة في ملك عين عن طريق الميراث.

ب- شركة الغنيمة: وهي اجتماع الجيش في ملك الغنيمة.

ج- شركة المبتاعين: وهي أن يجتمع اثنان أو أكثر في شراء دار ونحوها([30]).

وعند جمهور الفقهاء تنقسم إلى قسمين:

1_شركة جبر: وهي التي تحصل بغير فعل الشركاء. وضابطها أن يختلط المالين بغير اختيار المالكين خلطاً لا يمكن التمييز بينهما حقيقة بأن كان الجنس واحداً، أو يمكن التمييز بصعوبة ومشقة كأن تختلط الحنطة بالشعير، أو يختلط المالين بأن يرث الشخصان مالاً([31]). وبهذا تكون شركة الجبر قائمة على اختلاط المالين اختلاطاً يجعل التمييز بينهما متعذراً أو صعباً، غير أن بعض الفقهاء جعل الشركة الجبرية تقوم على اجتماع الشركاء في ملك عين قهراً. عرفوا الشركة الجبرية بأنها: اجتماع شخصين فأكثر في ملك عين قهراً، ومؤدي التعريفين واحد وإن كان الثاني أدق لأن الشركة في معناها هي الخلط، والخلط يكون بفعل المتشاركين أو يدل عليه والاختلاط أثر من آثار الخلط([32]).

2_شركة اختيار: وهي ما كانت بفعل. الشركاء وضابطها أن يرضى الشريكان أو الشركاء بالشركة، فإذا وهب لهما مال فقبلا الهبة، أو تصدق عليهما بصدقة فقبلاها، أو تملكا مالاً بالاستيلاء على مال عدو أو خلطا ماليهما برضاهما، أو أوصى أحد بمال لاثنين أو أكثر فقبلا

الوصية، أو تملك اثنان أو أكثر مالاً بالشراء كان ذلك شركة ملك اختيارية أي قائمة على رضا الشركاء بالشركة ومن هذا كان معناها أن يجتمع شريكان أو أكثر في ملك عين باختيارهما([33]).

هذا هو تقسيم شركة الملك من حيث فعل الشركاء.

أما تقسيمها من حيث نوع المال المشترك فيه فقد قسمت قسمين:

١- شركة عين: وهي الاشتراك في المال المعين الموجود باشتراك اثنين شائعاً في دار أو أرض أو شاة.

٢- شركة دين: وهي الاشتراك في مبلغ من المال في الذمة كأن يبيع اثنان ثوباً لهما لآخر بثمن مؤجل فذلك الدين هو المشترك بينهما.

وفي اعتبار شركة الدين من شركة الملك نظر، لأن الدين وصف شرعي اعتباري لا يملك فهو في حكم العدم، بل هو عدم حقيقة وإنما أعطي حكم الوجود للحاجة إلى الاستقراض والشراء بالثمن المؤجل، ولهذا فإن بعض العلماء لم يدخل الدين في شركة الملك المالكية والحنابلة وبعض فقهاء الحنفية كابن نجيم والسرخسي. وذهب آخرون كالكمال ابن الهمام وأبي السعود وابن عابدين إلى اعتبار شركة الدين من شركة الملك بالنظر لجواز هبته([34]).

3_شركة العقد:

تطلق الشركة على العقد في بعض الروايات اللغوية، وإذا قيل شركة عقد فالإضافة بيانية، لأن الوجه في الشركة أن تكون عقداً، لأنها ربط بين كلامين ينشأ عنه أثر شرعي، وهي التي غناها الفقهاء عند إطلاق لفظ الشركة ويعنون بها شركة التجارة لأنها تنشأ بالعقد بين الطرفين.

وقد عرف الفقهاء شركة العقد تعريفات متعددة في المذاهب المختلفة مع توضيحها ومناقشتها.

إذ عرف الأحناف شركة العقد بأنها عبارة عن عقد بين المتشاركين في الأصل والربح، والمراد بالعقد ما كان ربطاً بين كلامين أو ما يقوم مقامهما ينشأ عنه أثر شرعي، أي أنه تعبير عن إرادتين أو أكثر بكلام كأن يقول أحد الشريكين للآخر شاركتك في عموم التجارات([35]). ويقول الآخر قبلت، أو بما يقوم مقام الكلام كالإشارة أو الكتابة مما يترتب عليه الأثر الشرعي من وجود الاشتراك بين شخصين أو أكثر في المال أو الدين والمساهمة في الأرباح والخسائر، والتزام ما يتفق عليه الشركاء وغير ذلك. والمراد في الأصل أي في رأس المال، أي يشترك الاثنان أو

الأكثر في رأس المال بأن يخلط كل منهم رأس ماله برأس مال الآخر فيصبحوا شركاء، وبالتالي يكونون شركاء في الربح بحسب رؤوس الأموال أو بحسب الاتفاق، وهو المراد بقوله، وفي الربح، ويتكون رأس مالهما من الحصة التي يقدمها كل شريك مساهمة منه في الشركة([36]).

كما أورد المالكية للشركة تعريفات متعددة منها ما أورده شراح مختصر خليل وهو أن شركة العقد إذن من كل واحد من المتشاركين للآخر في التصرف في ما له لهما مع بقاء تصرف أنفسهما، أو بتعبير آخر: عبارة عن إذن كل واحد من الشريكين أو الشر كاء للآخر في أن يتصرف في مال يملكاته على أن كلا منهما يتصرف لنفسه وللآخر([37]). وظاهر من التعريف أن كلاً من الشريكين يعمل لنفسه في مال الآخر ولصاحبه معاً، وهذا هو معنى الإذن في الشركة. وعرف الشيخ الدردير بأن شركة العقد هي عقد مالكي مالين فأكثر على التجار فيهما معاً، أو عقد على عمل بينهما والربح بينهما بما يدل عليه عرفاً([38]).

والمتأمل يرى أن تعريف الشيخ الدردير أقرب إلى معنى الشركة إذ نص على أن الشركة عقد فدل على نوعها، وبين أنها تكون بالمال أو بالعمل فكان أشمل من سابقه. وزاد بأن اعتبر العرف في تقسيم الأرباح، بينما أورد الأول لازم العقد وهو الإذن بالتصرف ولم يذكر الملزوم وهو العقد فالإذن إنما يكون مترتباً على صدور الإيجاب والقبول وهو عقد الشركة، والتصرف يترتب على الإذن. ويرى الحنابلة أن تعريف شركة العقد هو اجتماع اثنين فأكثر في التصرف وعندهم أن لفظ الشركة يغني عن إذن صريح في التصرف ولهذا لم يتعرض التعريف للإذن. ويعرف الشافعية الشركة بأنها: ثبوت الحق في شيء لاثنين فأكثر على جهة الشيوع. ومثله تعريف الإمامية لها بأنها اجتماع حق مالكين فصاعداً في الشيء على سبيل الشياع([39]).

الخاتمة:

لقد اهتم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالتجارة كثيراً ونظمها ووضع لها حدودها وضوابطها وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده فإن للإسلام غاية من وضع القيود على الشركات وفرض الشروط، فلم يجعل الاشتراك أي اشتراك مباحة ولم يمنع الاشتراك مطلقة وإنما صان الشركات بقيود هي نعمة من نعم الله على الإنسان، حتى لا يطغي غني على فقير، ولا كثير مال على قليل مال، ولا تستبد فئة من أصحاب الأموال بثروات البلاد، يتحكمون في مصائرها ويوجهونها

لصالحهم، وحتى لا تطغى المصالح الخاصة على المصالح العامة، ويضحى بها من أجل مصالح أصحاب الشركات الكبرى والإسلام يرى في القيود التي وضعها منعا للاستغلال، وحماية للصالح العام، وحجز عن وقوع الضرر العام وذلك لأن الغرض الذي يبعث الناس على انشاء الشركات في نظر الإسلام هو الربح، سواء أكان للأفراد أو للأمة، وهذا الربح موجه ومحدد بقيود هي أوامر الله ونواهيه، فلا تتعامل الشركة بالمحرم، ولا تستخرج الربح من سحت كالاحتكار والربا، ولا تقوم على استعباد العامل أو الفلاح، أو استغلال الموارد العامة لمصالح الأشخاص، فالحافز للمسلم على الاشتراك وإن كان هو تحصيل الربح أصلا، إلا أنه يبتغي في ذلك مرضاة الله، ومرضاة الله تقتضي أن يتقيد بأوامره وأن يبتعد عما نهى عنه، وذلك يستلزم منه أن لا يتعامل بالربا، وأن يبتعد عن الغش والضرر والغرر وأن لا ينشيء شركة أو يتقاضى ربحة فيه معصية لله، ويستلزم أيضا أن يكون صالح الجماعة رائده.

الهوامش

1. الفيومي، احمد بن محمد علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ثم الحمولي ابو العباس(ت770ه) المكتبة العلمية بيروت، مادة شرك.
2. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت711ه/ 1311م) لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1375ه / 1956م، ج3، ص333
3. الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي ت743ه، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الاميرية الكبرى بولاق، ج3، ص12
4. سورة الكهف: اية 19
5. سورة ص: اية 24
6. عبد العزيز الخياط، الشركات في الشريعة الإسلامية، ط2، مؤسسة الرسالة بيروت، دار البشير، 1994، ج1، ص58_59
7. زادة، عبد الرحمن بن محمد بن سلمان(ت1078ه) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الابحر، دار احياء التراث العربي، ج1، ص722
8. سورة قريش: اية 1 _2
9. الخياط، الشركات في الشريعة الإسلامية، ج1، ص63
10. السرخسي محمد بن احمد(ت 483ه / 1-90م) المبسوط، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط3، بيروت 1978، ج11، ص155
11. ابن قدامة، موفق الدين عبد لله بن احمد بن محمد(ت620ه) المغني، تحقيق عبد الله بن عبد الحسين، ج5، ص109
12. سورة الحج: اية 78
13. سورة طه: اية 185
14. سورة الجمعة: اية 10
15. سورة الملك: اية 15
16. عبد العزيز الخياط، الشركات في الشريعة الإسلامية، ج2، ص28

17. عبد العزيز الخياط، الشركات في الشريعة الإسلامية، ج2، ص28
18. الكاساني، علاء الدين بن مسعود(ت578ه/ 1191م) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط3، دار الكتب العربية، بيروت2394ه/ 1974م/ ج6، ص57، الدوري، قي الدين عارف، تاريخ العراق الاقتصادي، ط2، بيروت لبنان، ص127
19. السرخسي، محمد بن احمد(ت483ه/ 1090م) المبسوط، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط3، بيروت1978م، ج11، ص125
20. الشافعي، محمد بن ادريس(ت204/ 819م) الام، القاهرة، 1321م، ص109
21. السرخسي، المبسوط، ص179
22. ابن جزي، محمد بن احمد بن محمد بن جزي الكلبي، ت(741ه) القوانين الفقهية، ص274
23. الكاساني، بدائع الصنائع، ج6، ص57
24. خالصي، محمد بن محمد مهدي الكاظمي، الإسلام سبيل سعادة والسلام، بغداد 1972، ص204
25. الفرغاني، علي بن ابي بكر بن الجليل(539ه) الهداية في شرح المبتدي، دار التراث العربي، بيروت لبنان، ج2، ص148
26. زادة، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الابحر، ج2، ص321
27. زادة، نتائج الأفكار في كشف الرموز والاسرار، تكمله فتح القدير، ط2، دار الفكر،1397، ص135
28. سورة المائدة: اية 96
29. الخياط، عبد العزيز، الشركات في الشريعة لاسلامية، ج1، ص36
30. الدردير، احمد بن محمد، اقرب المسالك لمذهب الامام مالك، ج2، ص99
31. الكاساني، بدائع الصنائع، ج6، ص56
32. الجزيري، عبد الرحمن بن محمد، الفقة على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1424، ج2، ص63
33. الموصلي، عبد الله بن محمود بن مودود، الاختيار لتعليل المختار، تحقيق محمود أبو دقيقة، ج2، ص16
34. الخياط، الشركات في الشريعة الإسلامية، ج1، ص14
35. زادة، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الابحر، ج1، ص722
36. الخياط، الشركات في الشريعة الإسلامية، ج1، ص42
37. الزرقاني، عبد الباقي بن يوسف بن احمد(ت1099) شرح الزرقاني على مختصر الخليل، تحقيق عبد السلام محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان1422ه، ج6، ص40
38. الدردير، اقرب المسالك لمذهب الامام مالك/ ج2، ص99
39. الشربيني، شمس الدين محمد بن احمد الخطيب،(ت 977) مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للنشر، بيروت لبنان، ج2، ص291

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

المصادر:

1. الفيومي، أحمد بن محمد علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ثم الحموي أبو العباس (ت ٧٧٠ه)، المكتبة العلمية بيروت، مادة شرك.

2. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ه / ١٣١١م) لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، ١٣٧٥ه/ ١٩٥٦م، ج٢.

3. السرخسي، محمد بن احمد (ت ٤٨٣ه / ١٠٩٠م)، المبسوط، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٣، بيروت ١٩٧٨م، ج١١.

4. ابن جزي، محمد بن احمد بن جزي الكلبي (ت ٧٤١ه)، القوانين الفقهية.

5. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن محمد (ت ٦٢٠ه)، المغني، تحقيق عبد الله بن عبد الحسين، ج٥.

6. الكاساني، علاء الدين بن مسعود (ت ٥٨٧ه/ ١١٩١م)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٣، دار الكتب العربية، بيروت، ١٣٩٤ه/ ١٩٧٤م، ج٦، ص٤٥٧، الدوري، تقي الدين عارف، تاريخ العراق الاقتصادي، ط٢، بيروت لبنان.

7. الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي ت ٧٤٣ه، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الأميرية الكبرى بولاق، ج٣.

8. الشافعي، محمد بن ادريس (ت ٢٠٤ه/ ٨١٩م)، الأم، القاهرة، ١٣٢١ه.

9. الشربيني، شمس الدين محمد بن احمد الخطيب (ت ٩٧٧ه)، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للنشر بيروت، ج٢.

10. الفرغاني، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل (ت ٥٣٩ه)، الهداية في شرح بداية المبتدي، دار التراث العربي، بيروت لبنان، ج٣.

11. الجزيري، عبد الرحمن بن محمد، الفقه على المذاهب الاربعة، ط٦، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢٤ه، ج٢.

12. الزرقاني، عبد الباقي بن يوسف بن احمد (ت١٠٩٩)، شرح الزرقاني على مختصر خليل، تحقيق عبد السلام محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢٢ه، ج٦.

13. الدردير، احمد بن محمد بن احمد، اقرب المسالك لمذهب الامام مالك، ج٢.

14. خالصي، محمد بن محمد مهدي الكاظمي، الاسلام سبيل السعادة والسلام، بغداد ١٩٧٢.

15. زادة، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان (ت١٠٧٨ه)، مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر، دار احياء التراث العربي، ج١.

16. زادة، نتائج الافكار في كشف الرموز والاسرار، تكملة فتح القدير، ط٢، دار الفكر، ١٣٩٧ه.

17. عبد العزيز الخياط، الشركات في الشريعة الاسلامية، ط٢، مؤسسة الرسالة بيروت، دار البشير، ١٩٩٤، ج١، ج٢

الفصل الرابع

العملات النقدية المتداولة في التاريخ الإسلامي (القرن 3–8هـ/9–14م): دراسة في ضوء مؤلفات أ.د. سعاد الطائي

م.د. شيماء كريم خلف

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب - العراق

Email: shaima1@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

تُكمن أهمية هذه الدراسة في إعطاء رؤية نسبية عن العملات المتداولة في التاريخ الاسلامي في المدة أنذاك اذ تسلط هذه الدراسة الضوء على العملات النقدية التي ذكرت في مؤلفات الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي ومعرفة أشكالها وحجمها والنصوص التي نُقشت عليها والمواد التي صُنعت منها ومراكز سكها وهل كان هناك دوافع سياسية او اقتصادية جعلت السلطة الحاكمة انذاك تُضرب عملات جديدة للتداول بين العامة في حقب تاريخية معينة,وهل استمر التعامل فيها ام توقف تداولها بين العامة ومعرفة ما اذا ترتبت أضرار اقتصادية من تداول عملات نقدية جديدة.

الكلمات المفتاحية: العملات النقدية؛ الطائي؛ الدينار؛ الدرهم؛ الجاو

Abstract

The importance of this study lies in giving a relative view of the currencies in circulation in Islamic history during that period. This study sheds light on the currencies mentioned in the works of Professor Dr. Suaad Al-Taai, and knowing their shapes, sizes, the texts that were engraved on them, the materials they were made from, and the centers where they were minted. It also examines whether there were political or economic motives that made the ruling authority at that time mint new currencies for circulation among the public in certain historical periods, whether dealing with

them continued or their circulation among the public stopped, and whether economic damages resulted from the circulation of new currencies.

Keywords: Coins; Al-Taai; Dinar; Dirham; Jaw

المقدمة

تُشكل العملات النقدية أحدى الموضوعات المهمة في التاريخ الاسلامي لكونها شكل من اشكال الجوانب الاقتصادية في البقاع الجغرافية المختلفة من حيث تداولها والاسباب التي تُكمن في نقشها في صور واشكال معينة لإضافة طابع خاص لها في مختلف الحقب التاريخية ولذا اهُتم فيها في البحث والتمحيص التاريخي من لدى الباحثين والمؤرخين.

من هنا جاءت دراسة هذا الموضوع في ضوء مؤلفات الباحثين الاكاديميين البارزين الذين تناولت مؤلفاتهم العملات النقدية في مختلف الحقب التاريخية لاسيما مؤلفات الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي.

تضمنت هذه الدراسة نبذة عن السيرة الذاتية والعلمية للأستاذة الدكتورة سعاد الطائي لاسيما ولدتها وتدرج سيرتها الدراسية ومراحل التدرج الوظيفي واهتماماتها وجوائزها البحثية والعلمية بما في ذلك عدد مؤلفاتها ومعامل تأثيرها البحثي ورحلاتها العلمية للدول العربية والاجنبية,فضلاً عن عرض ومناقشة وتحليل العملات التي تداولت في كل من بلاد الهند في (القرن 3ه/9م) و العصر القراخاني (315-607ه/927-1210م) والعصر البويهي(334-447ه/945-1055م) و العصر الغزنوي(351-582ه/962-1186م) والعصر المغولي (602-756ه/1206-1355م) وعملات بلاد ما وراء النهر في (القرن8ه/ 14م) فضلاً عن العملات التي تداولت في الصين وبلاد الاويغور في ضوء ما ورد في مؤلفات الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي.

أولاً: نبذة عن سيرتها الذاتية والعلمية

ولدت الاستاذة الدكتورة سعاد هادي حسن ارحيم الطائي, في بغداد شارع فلسطين بتاريخ1971/9/21,وهي أستاذة في جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية(قسم التاريخ),واكملت دراستها الجامعية والعليا في جامعة بغداد/كلية التربية ابن رشد للعلوم

الانسانية,فنالت شهادة البكالوريوس عام1994، وكانت الاولى على الدفعة المعدل 89.169% والتقدير (جيد جداً عال),وبعدها الماجستير عام1999، الاولى والتقدير (امتياز),وبعدها الدكتوراه عام 2002، الاولى و التقدير (امتياز) (محسن,2020,ج5,ص 107؛ بيطام,2020,ص24؛ صلاح الدين,2022,ج1,ص57؛ خلف,2025,ص473-474),فضلاً عن حصولها الدكتوراه الفخرية ولقب سفير السلام وحقوق الانسان(كاظم,2025,ص88).

وفي الحديث عن البدايات نقف امام محطات مهمة في مسيرتها العلمية والتعليمية منها(بيطام,2020,ص24):-

*معيدة في قسم التاريخ, جامعة بغداد, كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية,قسم التاريخ(1994-1999).

*لقب مدرس مساعد,جامعة بغداد,كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية,قسم التاريخ(1999-2002).

*لقب مدرس بنفس الجامعة دائماً(2002-2006) ثم أستاذ مساعد(2006-2011).

*لقب أستاذ اعتباراً من عام 2011 الى يومنا هذا.

تُعد الاستاذة الدكتورة سعاد هادي حسن الطائي من ابرز الاكاديميات في جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية /قسم التاريخ، والمتخصصة في تاريخ المغول والمشرق الاسلامي، لأثرها الفاعل في كتابة التاريخ مع توظيف الذكاء الاصطناعي في الدراسات الانسانية فهي اول استاذ يستخدم الذكاء الاصطناعي في تدريس الدكتوراه تاريخ اسلامي,والمرحلة الرابعة بكالوريوس في جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية قسم التاريخ للعام(2024-2025),فضلاً عن اقامة ورش عن توظيف الذكاء الاصطناعي في دراسة العلوم الانسانية (خلف,2025,ص473و475).

وهي محكم لعدد كبير من البحوث داخل العراق وخارجه ومحكم لعدد كبير من الرسائل والاطاريح الجامعية فضلاً عن مناقشة واشراف عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه, وكذلك العضوية في هيئة تحرير عدة مجلات محلية وعربية ودولية وتولي رئاسة عدة مؤتمرات محلية (كاظم,2025,ص 88-89؛ صلاح الدين,2026,ج11, ص 20-21).

*** اهتماماتها وإنجازاتها وجوائزها البحثية :**

اهتماماتها البحثية تاريخ الهند والصين، تاريخ الترك، الحضارة الاسلامية، الفكر الاسلامي، التنمية المستدامة والبشرية، التلوث البيئي، حقوق الانسان(السويدي,2019,ص268؛ صلاح الدين,2022,ج1,ص57؛ خلف,2025,ص474), علاوةً على ذلك مؤشرات التميز العلمي لديها (جامعة بابا كركر,2026,ص28 : (

(H-index in Google Scholar 10/ H-index in Research gate 9/ H-index in Scopus7).

فضلاً عن ذلك عدد أبحاثها المنشورة في مجلات سكوباس (26) بحث, وعدد البحوث المنشورة في مجلات مختلفة محلية ودولية اكثر من(112) بحث, وعدد كتبها المؤلفة المنجزة (18) كتاب ,وعدد المقالات القصيرة المنشورة في المجلات المحلية والعربية والدولية (12) مقال(صلاح الدين,2026,ج11, ص12- 13 و18-20).

علاوةً على ذلك حصولها على عدد كبير من الجوائز والاوسمة والدروع(خلف,2025,ص479),منها وسام باحث مبادر ضمن منصة أُريد لعام 2018, ووسام ناشر مميز ضمن منصة أُريد لعام2019 عدد 2, ووسام باحث داعم ضمن منصة أُريد لعام 2019, ووسام ناشط في فعاليات أُريد ضمن منصة أُريد لعام 2019 عدد 3 ,ووسام الصفحة المتميزة ضمن منصة أُريد لعام 2019, ووسام باحث مبدع ضمن منصة أُريد لعام 2019 ,ووسام مشروع عالم ضمن منصة أُريد لعام 2019, وحاصلة على الميدالية الفضية لفوزها بالمرتبة الثانية في مسابقة منصة أُريد لصناعة محتوى علمي هادف في شهر رمضان لعام 2019,ووسام ناشط في فعاليات المحفل العلمي الدولي (مؤسسة أُريد العلمية ,2026,ج1,ص79),وجائزة وسام سيدة الوطن العربي, الاكاديمية الدولية للدراسات والعلوم الانسانية بالتعاون مع الدولية لريادة الاعمال ودعم المرأة لعام 2020,وجائزة يوم العلم عام 2024عن فئة البحث المتميز لعام 2023, وجائزة الباحث المتميز لعام 2024 شبكة المؤتمرات العربية (خلف, 2025,ص480), وتم ادراج اسمها ضمن كشاف العلماء العالميين في قاعدة البيانات العلمية الدولية AD Scientific Index 2025 للعلماء والجامعات العالمية ضمن التصنيف المؤسسي لجامعة بغداد وذلك حسب معدل H-index(كاظم,2025,ص89).

لم تتوقف إنجازاتها عند هذا الحد, بل حصلت على المرتبة الاولى بدرجة (100%) في تقييم الاداء على مستوى كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية , قسم التاريخ للعام الدراسي(2024-2025) (الطائي,أ.د.سعاد هادي حسن أرحيم,مقابلة شخصية, أجرى المقابلة (شيماء كريم خلف),(2026/6/25).

فضلاً عن فوزها بالمرتبة الاولى,ضمن اول موسوعة علمية تصدر عن جامعة بابا كركر برعاية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وقسم شؤون المرأة في الوزارة للمرأة الاكاديمية والتنمية المستدامة في العراق عن تخصص العلوم الانسانية وفق الاثر العلمي المتمثل بمعامل H-index في كل من (Google Scholar) و (Scopus), بتاريخ 2026/5/11 (جامعة بابا كركر,2026, ص27-28و62).

*** رحلاتها العلمية:**

زارت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي عدد من الدول والمدن العربية والاجنبية لحضور المؤتمرات العلمية والدورات التدريبية ومن أبرزها: دبي,لبنان,مصر,تونس,ماليزيا,سنغافورة,المانيا,ايطاليا,فرنسا,سويسرا,النمسا, اسبانيا, المملكة المتحدة (لندن- أوكسفورد- كامبريدج- مانشستر - ليفربول),الولايات المتحدة الامريكية(خلف,2025,ص483؛ كاظم,2025,ص 91).

ثانياً: العملات النقدية المتداولة في بلاد الهند (القرن 3ه/9م)

اشارت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي الى العملات المتداولة في بلاد الهند لاسيما في مدينة كوكم ملي حينما تحدثت عن رحلة سليمان التاجر السيرافي(كان حياً في ق 3ه/9م) للهند اذ ذكر ان مدينة كوكم ملي تأخذ من السفن الصينية الف درهم ومن غيرها من السفن ما بين عشرة دنانير الى دينار (الطائي واخرون,2022,ص43).

اذن الدينار والدرهم من العملات المتداولة في بلاد الهند في المدة آنذاك لاسيما في مدينة كوكم ملي.

فضلاً عن ذلك ذكرت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي في ضوء رحلة سليمان التاجر السيرافي للهند ان ملك الهند بلهرا له مال كثير وماله دراهم تدعى الطاطرية وزن كل درهم درهم ونصف بسكة الملك(الطائي واخرون,2022,ص45).

هذا يدل ان الدرهم في بلاد الهند عرف بتسمية اخرى وهي الطاطرية, فضلاً عن اشارتها الى وزن الدرهم في بلاد الهند.

علاوةً على ذلك من الاشارات الاخرى التي ذكرتها الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي عن العملات المتداولة في الهند انهم كانوا يتبايعون بالفضة التبر (الطائي واخرون,2022,ص45).

اي ان بلاد الهند لم يتعاملوا فقط بالدينار والدرهم بل ايضاً الفضة الخام في صورتها الاصلية.

ثالثاً: العملات النقدية المتداولة في عصر القراخانيون (315-607ه/927-1210م)

وضحت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي ان القراخانييون اول الامارات التركية الاسلامية التي ظهرت في تركستان وامتد حكم امارتهم اكثر من 230 عام أي ما بين (315-607ه/927-1210م) واول من اعتنق الدين الاسلامي منهم هو الامير سبق بغرا خان عبد الكريم(ت344ه/955م) (الطائي,2016,ص20).

اشارت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي الى اماكن سك النقود والنصوص التي نقشت على النقود في العصر القراخاني.

اذ ضربت النقود باسم الامير القراخاني ايلك خان ناصر الحق بن علي بن ستيق بن شمس الدولة الذي تولى الحكم عام (383ه/993م) في بخارى وسمرقند ومدن اخرى من بلاد ماوراء النهر(الطائي,2016,ص 123).

نقش الالقاب على النقود يكسب القراخانيون الصفة الشرعية لا مارتهم واتخذوا لقب (موالي أمير المؤمنين) ونُقش على سكتهم وضربوا اسم الخليفة العباسي على عملتهم ففي عام (404ه/1013م) سكت النقود في مدينة ياركند في بلاد ما وراء النهر وفي مدينة كاشر عام(405ه/1014م) باسم الخليفة العباسي القادر بالله (381-422ه/991-1030م) وباسم الامير القراخاني قدر خان يوسف امير بخارى وكان يلقب بلقب نصير الدولة وملك المشرق وحملت النقود التي ضربت في مدينة سمرقند اسم الامير القراخاني ابراهيم طمغاج خان الذي كان يلقب

عماد الدولة وتاج الملة سيف خليفة الله طمغاج خان ابراهيم (الطائي,2016, ص45-46), فضلاً عن ذلك ضربت السكة في الجزء الجنوبي من فرغانة وخاصة في مدينة أوزكند اذ ضربت السكة باسم الامير قدر خان يوسف(ت 424ه/1032م) عام(416ه/1025م) ونقش اسمه ايضاً على السكة في مدينة اخسيكت عام (420ه/ 1029م)(الطائي,2016,ص 85)

علاوةً على ذلك ذكرت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي ان الاصطلحات التركية للقراخانيون نقشت على عملة خانات سمرقند في نهاية القرن(7ه/13م) لاسيما كلمة أولوغ أضيفت الى عبارة سلطان السلاطين (الطائي,2016,ص 32).

بما ان القراخانيون كانوا معاصرين للخلافة العباسية فكانت العملات المتداولة هناك هي الدينار والدرهم.

رابعاً: العملات النقدية المتداولة في العصر البويهي(334-447ه/945-1055م)

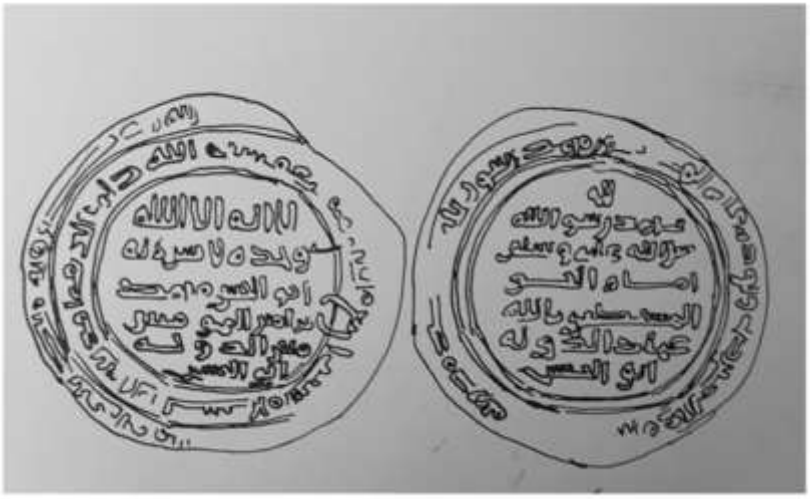
قبل التطرق الى العملات في العصر البويهي لابد لنا من اعطاء تعريف مؤجز للبويهيين اذ انهم ينتمون الى الديلم وتعني جيلان وطبرستان وقومس وجرجان وجزءاً من اقليم الجبال الري وقزوين واجزاء من اذربيجان وآران (ابن حوقل, 1938, ج2,ص 375؛ منيمنة, د.ت, ص 43) وبدا اول ذكر للبويهيين في مدة الناصر الاطروش ومن بعده ايام ولديه احمد وجعفر وقامت الدولة البويهية على ايدي الاخوة الثلاثة علي عماد الدولة (320- 338ه/ 932-949م) واحمد معز الدولة (320-356ه/932-967م) والحسن ركن الدولة (335-366ه/946-976م) ووالدهم كان حطاباً ابا شجاع بويه وكانوا فقراء وتوفت والدتهم وهم صغار وتعود اصولهم الى الملك الساساني بهرام غور(ابن الاثير, 1997,ج7,ص 5؛ منيمنة, د.ت, 52 و54).

تضمنت مؤلفات الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي العملات النقدية في العصر البويهي اذ انها اشارت الى النصوص التي نُقشت على الدينار والدرهم البويهي.

ففي عهد الخليفة المستكفي بالله(333-334ه/944-945م) كانت نصوص الدرهم البويهي مكتوب في الطراز الاول لا اله الا الله,ومركز الوجه: وحده لا شريك له ابو الحسن محمد بن امير المؤمنين, اما الطوق الداخلي: بسم الله ضرب الله هذا الدرهم بمدينة السلام عام اربع وثلاثين وثلثمائة,والطوق الخارجي لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله محمد

رسول الله,ومركز الظهر صلى الله عليه وسلم امام الحق المستكفي بالله عماد الدولة ابو الحسن,والطوق: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (الطائي,2020,ص180).

فضلاً عن ذلك أشارت الى مخطط لدرهم بويهي عليه القاب الخليفة العباسي المستكفي بالله وعلى الجانب الاخر ابي الحسن والقاب وكنى اولاد بويه عماد الدولة ابو الحسن ومعز الدولة ابو الحسين (الطائي,2020,ص182) كما هو موضح أدناه:



فضلاً عن ذلك اشارت الى نصوص الدنانير البويهية المضروبة في بغداد عام (334ه/945م) لا اله الا الله وحده لا شريك له ومركز الوجه: معز الدولة ابو الحسين بويه, والطوق الداخلي بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة السلام عام اربع وثلاثين وثلثمائة والطوق الخارجي: بسم لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله, ومركز الظهر: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المطيع لله عماد الدولة ابو الحسن بويه,اما الطوق: محمد رسول الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون(الطائي,2020,ص178).

كما ذكرت ان الخليفة المستكفي بالله امر بضرب القاب البويهيين على الدنانير والدراهم مع اسمه ويُعد الامير البويهي معز الدولة أول من ضُرب اسمه من الامراء البويهيين على النقود مع اسمه(الطائي,2020,ص18).

فضلاً عن ذلك ذكرت مخطط فيه مجموعة دنانير بويهية عليها اسماء الخلفاء العباسيين المطيع لله (334-363ه/945-973م) والطائع لله(363-381ه/973-991م) والقاب الامراء البويهيين عماد الدولة وعضد الدولة (367-372ه/978-983م) (الطائي,2020,ص 184) كما هو موضح أدناه:



علاوةً على ذلك ذكرت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي نصوص الدنانير المضروبة في بغداد عام (365ه/975م) اذ جاء فيها: لا اله الله وحده لا شريك له ومركز الوجه: ركن الدولة ابو علي عضد الدولة ابو شجاع بويه لله محمد رسول الله, ومركز الظهر صلى الله عليه وسلم الطائع لله عز الدولة ابو منصور عمدة الدولة ابو اسحق(الطائي,2020,ص 179).

كما أنها اشارت الى قياس الدينار البويهي في مدة ركن الدولة ابي الحسن في همذان اذ بلغ قطره 23.5 ملم, ووزنه 4.20 غرام (الطائي,2020,ص188).

وفي مدة الضعف التي اصابت الخلافة العباسية وتوسعت سلطة الامراء البويهيين ومحاولاتهم لاسقاط هيبة الخليفة العباسي الطائع لله اضاف عضد الدولة على لقبه شاهنشاه أي ملك الملوك ونقشه على النقود عام (370ه/980م) فأنتزع بذلك اهم شارات الخليفة وحق مهم من حقوقه وهي السكة(الطائي,2020,ص34).

في حين اتخذ بعض الخلفاء العباسيين سك النقود للامراء البويهيين تحدياً لبعض الامراء.

اذ ذكرت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي من الاجراءات التي اتخذها الخليفة القادر بالله متحدياً الامير البويهي بهاء الدولة (379-403ه/989-1012م) اعلانه البيعة لابنه ابي الفضل بولاية العهد عام (391ه/1000م) ولقبه بلقب الغالب بالله وسك اسمه على النقود (الطائي,2020,ص46).

فضلاً عن ذلك أشارت الى الدرهم المضروب باسم الخليفة القادر بالله عام (409ه/1018م) المركز لا اله الا الله محمد رسول الله القادر بالله,الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يكن له كفواً احد محمد,ودائرته بسم الله ضرب هذا الدرهم باصفهان عام تسع وأربعمائة الوزن 5/75غرام,محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون القطر 29ملم(الطائي,2020,ص189).

نلحظ مما سبق ذكره ان اسماء والقاب الخلفاء العباسيين والامراء البويهيين نُقشت على الدنانير والدراهم وذلك لاضافة الشرعية على الحكم فضلاً عن ان العملات النقدية كانت من ابرز شارات الخلافة العباسية وسعى كل طرف من الخلفاء العباسيين والامراء البويهيين الى توظيفها لاظهار النفوذ.

خامساً: العملات النقدية المتداولة في العصر الغزنوي(351-582ه/962-1186م)

عُرفت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي الامارة الغزنوية هي الامارة التي اسسها البتكين مولى السامانيون الذي استطاع ان يستولي على مدينة غزنة ويطرد حاكمها لويك لذا عرفوا بالغزنويين ثم ادى سبكتكين دوراً مهماً في بسط نفوذ الغزنويين لذا عدَ المؤسس الحقيقي لهذه الامارة وكان حسن السيرة وصنف كثير من الكتب في فنون العلوم وكان عادلاً كثير الغزوات(الطائي,2020,ص38).

هناك اشارة طفيفة وضحتها الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي عن عملة الغزنويين اذ انها أشارت الى الدينار الغزنوي في عهد سبكتكين (366-387ه/977-997م) في هراة والذي بلغ قطره 23.5 ملم, ووزنه 4.07 غرام (الطائي,2020,ص 188).

سادساً: العملات النقدية المتداولة في العصر المغولي(602-756ه/1206-1355م)

تضمنت مؤلفات الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي العملات النقدية التي تداولت في العصر المغولي من حيث حجمها وشكلها والنقوش التي عليها والمواد التي صُنعت منها ومراكز سكها.

اذ أقاموا نظاماً خاصاً لعملتهم فكانت أكبر قطعة نقدية فضية تسمى ديناراً اما أصغر قطعة نقدية فضية تسمى درهماً اذ كان الدينار يساوي ستة دراهم,وقد ثبت وزن الدرهم في عهد خلفاء جوجي خان بن جنكيز خان على ثلث مثقال ثم طبق هذا الوزن فيما بعد في آسيا الوسطى وخراسان (الطائي,2015,ص267-268).

فضلاً عن ذلك العملات التي أستخدمها المغول هي الباليش او البالش وقيمته عشرة دنانير اذ كان ورقياً وبقيمة 500 مثقال او مئتي بالش ورقي ويساوي ألفي ديناراً اما الباليش الفضي فانه يساوي عشرين من الباليش الورقي وقيمته مائتا دينار ,وتنكة من النقود الفضية أي الدراهم وجمعها دناكش (الطائي,2018,ص79),علاوةً على ذلك ان الدينار في العصر المغولي الايلخاني كان متوسط الحجم او صغير وأصغر من الدينار في العصر العباسي المتأخر وكانت النقود في مدة هولاكو(651-663ه/1253-1265م) أكبر حجماً بصورة عامة وأكثر انتظاماً في دوائرها وأبسط في الكتابات المنقوشة عليها من نقود السلاطين الذين أعقبوه واقرب من غيرها شبهاً بالنقود العباسية (الطائي,2025,ص130).

من العملات الاخرى التي اشارت اليها الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي هي عملة الجاو في عهد كيخاتو بن أباقا (690-694ه/1291-1295م) وهي قطعة مربعة من القرطاس مكتوبة بحواشيها بالخط الخطائي وكتب في اعلاها من الطرفين " لا اله الا الله محمد رسول الله" وفي أسفلها لقب كيخاتو (ايرنجين تورجين) ورسمت في وسطها دائرة خارجة عن المركز ورُقم فيها من نصف الدرهم الى عشرة دنانير كتب بالخطائي أيضاً (الطائي واخرون, 2019, ص98) وكتب عليها العبارة الاتية " بأمر من ملك العالم في عام (693ه / 1293م) تم تداول هذه العملة الورقية المباركة في البلاد ومن يغير فيها او يبدل يقع تحت طائلة الياسا هو وامرأته واولاده ومصادرة أمواله لصالح الديوان" وتتألف من فئات 10 دنانير الى دون ذلك حتى تنتهي الى درهم وربع ورسمت دائرة على الورقة التي تبلغ قيمتها بين نصف درهم وعشر دراهم (الطائي, 2018, ص80-81) .

تصنع هذه العملة بنزع لحاء اشجار التوت التي تستخدم اوراقها لتغذية دودة القز ويأخذ منها القشرة الداخلية الرقيقة التي بين اللحاء اليابس الخشن وخشب الشجرة فتنقع ثم تدق بعد ذلك حتى تتحول الى عجينة يصنع منها الورق الذي يماثل في مادته الورق الذي يصنع من القطن غير انه اسود تماماً فاذا اصبح جاهزاً للاستخدام يُقطع ليكون نقداً ذا احجام مختلفة وهو مربع تقريباً غير انه اطول قليلاً من عرضه,والموظفون المخصصون لطبع هذه العملة لا يقتصرون على طبع اسمائهم عليها بل يمهرونها بأختامهم ايضاً ويتولى كبيرهم والمفوض من الخان ختم قطعة الورق بالخاتم الملكي الموضوع في حيازته فتكتسب صفة الشرعية للتداول ويُعد تزويرها جريمة كبرى عقوبتها الاعدام وأمر كيخاتو بطبع الجاو الورقي في عدة فئات مكتوبة باللغة والاحرف الصينية والفارسية والمغولية (الطائي واخرون,2019, ص98).

اما اسباب اختيار هذه العملة والتي سلطت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي الضوء عليها بنصوص تاريخية كان لاسباب عدة من أهمها ان الدولة فقدت الكثير من الاموال فلم تعد قادرة على دفع رواتب الجند وادراة اقتصاد البلاد فضلاً عن عدم قدرتها على تسديد ما عليها من ديوان ونفقات وربما تكون الحاجة لاستخدام الورق بدل الذهب والفضة أفضل وذلك لان الذهب والفضة له قيمة كبيرة وعملية السك بهما تتطلب نفقات كثيرة في حين عانت الدولة من مشاكل مالية كثيرة وعلى الرغم من القوة التي اتبعها كيخاتو ووزيره صدر جهان مع الرعية رفضوا أستخدامها واقفل معظم التجار محلاتهم وهجروا المدن وتوقفت المعاملات التجارية وضج الناس في المدن الكبرى وأستعدوا لاعلان الثورة ضدهما ونفذت عملة الجاو في يوم من ايام عام (693ه/ 1293م) بمدينة تبريز (الطائي واخرون, 2019,ص 99) اذ ان تداول عملة الجاو لم يحل الوضع الاقتصادي المتأزم وان كيخاتو وافق على تداولها لرغبته في زيادة الاموال واراد صدر جهان عمل انجاز يخلده فضلاً عن استخدام الجاو يخدم رغبته في البذخ والاسراف والرفاهية وجمع المال وصدرت الاوامر التي تقضي بقتل كل من لايتعامل بها فتعامل بها الناس في تبريز اسبوعاً واحداً ولكنهم لم يكونوا يعطون احداً شيئاً في مقابلها فاضطر معظم سكانها الى الرحيل عنها ولضمان استمرار تداول هذه العملة أنشأ الايلخان وأتباعه في كل بلد داراً لضربها عرفت بأسم " شاو خانة" وأطلقوا على هذه العملة اسم "الشاو المبارك" (الطائي واخرون,2019, ص 100).

علاوةً على ذلك اشارت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي أنه صدرت الاوامر بتداول عملة الجاو في مدينة بغداد أيضاً وحملت كميات كبيرة اليها وتولى مسؤولية ذلك الامير لكنزي بن ارغون آغا فلما وصلت أخبار ذلك الى أهلها قاموا بتخزين المواد الغذائية الضرورية ولاسيما بعد ان وصلتهم الاخبار بما حدث بسبب تداولها في مدينة تبريز فضج الناس بالشكوى (الطائي,2018,ص90), وتدل هذه الاجراءات التي أقيمت على عدم الثقة بالعملة الجديدة ولاسيما الرعية حتى السلطة نفسها فهناك اختلاف كبير بين قيمة الذهب والفضة وقيمة الجاو الورقي وسبب خلل في التوازن النقدي داخل الدولة فهو ان وجد فلخدمة الايلخان وأتباعه وليس لخدمة الرعية غير ان الامور لم تسر كما خططوا لها اذ ان التجار والصناع والزراع أوقفوا أي تعامل بها بل هجروا بلادهم وهذا الامر زاد الامر سوءاً وتخوف الناس من تداولها والتعامل بها حتى ذكر ان الرجل منهم وضع الدراهم تحتها واعطى الخباز والقصاب غيرهما وياخذ حاجته خوفاً من الايلخان والوزير (الطائي واخرون,2019,ص101), اما في خراسان اذ كان الحاكم غازان بن ارغون بن باقا(694-703ه/1295-1304م) فلم يحاول الايلخان ووزيره فرض استخدامها على سكانها لقوة غازان وسيطرته على خراسان غير ان صدر الدين جهان فعل المستحيل لاستمرار تداولها وبكل الاساليب الا ان الرعية ثاروا من اجل التعامل بالعملة القديمة وأخذوا يبيعون الاطعمة في الازقة بالذهب فقتلوا جمعاً من الناس وشعر الوزير ان الجاو زاد الامر اضطراباً واشار على الايلخان بضرورة الغائها والتعامل بالذهب والفضة من جديد فأصدر الايلخان اوامره بذلك وتغير اسم العملة من " جاو مبارك" الى " جاونا مبارك" أي العملة المشؤومة (الطائي واخرون,2019,ص 101-102).

أشارت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي الى مراكز سك النقود في العراق في عصر المغول الايلخانيين وهي بغداد ومناطق الاعمال الحلية والواسطية والبصرة فضلاً عن ذلك كانت نقودهم تتميز بكثرة النقوش التي من بينها صور حيوانات مثل الارنب والقرد او صور وجه الانسان واما النصوص المنقوشة عليها فنجد المضروب منها في البلاد الاسلامية تتمثل بعبارة " لا اله الا الله محمد رسول الله" ونجد اسماء الخلفاء الراشدين منقوشة على الكثير منها (الطائي,2025,ص130), وفي عهد غازان بن ارغون بن باقا نقش على النقود التي ضربت آيات من القران الكريم واسماء الائمة الاثني عشر وهذا يدل على اهتمامه بآل البيت وبالعلويين عموماً

ومعظم هذه النقود لم تضرب للتداول بل كانت تهدى لكبار الشخصيات في الاحتفالات والاعياد (الطائي, 2025,ص 130- 131) وفي مدة حكم محمد خدابنده أوليجاتو بن ارغون بن اباقا(703- 716ه/1304-1316م) نقش على العملة الفضية عبارة " ضرب في دولة المولى السلطان الاعظم مالك رقاب الامم غياث الدنيا والدين أوليجاتو سلطان محمد خلد الله ملكه" (الطائي واخرون,2019,هامش ص 50) واسماء الائمة الاثني عشر(الطائي,2025, ص130).

فضلاً عن ذلك اشارت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي الى مخطط توضح فيها مجموعة من النقود سُكت في مدة ساتي بيك ابنة محمد خدابنده بن ارغون بن اباقا(739-741ه/ 1338-1340م) وعليها اسمها (الطائي واخرون, 2019, ص 168) كما هو موضح في أدناه:



سابعاً: العملات النقدية المتداولة في بلاد ماوراء النهر (القرن8ه/ 14م)

اشارت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي حينما رحل ابن بطوطة(ت 779ه/1369م) الى خوارزم وسمرقند وبخارى ونخشب الى العملات التي كانت متداولة وهي الدينار والدرهم اذ ذكرت ان ابن بطوطة حينما تحدث عن امير خوارزم قطلودمور(الحديد المبارك) امر له بخمسمائة درهم وفي موضع اخر صرف له ثلاثمائة دينار, وبعثت له الخاتون جيجا أغا أمراة القاضي مائة دينار دراهم (الطائي,2024,ص27 و31)

علاوةً على ذلك ما دل على تداول الدنانير في تلك البقاع وفق ما ذكرته الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي ان ابن بطوطة حينما سار الى خوارزم صحبه احد الشرفاء من اهل كربلاء من التجار

علي بن منصور فاشترى له الثوب بعشر دنانير وقيل بثمانية ويسلفه دنانير(الطائي, 2024,ص 32).

ثامناً: العملات النقدية المتداولة في الصين وبلاد الاويغور

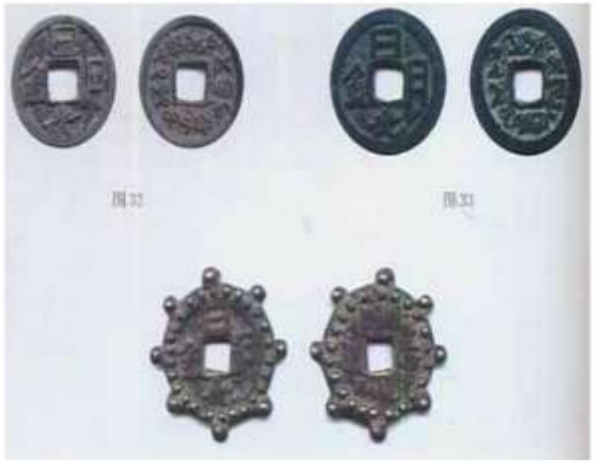
هناك اشارت ذكرتها الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي عن العملات التي كانت متداولة هناك اذ ان عملة بلاد طمغاج وهي بلاد الخطا من ارض الصين دنانير يصنعها ملوكهم من ورق التوت وعليها نقوشهم (الطائي,2015, هامش ص292) , فضلاً عن تداول الناس عملة الباليش في الصين (الطائي,2018,ص79), كذلك عملة الجاو كانت رائجة في الصين (الطائي واخرون,2019,ص97).

اما عملات بلاد الاويغور الذين هم جنس من الاتراك لكنهم اختلفوا في حقيقة انتسابهم الى عدد من القبائل التركية مثل الغز والتغزغز والتوليس والتايلي وغيرهم ويعود السبب الرئيسي في اختلافهم الى هجرة الاويغور وتنقلاتهم المستمرة من بلد الى اخر وخضوعهم لعدد من القوى السياسية مثل القيرغيز والخطأ ثم المغول (الطائي,2016,ص531), فكانوا يستخدمون قطعة من القماش القطني تسمى (قامدو) طولها وعرضها شبر,يطبع عليها ختم القاغان ويستعمل مقياساً في عمليات البيع والشراء وكانت هذه القطع ترقع وتنظف ويعاد طبع الختم عليها مرة كل سبعة أعوام وقد أستخدمت هذه القطع القطنية بدلاً من العملة وبقى استخدامها جارياً ومعروفاً في العهود المتأخرة فضلاً عن تداولهم العملات المعدنية الفضية والذهبية التي عثر على بعض منها في مدينة قوجو (الطائي,2016,ص492).

فضلاً عن ذلك اشارت الى نماذج من العملات المعدنية الفضية والذهبية في مدينة قوجو الاويغوري (الطائي,2016,ص 482- 483) كما هو موضح أدناه:



علاوةً على ذلك اشارت الى نماذج اخرى من النقود عثر عليها في مناطق متفرقة من ولاية شينكيانغ الاويغورية (الطائي,2016,ص 483) كما هو موضح أدناه:



الخاتمة:

تمخض عن هذه الدراسة جملة من النتائج المهمة من ابرزها:

1. تُعد الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي قدوة للواقع الاكاديمي المتميز بما حققته من أنجازات بحثية واكبت فيها التطورات العلمية الحديثة في مجال أختصاصها في دراسة التاريخ الاسلامي بما أطلعت عليه في ضوء قرأتها وتحليلها ورحلاتها العلمية لدول علمية متقدمة.

2. تضمنت مؤلفاتها العملات النقدية التي تداولت في بلاد الهند في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي الدينار والدرهم الذي عرف بالطاطرية, كذلك الفضة التبر واشارت الى وزن الدرهم في بلاد الهند.

3. اشارت الى الدينار والدرهم القراخاني واسماء الامراء الذين نُقشت عليهما والقابهم ومراكز سك العملة في عصرهم.

4. وضحت الاستاذة الدكتورة سعاد الطائي في مؤلفاتها الدينار والدرهم في العصر البويهي لاسيما النصوص التي نُقشت عليهما وقياسهما والاهداف الكامنة من وراء ضرب العملة باسماء والقاب البويهيين في العصر العباسي لكونها من شارت الخلافة ولترسيخ هيبتهم ونفوذهم لدى العامة او لتحدي بعض الامراء البويهيين.

5. تضمنت مؤلفاتها عملة الغزنويين اذ انها ذكرت الدينار الغزنوي وقياسه في عهد سبكتكين في هراة .

6. اشارت الى اسماء العملات ومراكز سكها ونقوشها في العصر المغولي وهي الباليش وتنكة والجاو التي فرضت على العامة في تبريز وبغداد من اجل استخدامها الا أنها ترتب عليها اضرار اقتصادية وفوضى أدت الى تراجع كيخاتو ووزيره صدر جهان واصدار اوامر بالتوقف عن تداولها.

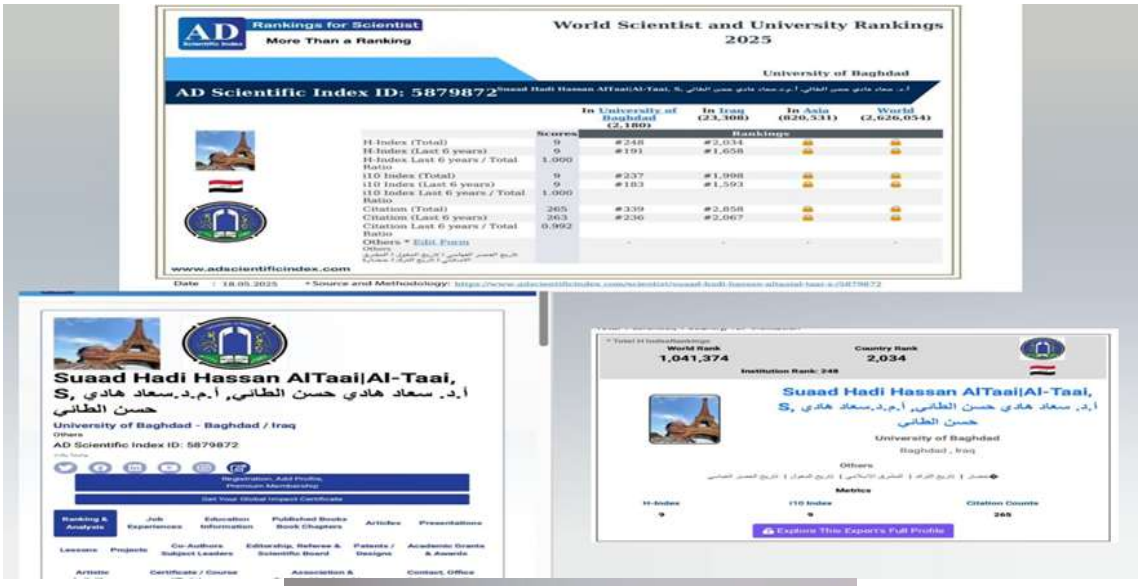
7. تحدثت عن الدينار والدرهم في مدينة خوارزم في بلاد ما وراء النهر في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي,حينما زارها ابن بطوطة.

8. تضمنت مؤلفاتها عملات الصين وهي الدينار والباليش والجاو, وعملات بلاد الاويغور قطعة القماش القطني قامدو والعملات المعدنية الفضية والذهبية.

الملاحق


أثر اللغة والثقافة العربية
في اللغات الفارسية والأويغورية والتركية
(القرن 1-16هـ/7-21م)
أ.د. سعاد هادي حسن الطائي
أ.د. وليد عبود محمد الدليمي


أ.د. سعاد هادي حسن الطائي
دراسات في تاريخ
المدن العراقية
(القرن ٣-٨ هـ/ ٩-١٤ م)
التدريس ولغة الجسد
البلاط المغولي
القراخانيون
طخارستان


AD Rankings for Scientist
More Than a Ranking
World Scientist and University Rankings 2025
University of Baghdad
AD Scientific Index ID: 5879872
www.adscientificindex.com
Suaad Hadi Hassan AlTaai|Al-Taai, S,
أ.د. سعاد هادي حسن الطائي, أ.م.د.سعاد هادي حسن الطائي
University of Baghdad - Baghdad / Iraq
AD Scientific Index ID: 5879872
World Rank 1,041,374
Country Rank 2,034
Institution Rank: 248
Suaad Hadi Hassan AlTaai|Al-Taai, S,
أ.د. سعاد هادي حسن الطائي, أ.م.د.سعاد هادي حسن الطائي
University of Baghdad
Baghdad , Iraq
H-Index
i10 Index
Citation Counts
Explore This Expert's Full Profile

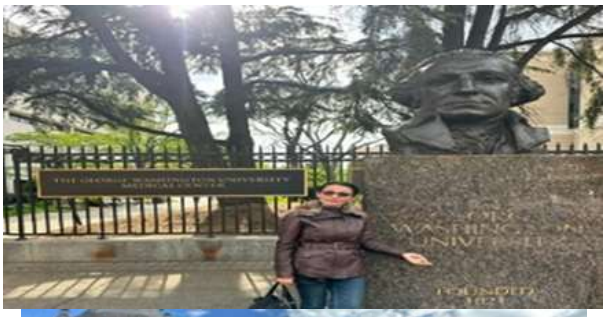

شكر وتقدير


شهادة شكر وتقدير





زيارة جامعة كامبريدج – بريطانيا 2023 زيارة جامعة واشنطن 2023





زيارة جامعة اوكسفورد – بريطانيا 2025





زيارة جامعة اشبيلية- مملكة اسبانيا ٢٠٢٥





زيارة جامعة اوكسفورد – بريطانيا 2026



زيارة جامعة ليفربول- المملكة المتحدة 2026





*(الطائي,أ.د.سعاد هادي حسن أرحيم,مقابلة شخصية, أجرى المقابلة (شيماء كريم خلف),(2026/6/25).

المصادر والمراجع

1. ابن الاثير,ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الجزري عز الدين,(1997), الكامل في التاريخ,تحقيق: عمر عبد السلام تدمري,ط1,بيروت,دار الكتاب العربي.

2. بيطام,سميرة,(2020 أغسطس),أ.د.سعاد هادي..آفاق راقية وتألق واعد,مجلة صدى أُريد,(3),منصة أُريد الدولية.

3. جامعة بابا كركر,(2026),موسوعة بابا كركر للمرأة الأكاديمية والتنمية المستدامة, كركوك,جامعة بابا كركر الاهلية.

4. ابن حوقل, ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي,(1938),صورة الارض, بيروت, دار صادر.

5. خلف,شيماء كريم,(2025),مؤرخة تاريخ المغول والمشرق الاسلامي أ.د.سعاد هادي حسن الطائي قدوة للواقع الاكاديمي المتميز,في: علي أحمد الزبيدي,مجموعة باحثين,الابداع والابتكار في العراق القديم والمعاصر,د.م,مطبعة الهاشمي.

6. السويدي,سيف,(2019),موسوعة منصة أُريد للعلماء والخبراء والباحثين الناطقين بالعربية,د.م,موقع أمازون.

7. صلاح الدين,معتز,(2022),موسوعة الشخصيات النسائية العربية الرائدة,ج (1),مصر,دار الروضة للدراسات الانسانية.

8. .....,(2026),.....,ج,(11),.....,.....

9. الطائي,أ.د. سعاد هادي حسن,(2018),اعلام وزراء البلاط المغولي دراسة في دورهم السياسي والاداري (القرن 7-8ه/13-14م),ط1, بغداد,دار قناديل.

10. الطائي,.....,(2016),الاويغور دراسة في أصولهم التاريخية وأحوالهم العامة (127-656ه/744-1258م),ط2,بغداد, دار ومكتبة عدنان.

11. الطائي,.....,وليد عبود محمد الدليمي,(2024), بلاد ما وراء النهر في كتب الجغرافيين والرحالة(القرن 4-10ه/10- 16م),في: مجموعة مؤلفين, الامامة والامارة في بلاد ما وراء النهر, ط1, الجزائر, دار السادة المالكية.

12. الطائي,.....,(2015), دراسات في تاريخ الترك والمغول,ط1,بغداد,دار ومكتبة عدنان.

13. الطائي,.....,(2025), دراسات في تاريخ المدن العراقية (القرن 3-8ه/9-14م), ط1,بغداد, دار توليب.

14. الطائي,.....,, شيماء فاضل عبد الحميد العنبكي,(2020),دراسات في تاريخ المشرق الاسلامي(ق3-7ه/9-13م),ط1,بغداد, دار ومكتبة عدنان.

15. الطائي,.....,اسيا ثامر هادي العبيدي,حنان شهاب احمد الشمري,(2022),دراسات في تاريخ الهند(القرن 1-10ه/7-16م),الاردن, دار كفاءة المعرفة.

16. الطائي,.....,, شيماء فاضل عبد الحميد العنبكي, انعام صافي عبد جاسم الربيعي, حنان شهاب احمد الشمري,(2019),صفحات من تاريخ المغول(ق 7-8ه/13-14م),ط2,بغداد, دار ومكتبة عدنان.

17. الطائي,.....,(2016),القراخانيون دراسة في اصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية (315-607ه/927-1210م) ,ط1,دمشق- دبي, دار صفحات.

18. كاظم,عدي علي,(2025),موسوعة الابداع الفني وألادبي في الوطن العربي نماذج مشرقة,ط1,مصر,مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع.

19. محسن,جواد عبد الكاظم,(2020),معجم الأدبيات والكواتب العراقيات في العصر الحديث,الحلة,دار الفرات للثقافة والاعلام.

20. منيمنة,حسن,(د.ت), من تاريخ الدولة البويهية: البويهيون أصلهم ونشأتهم,د.م,د.مط.

21. مؤسسة أُريد العلمية,(2026),موسوعة الوفاء, المملكة المتحدة, مؤسسة أريد العلمية.

الفصل الخامس

التحولات التاريخية في العلاقة بين الدولة والمجتمع

م.م. مرتضى إبراهيم محمود الخفي
المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الأولى - العراق

الملخص

يدرس هذا الفصل التحولات التاريخية في العلاقة بين الدولة والمجتمع من خلال قراءة جوانب من التجربة العراقية الحديثة، مع عناية بالحركة الوطنية والتفاعل بين المؤسسات الحاكمة والقوى الاجتماعية. وينطلق المتن من أحداث الوثبة العراقية سنة 1948 وما ارتبط بمعاهدة بورتسموث من مواقف واحتجاجات، ليعرض صورًا من العلاقة بين القرار السياسي والاستجابة المجتمعية. ويتناول دور الطلبة والأحزاب والصحافة والعمال، وما تكشفه مشاركاتهم من تعدد القنوات التي يعبر المجتمع من خلالها عن مطالبه. كما يعرض مواقف السلطة وإجراءاتها، وتطور التفاعل بين التعبئة والاحتجاج ومحاولات الاحتواء، وفق الروايات والمراجع التي يعتمدها الباحث. وتبرز في المعالجة قضايا الشرعية والتمثيل والمشاركة، وأثر الأحداث السياسية في إعادة ترتيب العلاقة بين المجتمع وأجهزة الدولة. ويتيح تتبع الوقائع النظر إلى هذه العلاقة باعتبارها عملية تاريخية تتشكل فيها مصالح متباينة وقدرات غير متساوية على التأثير، بدل افتراض ثباتها عبر المراحل. ويجمع الفصل بين عرض الأحداث ومناقشة دلالاتها الاجتماعية والسياسية، مع إبراز موقع الحركات الجماهيرية والمؤسسات الوسيطة في تطور الحياة العامة. ومن خلال هذه القراءة، يقدم الباحث تفسيرًا للتحولات التي صاحبت تزايد حضور المجتمع في المجال السياسي، وللتوتر بين المطالب الشعبية والاستجابات الحكومية. ويظل الإطار المكاني العراقي والسياق التاريخي للأحداث المعروضة محددين أساسيين لفهم المادة، دون تحويلها إلى حكم عام على جميع أنماط العلاقة بين الدولة والمجتمع أو على تجارب تاريخية أخرى. وتسمح متابعة أدوار الفئات المختلفة بملاحظة أن المجتمع لا يظهر في المادة كتلة متجانسة، بل يتكون من جماعات تتباين مواقعها ووسائل مشاركتها. لذلك تظل قراءة المواقف في تسلسلها الزمني ضرورية لفهم التفاعل بين المبادرات الاجتماعية وتطور الاستجابة الرسمية.

الكلمات المفتاحية: العراق؛ التاريخ الحديث؛ الدولة؛ المجتمع؛ الوثبة

Abstract

This chapter studies historical changes in the relationship between state and society through aspects of modern Iraqi experience. Its discussion opens with the Iraqi protest movement of 1948 and the responses associated with the Portsmouth Treaty, using these events to examine interactions between political decision-making and collective action. The chapter considers the roles of students, political parties, newspapers, and workers, and the different channels through which social groups articulated their demands. It also presents government positions and measures, tracing the interaction of mobilization, protest, and attempts at containment through the historical accounts and references used by the author. Questions of legitimacy, representation, and participation provide a framework for interpreting the material. Rather than treating the state–society relationship as fixed, the discussion follows the changing balance between institutions and social actors within particular historical circumstances. The chapter combines a narrative of events with an interpretation of their social and political significance, paying attention to the role of collective movements and intermediary organizations in public life. It presents the author's reading of the tensions between popular demands and governmental responses, and of the wider significance of increasing social participation. The Iraqi setting and the period examined remain central to the argument. The chapter therefore offers a

historically situated account rather than an unrestricted generalization about all states, societies, or forms of political change.

Keywords: Iraq; Modern history; State; Society; Wathbah protests

شكل شهر (كانون الثاني عام 1948م) محطة فاصلة في مسار الحركة الوطنية في العراق، حيث شهدت البلاد هبة شعبية غير مسبوقة نجحت فيها الجماهير العزل من أي سلاح في إجبار الحكومة على الاستقالة وإسقاط وزارة (صالح جبر)، وذلك في أعقاب إبرام معاهدة بورتسموث (جبر – بيفن) بين وزير الخارجية البريطاني "بيفن" ورئيس الوزراء العراقي "صالح "جبر". ورغم الرقابة والتعتيم الإعلامي الذي فرضته السلطة فإن هذا التوجه السياسي أفرز غضباً عارماً في الشارع العراقي وتجلى في مسيرات يومية متصاعدة رفعت شعارات تندد بالتحالف مع بريطانيا وتستنكر الموقف الحكومي المتخاذل تجاه قضية فلسطين [1].

وقد تسارع التوتر عقب الاجتماع التشاوري الذي أطلقه الوصي في قصر الرحاب مساء يوم (28 كانون الأول1947م) لاستطلاع مواقف الساسة العراقيين الموالين للقصر الملكي بحضور شخصيات بارزة مثل نوري السعيد وجميل المدفعي وحكمت سليمان، مما اعتبرته الأحزاب الوطنية خطوة استفزازية موجهة ضد المجتمع (العراقي) وترتيباً سرياً يضر بالمصلحة العامة، مما دفعها للرد ببيانات حاسمة حيث أصدر حزب الاستقلال بياناً وقعه رئيسه محمد مهدي كبة في (2 كانون الثاني 1948م) أكد فيه أن الشعب العراقي غير ملزم بأي معاهدات أو التزامات تصدر عن هذا المجلس ويعتبرها باطلة[2]، كما نشر الحزب الوطني الديمقراطي بياناً لرئيسه كامل الجادرجي في (18 كانون الأول 1948م) عد فيه أي تعديل أو اتفاق يجري في هذه الظروف الشاذة ومن حكومة غير مفوضة شعبياً أمراً مجحفاً ومخلاً بسيادته، بالتزامن مع بيان حزب الأحرار في(2 كانون الثاني 1948) الذي طعن في شرعية الوزارة ودعا لانتخاب برلمان حر يعمل على تحقيق استقلال العراق التام وجلاء القوات الأجنبية ورفض أي قيود تنتقص من السيادة الوطنية[3].

وفي محاولة لاحتواء الأزمة المتصاعدة، جاء رد رئيس الوزراء صالح جبر على التصريحات المنشورة خلال جلسة مجلس الأعيان المنعقدة في (4 كانون الثاني 1948م) (منهما الرواية المتداولة بالزيف)، ومحاولاً تبرئة مسؤوليته عبر الادعاء بأنه لا يمكن منطقياً نسبة مثل هذا الموقف إلى وزير خارجية العراق، إلا أن هذا التبرير الحكومي جوبه برفض قاطع من الصحافة الوطنية والأحزاب المعارضة التي هاجمته بشدة وعلقت عليه بتفنيد لاذع وعنيف؛ الأمر الذي ولد موجة عارمة من الاستياء وسط النخب الطلابية، وحرك طلبة الكليات الطبية والتعليمية من (الطوائف العراقية كافة)، ليلهب مشاعرهم القومية ويدفعهم نحو تنظيم مسيرات وطنية حاشدة غصت بها شوارع العاصمة بغداد [4].

وهو ما واجهته السلطة التنفيذية بقمع أمني مفرط حيث تدخلت قوات الشرطة لفض الجموع بالقوة مما أسفر عن سقوط جرحي وإصابات بليغة في صفوف المتظاهرين، وهو سلوك قمعي أثار استهجان الهيئة التدريسية في كلية الحقوق التي سارعت إلى إدانة هذا التعسف السلطوي ضد المطالبين بالحرية، وفي مقابل ذلك، صعدت الحكومة من إجراءاتها الاستبدادية بإصدار رئيس الوزراء قراراً يقضي بإغلاق كلية الحقوق وتعطيل الدراسة فيها لأجل غير مسمى، مع إحالة الطلبة المحرضين على التظاهر إلى المحاكم العرفية واحتجاز العشرات منهم خلف القضبان لتخويف الحراك وعزله[5].

أمام هذا المنعطف الخطير من الغليان السياسي والشعبي وتحديات القبضة الأمنية، تجاوزت القوى السياسية خلافاتها الأيديولوجية وصاغت موقفاً وطنياً موحداً لإدارة الصراع مع البلاط الملكي، وتجسد هذا التلاحم في إعلان عمال المطابع الإضراب عن عطلتهم الأسبوعية وقطع إجازة يوم الجمعة لضمان استمرار صدور الصحف والمنشورات اليومية طوال أيام الأسبوع دون توقف[6]، مما وفر غطاء معرفياً وتعبوياً أتاح للمحافل السياسية والقانونية تفكيك بنود الاتفاقية ودراستها دراسة مستفيضة وعميقة لتحديد السبل الكفيلة بحماية كرامة الوطن ومنع ارتهائه للمخططات الاستعمارية، وفي هذا السياق التنويري، أصدر حزب الاستقلال بياناً تحليلياً شاملاً، أوضح في مقدمته أنه أخضع الملفات الحساسة للنقاش والتشريح، مع التركيز على القواعد العسكرية في العراق (الشعيبة والحبانية)، وقضايا الدفاع المشترك، وتأمين التسليح والخبرات العسكرية، والامتيازات الممنوحة للأجنبي [7] ، مستعرضاً عيوب كل فقرة بشكل صريح ومثبتاً في خلاصة

تقييمه: "مما تقدم يظهر للشعب العراقي الكريم: أن المعاهدة الجديدة أشد وطأة من سابقتها وان العراق امام كارثة) وطنية اختير لفرضها هذا الظرف العصيب الذي تجتاز فيه القضية الفلسطينية ادق مراحل محنتها وقد مهد لهذه المعاهدة بجمع مجلس لا يمثل (الامة تمثيلاً صحيحاً واجريت المفاوضات من قبل هيأة لا تستند الى رغبة الشعب، وصولاً إلى الخاتمة الحازمة التي أعلن فيها الحزب بطلان المفاوضات ومصادرتها للإرادة الشعبية، مؤكداً في قوله: "فان الحزب لا يسعه الا ان يعلن معارضته الشديدة لهذه المعاهدة ويدعو الشعب العراقي الكريم الى رفضها والعمل على مقاومتها بشتى الوسائل السلمية المتاحة حتى إسقاطها[8].

وفي سياق هذا التعبئة الحزبية، تبلور موقف الحزب الوطني الديمقراطي عبر بيان صاغه ورأسه كامل الجادرجي في(18 كانون الثاني 1948م)، حيث تميز القراءة الحزبية بتفكيك الأبعاد الاستراتيجية المبطنة للاتفاقية، معربة المساعي البريطانية الرامية لإعادة إنتاج منظومة الاستعمار التقليدي بأساليب ديبلوماسية ناعمة تحاول تمرير الهيمنة عبر نصوص تبدو في ظاهرها تعاوناً وفي باطنها ارتهاناً، واختتم الحزب رؤيته بالقول: (إن الحزب الوطني الديمقراطي يرى في اقرار هذه المعاهدة اعتداء صريحاً على كيان العراق وسيادته ومستقبله السياسي وحائلاً دون نموه القومي ودون تحقيق أمانيه الوطنية ولذلك فانه يدعو الشعب العراقي الكريم الى احباط هذا المشروع الاستعماري الجديد ومقاومته بكل ما أوتي من قوة) [9]. ولم ينفصل هذا التوجه الراديكالي عن الهواجس السياسية والديباجات الفكرية التي طرحها حزب الأحرار في بيانه الصادر بتوقيع رئيسه سعد صالح بتاريخ (20 كانون الثاني 1948م)؛ إذ تقاطعت رؤيته مع حزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي في تشخيص المآلات الكارثية للاتفاقية، معتبراً أن المعاهدة بمجموعها تحوي قيوداً جائرة تحل بسيادة العراق واستقلاله تجعل منه معسكراً للاستعمار البريطاني"، ومستنتجاً في نهاية المطاف: ان حزب الاحرار يرى أن المعاهدة الجديدة جاءت خلافاً لرغبات الشعب، وسالبة (الاستقلال العراق ومنقصة لسيادته)[10]، وهو يرى في عقدها بمثل هذا الظرف العصيب الذي يمر على البلاد العربية بصورة عامة وفلسطين بصورة خاصة وبمثل هذه السرعة التي وقع فيها الوفد المفاوض انما جاءت المصلحة طرف واحد وانها تكبل العراق في حاضره ومستقبله بقيود لا قبل له بها، ويؤكد على دعوة الحزب للشعب العراقي للوقوف بوجه معاهدة بورتسموث الجائرة

والحيلولة دون تصديقها بكل الطرق والوسائل المشروعة[11].

على جبهة أخرى أكثر راديكالية، قاد الحزب الشيوعي العراقي حراكاً تعبوياً ميدانياً عبر الدعوة المباشرة لعقد ندوات جماهيرية موسعة وحلقات نقاشية لتنوير القواعد العمالية والشعبية بمخاطر المعاهدة وتأطير أساليب المجابهة على الأرض، واضعاً حزمة من الأهداف المرحلية والاستراتيجية التي زاوجت بين المطلب السياسي والمطلب المعيشي، وتلخصت في ركائز أساسية تشمل الرفض المطلق للاتفاقية الجديدة وإلغاء معاهدة عام 1930 السابقة والعمل على إسقاط حكومة صالح جبر[12]، الحالية وحل البرلمان الصوري، والمطالبة بالجلاء الفوري والناجز لكافة القوات البريطانية عن الأراضي العراقية، بالتزامن مع تأمين الاحتياجات الحياتية الأساسية من خبز وكساء بأسعار مدعومة ومعتدلة لمواجهة موجة الغلاء الحاد، فضلاً عن إتاحة الحريات الديمقراطية العامة وتشريع العمل الحزبي والنقابي؛ وهي الأهداف التي ترجمت فوراً إلى مؤتمرات عمالية حاشدة في المراكز الصناعية والحضرية [13].

وتحت هذا الشحن المعرفي والسياسي، اتخذت لجنة طلبة المعاهد العالية والكليات قراراً تاريخياً بتدشين إضراب عام وشامل عن الدراسة انطلق في يوم (19 كانون الثاني1948) ليكون بمثابة الدينامو المحرك للشارع، وفي اليوم التالي الموافق(20 كانون الثاني) قوبلت المسيرات السلمية بصف أمني غير مسبوق، حيث فتحت قوات الشرطة النيران الحية صوب الصدور العارية مما أسفر عن ارتقاء أربعة شهداء من الحركة الطلابية[14] ، الأمر الذي فجر موجة غضب عارمة تشكلت على إثرها في اليوم الثالث تظاهرات تلاحميه مهيبة لتشييع جثامين شهداء اليوم السابق، غير أن السلطة واجهت الجنازات بالرصاص مجدداً مما أدى لاستشهاد طالب آخر وسقوط جرحي وهو انتهاك صارخ دفع الهيئة التدريسية لكلية الطب وأعضاء الجمعية الطبية لتقديم استقالة جماعية احتجاجية بعد اقتحام الشرطة لحرم المستشفى الملكي وإطلاق النار داخله[15] .

وبفعل هذه الدماء، تمدد لهيب الانتفاضة الشعبية ليربط بين ضفتي العاصمة في الكرخ والرصافة، وشهدت مناطق الكرخ مشاركة طليعية ومميزة للمرأة العراقية التي تقدمت الصفوف، وسرعان ما انتقلت الشرارة إلى مدن ومحافظات أخرى من العراق لتتحول الحركة إلى عصيان مدني شامل أجبر قوات الشرطة المدججة بالسلاح على الانسحاب والهروب من الميادين العامة، وأمام هذا المأزق التاريخي وتوجس السلطة الحاكمة من مغبة إنزال وحدات الجيش إلى الشوارع خوفاً من

انحياز الجنود والضباط إلى أبناء جلدتهم، انكفات الحكومة نحو تبني استراتيجيات بديلة ارتكزت على الالتفاف والمراوغة السياسية، وبث الوعود الإصلاحية الزائفة، ومحاولة شق وحدة (الصف الوطني) عبر إثارة النعرات الحزبية والفئوية لخلخلة التماسك الشعبي وإجهاض الوثبة الوطنية[16].

وفي مقابل التصعيد الأمني، اتخذ الحراك الشعبي منحى تنظيماً جديداً في تظاهرة الثاني والعشرين من كانون الثاني، والتي انطلقت في أجواء غلب عليها الطابع السلمي المهيب، حيث حملت الجماهير المحتشدة نعوشاً رمزية تجسد تضحيات شهداء الأيام السابقة [17].

وعند وصول المسيرة إلى ساحة باب المعظم، تحولت الساحة إلى منبر سياسي مفتوح تعاقب فيه الخطباء من قادة الفكر وممثلي التيارات الحزبية والشخصيات الوطنية البارزة، ليعلنوا رفضاً قاطعاً للاتفاقية الاستعمارية وتنديداً صارخاً بالات القمع السلطوية، وفي هذا المحفل، دعا ممثل لجنة التعاون الوطني كامل قرائجي الحشود الشعبية إلى ديمومة الحراك ومواصلة الاحتجاج في الأيام القابلة لضمان تحقيق المطالب [18].

ولم يتأخر الرد الجماهيري؛ إذ لبى نداءه صباح اليوم التالي حشد غفير تشكلت غالبته الساحقة من النقابات العمالية والشرائح الطلابية، ليتجمعوا في ساحة باب المعظم قبل الانطلاق في مسيرة هادرة جابت شارع الرشيد الحيوي بقيادة قرانجي نفسه، ورفعت الجموع لافتات تعبر عن الوعي السياسي والربط بين القضايا الوطنية والقومية، حيث كتب عليها: يسقط الاستعمار والصهيونية (والمعاهدة كبتت مصالح البلد) (ويعيش نضال العرب والأكراد) [19].

ومع تقدم المسيرة تعزز الزخم البشري بانضمام أعداد غفيرة من العمال وقطاعات واسعة من النساء اللواتي أسهمن في توجيه دفة الاحتجاج، وشهدت المسيرة إلقاء قصائد ثورية حماسية وخطب سياسية راديكالية ألهبت حماس الحاضرين، وتزامنت مع شعارات مدوية تدعم حزب التحرر الوطني والحزب الشيوعي، إلى جانب المطالبة الصريحة وغير المشروطة بإطلاق سراح القائد العمالي فهد ورفاقه المعتقلين خلف أسوار سجن الكوت لتتحول الحركة إلى عاصفة واستمرت هذه الفعاليات الاحتجاجية حتى مساء (24 من كانون الثاني1948) بنسق منظم وهتافات مجلجلة هزت أركان العاصمة، وفي تلك الأثناء، اختارت الحكومة المواجهة الدبلوماسية

عبر راديو بغداد؛ حيث أذاع رئيس الوزراء صالح جبر بياناً رسمياً استعرض فيه مجريات الوفد المفاوض وحاول تسويق ما وصفه بمزايا ومكاسب المعاهدة الجديدة، مختتماً خطابه بدعوة الجماهير لالتزام الهدوء والسكينة والعودة إلى الحياة الطبيعية [20].

غير أن هذه البروباغندا الحكومية أنتجت مفعولاً عكسياً تماماً، عاصفة (أوسع انتفاضة شعبية في العراق) فبدلاً من تهدئة الأوضاع، شكل البيان عود الثقاب الذي فجر ثورية عارمة ترجمت فوراً إلى تظاهرات ليلية صاخبة شملت مختلف أحياء ومناطق بغداد فور انتهاء البث الإذاعي ومع إشراقة يوم الخامس والعشرين من كانون الثاني، بلغت حالة الاحتقان ذروتها؛ حيث صبت الجماهير الغاضبة جام سخطه في مظاهر السلطة، فأحرقت عدداً من دوريات الشرطة ودراجتين بخاريتين، واقتحمت الهيئات التي اعتبرت واجهات للمصالح الأجنبية، ومثل ذلك مهاجمة مركز الاستعلامات الأمريكية ومقر مطبعة "التايمس" في شارع الرشيد[21].

وعلى الرغم من تشديد الأجهزة الأمنية لإجراءاتها الميدانية ومحاولاتها المستميتة لاستعادة السيطرة وكبح جماح التمرد، إلا أن المقاومة الشعبية أفشلت خططها، عقب قرار المتظاهرين الاندفاع في يوم(27 كانون الثاني 1928م)، بل وتفاقم المشهد دراماتيكياً صبيحة يوم الثلاثاء مسيرات تقاطعية لعبور جسر الملك غازي (جسر الشهداء) بغية توحيد جهود جبهتي الرصافة والكرخ [22].

وأمام هذا الزحف البشري، أصدر وزير الداخلية توفيق النائب أوامر عسكرية صارمة ومدمرة إلى مدير الشرطة العام، قضت باستنفار قوة ضاربة وتزويدها بالأسلحة الرشاشة المتوسطة والثقيلة وتوزيع القناصة فوق أسطح البنايات المرتفعة ومآذن الجوامع والمنارات المطلة على الممر المائي. وعندما بدأت الجموع السلمية بمحاولة التلاحم وعبور الجسر من كلا الاتجاهين، فتحت قوات الأمن نيرانها بطريقة عشوائية وكثيفة، مما أسفر عن مجزرة دامية سقط على إثرها(11 شهيداً) في ذلك اليوم، ليضافوا إلى(17 شهيداً) قضوا في المواجهات السابقة، علاوة على مئات الجرحى والمصابين، في حين بلغت خسائر المفرزة الأمنية نتيجة التصادم العنيف(181 إصابة) تفاوتت بين قتيل وجريح، لترسخ هذه الملحمة كواحدة من أبرز محطات النضال الوطني العراقي ضد الهيمنة الأجنبية [23].

ولم يقتصر هذا المد الثوري العارم على العاصمة بغداد، بل امتدت شرارته لتجتاح المدن العراقية الأخرى، حيث انطلقت مسيرات واحتجاجات ضخمة في الحواضر الدينية والسياسية والثقافية ك النجف الأشرف، وكربلاء، والسليمانية، والموصل وكركوك، مما عكس شمولية الرفض الجماهيري [24].

ونتيجة لهذا التدهور المتسارع في المنظومة الأمنية، واحتدام الغليان في الشارع، وتصاعد الجبهة المعارضة من الصحف والقوى الحزبية ضد الخيار الأمني للحكومة، تلقى النظام الملكي ضربات سياسية متلاحقة تمثلت في تقديم رئيس مجلس النواب عبد العزيز القصاب استقالته من منصبه، مما جعل موقف الوصي عبد الإله في غاية الحرج والضعف؛ وفي هذا التوقيت الحساس، أعلن عمال سكك الحديد في بغداد إضراباً شاملاً وعاماً، وهو الحدث الذي شكل المنعطف الحاسم والفيصل في مسار الأحداث؛ إذ نقل نزول العمال إلى الميدان الثورة من حيز الاحتجاج النخبوي إلى العصيان المدني الشامل[25].

وعلى إثر ذلك، اتخذت لجنة طلاب الكليات والمعاهد بالاشتراك مع لجنة التعاون الوطني قراراً استراتيجياً بمواصلة التظاهر والاعتصام حتى تحقيق الغايات الشعبية كاملة، ليخلد صباح السابع والعشرين من كانون الثاني في الذاكرة الجمعية باسم يوم الوثبة الشعبية أو الوطنية [27].

ويصف المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني أحداث يوم(27 كانون الثاني) بوصف تحليلي دقيق، مشيراً إلى "بأن بغداد تحولت (وكأنها ساحة حرب) ورغم القسوة المفرطة والترهيب الذي مارسته السلطة التنفيذية، إلا أن الجماهير ردت بصلابة وثبات عبر تصعيد وتيرة التظاهر، ومحاصرة الثكنات ومراكز الشرطة، وإحراق آلياتها ودراجاتها، وصولاً إلى إشعال النيران في مكاتب الإرشاد والإعلام التابعة للممثليات البريطانية في ألوية بغداد، وكركوك، والسليمانية، باعتبارها رموزاً للهيمنة الأجنبية [28].

وهكذا تحولت العاصمة والمحافظات إلى ميادين للمواجهة المباشرة والتحدي الشعبي المفتوح، مما وضع السلطة أمام خيار واحد لا بديل عنه. فأجبرت الحكومة على التنحي، وجرى تشكيل وزارة جديدة سارعت فور تسلمها المهام إلى إلغاء معاهدة بورتسموث الجائرة، وتقديم حزمة واسعة من الوعود الإصلاحية لامتصاص الزخم الثوري وتهدئة الشارع الهائج [30].

وفي هذا المناخ التوافقي، أصبحت استقالة صالح جبر مخرجاً مقبولاً لجميع الأطراف السياسية لإنهاء الانسداد، وتقرر إسناد مهمة تأليف الوزارة الجديدة إلى السيد محمد الصدر، الذي أبدى في بادئ الأمر تردداً واضحاً في قبول هذا التكليف نظراً الخطورة المرحلة، غير أن قبوله للمنصب جاء كخطوة إنقاذيه لتلافي التداعيات الكارثية والانفلات الأمني الذي قد يعقب الفراغ الحكومي، مستنداً في ذلك إلى المكانة الرمزية والاجتماعية التي تحظى بها عائلته الشيعية ذات السمعة الطيبة والعمق الديني الذي يمليه عليه الضمير (الوطني) في بغداد وسائر الحواضر العراقية، فضلاً عن اندفاعه الشخصي لتحمل المسؤولية باعتباره واجباً ظرف عصيب أحجم فيه كبار الساسة عن المغامرة بمستقبلهم السياسي ونظراً للمقبولية الواسعة التي يتمتع بها الصدر لدى شتى التيارات، سارعت زعامة الأحزاب الوطنية إلى مباركة هذه التشكيلة الوزارية ودعمها

منعطفاً سياسياً شعبياً وحدثاً وطنياً كبيراً غير مسبوق[31].

إذ سجلت (كانون الثاني 1948م) وفي المحصلة الختامية، مثلت وثبة العهد الملكي العراقي أول انتصار حاسم ومباشر للمواطن العراقي نجح فيه الضغط الجماهيري المنظم في إسقاط التشكيلة الحكومية وقهر إرادة البلاط وتتجلى أهم النتائج الاستراتيجية والاجتماعية لهذه الوثبة التاريخية في إعادة صياغة وتأكيد الهوية العراقية الجامعة، والتي تبلورت بوضوح من خلال التلاحم العضوي غير المعنوي بين كافة مكونات المجتمع، وأطيافه وطوائفه، الذين اصطفوا في جبهة واحدة لرفض الارتهان لبريطانيا، والمطالبة الصارمة بالسيادة الوطنية والحرية والاستقلال الناجز[32].

بناء الشرعية السياسية

لا يمكن النظر إلى وثبة كانون الثاني 1948 كأثر احتجاجي عابر، بل كانت بمثابة تصدع بنيوي حاد في شرعية النظام الملكي الهاشمي: إذ تفجرت الأزمة حينما حدث انفصام كامل بين الشرعية القانونية الدستورية التي كانت تتبجح بها السلطة، وبين الشرعية الشعبية الأخلاقية التي منحها الشارع للحراك التحرري. وأثناء هذا الغليان الشعبي الذي حول شوارع العاصمة إلى ميادين للمواجهة المباشرة، كان الوصي عبد الإله وتوري السعيد ومحمد الصدر يتداولون فيما يمكن أن يؤول إليه الوضع الملتهب، محاولين قراءة مآلات هذا الانفجار الجماهيري الذي عجز الرصاص عن كبحه، وباحثين عن قنوات بديلة لتدارك الانهيار الوشيك لمنظومة الحكم برمتها[33].

أولاً: الانهيار الدستوري لوزارة صالح جبر وآليات التراجع التكتيكي للبلاط

عندما تصل الدولة إلى مرحلة يعجز فيها الإكراه المادي عن فرض الطاعة تدخل النخبة الحاكمة في حالة من الرعب الوجودي تستوجب الانتقال من إستراتيجية "المواجهة الصلبة" إلى "الاحتواء المرن" وفي هذا السياق، لم يكن سقوط الحكومة مجرد تلبية طوعية لإرادة الجماهير، بل جاء نتيجة تفكك هيكلي من الداخل؛ حيث اضطر الوصي عبد الاله بن علي إلى أن يكلف السيد محمد الصدر[35]، بتشكيل حكومة جديدة تخلف حكومة صالح جبر، بعد أن اتصل به رئيس ديوان التشريفات الملكية احمد مختار بابان يفيده بأن عدد الوزراء أصبح دون النصاب القانوني وطلب منه تقديم استقالته، فقدمها صالح جبر على الفور في رسالة بعث بها إلى الوصي عبد الإله وقبلها.

إن هذا التفكك الوزاري يعكس أكاديمياً كيف تساهم الضغوط الخارجية تظاهرات الشارع في تسريع التآكل الداخلي للمؤسسات الحاكمة، مما يضطر رأس السلطة للتضحية بالوكيل السياسي المباشر لإنقاذ مؤسسة العرش ذاتها [36].

ثانياً: ترميم السلطة لغوياً ونشر الصحافة لمفاسد الحكم

تمثلت الخطوة الأولى لإعادة إنتاج الشرعية المفقودة في هدم مسببات الاحتقان عبر خطاب رسمي تهدئي إذ أصدر الوصي عبد الإله بن علي بيانا أذيع من دار الاذاعة، أعرب عن أسفه للحوادث المؤسفة التي وقعت والدماء التي أريقت وأعلن عن استقالة وزارة صالح جبر وأكد قبولها وطلب من جميع المواطنين الخلود إلى السكينة والهدوء، وقد قوبل بيان الوصي عبد الاله بالغبطة والسرور من قبل المواطنين حيث انقلبت المآتم إلى أفراح وشيعت بغداد في اليوم التالي شهداءها[37].

بيد أن هذا الارتياح الشعبي المؤقت لم يمنع النخبة المثقفة من تعميق نقدها البنيوي للنظام حيث كتبت الصحافة الكثير عن الوثبة، فقد كتب كامل الجادرجي، مقالا ألقى باللائمة على الحاكمين الذين أعمتهم بصيرتهم وطفت على نفوسهم مفاسد الحكم، ووصف نضال الشعب بقوله: "انقلب هذا الشعب الكريم الهادي الذي حسبه الحكام بحرا ميتا بين عشية وضحاها إلى أمواج متلاطمة تصاعدت إلى عنان السماء". وتحدث الجادرجي عن صالح جبر بقوله: (الطبيب الجاهل والحاكم الجاهل سواء ذاك يقود المريض إلى الموت وهذا يقود الأمة إلى الهلاك) [38].

وقد توازى هذا النقد النخبوي مع وعي شفاهي تجسد في الأهازيج الشعبية التي رددتها الجماهير الغاضبة لتوثيق الجريمة السياسية تاريخياً منها:

الله أكبر يا عرب اطفالنا كتلوها

ما صار هذا بكل بلد نوري جبر سووها

ثالثاً: وزارة السيد محمد الصدر: من راديكالية الشارع الى هيكلية المطالب الجماهيرية

وفقاً للمفاهيم السوسيولوجية لترميم الأنظمة، فإن استدعاء شخصية مثل السيد محمد الصدر بما يمتلكه من سمعة طيبة وعمق روحي وتاريخ مرتبط بثورة العشرين كان محاولة لتوليد شرعية تقليدية كاريزمية تمتص راديكالية الشارع [39].

وحين تشكلت حكومة محمد الصدر في 29 كانون الثاني 1948، طالبت الجماهير بتنفيذ مطالبها متمثلة بالآتي:

1- إبطال معاهدة بورتسموت.

2- حل المجلس النيابي القائم وإجراء انتخابات جديدة.

3- إجراء التحقيق الدقيق مع المتسببين في قتل أبناء الشعب.

4- احترام الحريات الدستورية.

5- إفساح المجال للنشاط الحزبي.

6- حل مشكلة الغذاء التي كان يعاني منها السكان.

ولكي تكتسب الحكومة الجديدة أهليتها السياسية وتتفادى الانفلات، تحولت مباشرة إلى مأسسة هذه المطالب وتطبيقها ميدانياً وبالفعل ألغت حكومة محمد الصدر معاهدة بورتسموت وحلت البرلمان وجرت انتخابات جديدة للبرلمان، وتشكيل لجنة تحقيق برئاسة عبد الجبار التكرلي (عضو محكمة التمييز بالعراق) وبعضوية كل من عمر حفظي (المفتش الإداري) وعبد الحميد مهدي (المفتش العدلي) وفهمي الجراح (المفتش الإداري) [40].

رابعاً: البرلمان بوصفه ساحة للمكاشفة الدستورية والصراع النيابي

انتقلت مفاعيل الوثبة الشعبية من الشارع إلى أروقة المؤسسة التشريعية المستحدثة؛ حيث شهد موقف مجلس النواب تحولاً جذرياً نحو التنديد بالسياسات الهيكلية للدولة؛ إذ عقد مجلس النواب بدورته الثانية عشر في(21 حزيران 1948) بعد مناقشة الرد على خطاب العرش في جلسة مجلس النواب المنعقدة في(28 تشرين الاول 1948)، تحدث النائب عبد الرحمن الجليلي، مبينا أن الوثيقة الوطنية ترجع في جذورها وآثارها إلى أسباب عميقة، وأن أول هذه الأسباب أن الأمة بدأت تفهم وانتبهت عما كانت عليه من قبل، وأضاف: صحيح أن معاهدة بورتسموث كانت سببا أساسيا ومباشراً، إلا أن الوثيقة كانت أبعد في أسبابها من معاهدة بورتسموث والاصلاح ليس بإخراج موظف أو تغيير وزير لأن ذلك يعطي النتيجة التي لا يريدها المجتمع ويحرص عليها كل الحرص، كما دافع عن شهداء الأمة، وطالب بتحقيق العدالة في المجتمع [41].

لم يقف الحراك النيابي عند حدود التشخيص، بل تعدى ذلك إلى المساءلة القضائية والسياسية حيث توجه النائب محمد حديد بجلسة المجلس المنعقدة في(6 تموز 1948)، بسؤال إلى مزاحم الباجة جي (رئيس الوزراء) ليجيب عليه شفهيا أمام مجلس النواب، ومما جاء فيه: ...بما أن حكومة صالح جبر قامت في حوادث كانون الثاني الماضي بإطلاق النار على المتظاهرين التي رفضت معاهدة (جبر - بيفن) الجائزة ووقع بسببها أناس شهداء وجرحى كثيرون، فإن الحكومة تعتبر مسؤولة عن إراقة الدماء الزكية، مما يستلزم إنزال العقاب بالذين أصدروا أوامر بإطلاق النار على أبناء الشعب في تلك الحركة المباركة (كما طالب الحكومة بنتائج التحقيق بهذه المسألة) وقال: هل شمل هذا التحقيق الوزراء المسؤولين عن تلك الأعمال الهمجية المخالفة للقواعد والقوانين الإنسانية... [42].

ويقصد النائب حديد هنا التعديل الذي أجراه مزاحم الباجه جي (رئيس الوزراء) على حكومته حيث اختار شاكر الوادي (وزيراً للدفاع) أحد المفاوضين الرئيسيين في معاهدة بورتسموث فأدى ذلك إلى استثارة المعارضة في البرلمان والأحزاب السياسية خارج البرلمان على حكومة (الباجة جي)، ودفعه هذا الأمر في آخر المطاف لتقديم استقالته في(6 كانون الثاني 1949) وتوج هذا المسار التحليلي حين وجه النائب عبد الجبار الجومرد، انتقادا شديدًا لطبيعة الحكم في العراق واصفا هذا الحكم ووزراءه بمعاني كثيرة تتصل لشيئين أساسيين [43].. الديمقراطية المنافقة " و"

الدكتاتورية المؤقتة ". واختتم حديثه قائلا: " المجالس النيابية تمثل الأمة. والأمة التي لا تثق بمجلسها النيابي ولا تعتقد أن لها ممثلا ولا تحس بوجوده تتفجر في الشوارع أو على ضفاف الفرات أو على جبال شمال.... إن الشعب انتبه ووعى وذلك بوثبة (كانون الثاني 1948) التي أسماها بالثورة المباركة الكبرى [44].

خامساً: أبعاد الوثبة التكوينية وتحدي الاستقرار الدائم

إن الانتفاضة - التي قابل بها الشعب العراقي المعاهدة - دليل على الوعي- الذي تمتعت به الجماهير وحركته الوطنية، وعلى الرغم من أن المعاهدة كانت السبب المباشر في الوثبة الوطنية إلا أنها لم تكن حدثا منفصلا عن أحداث العراق السابقة والوطن العربي، بل كانت حلقة في سلسلة النضال الطويل ضد الهيمنة الأجنبية [45].

كما كان من أبرز مميزات الوثبة اتساقها وشمولها فهي ليست مقتصرة على الطلبة والعناصر المثقفة ولا جماعات الاحزاب، بل كانت حركة شاملة جازمة هزت أعماق الجماهير الشعبية، ولم تكن مقتصرة على العاصمة (بغداد) وحدها بل امتدت للعراق كله، كانت الشعارات والمطالب التي تسير تحت لوائها المظاهرات، في كل مكان متشابهة المعاني والأهداف أولا وذات طابع وطني وديمقراطي وقومي في وقت واحد ثانياً ففي حين كانت تطالب بجلاء الجيوش الأجنبية من العراق والأقطار العربية الأخرى وتحقيق الاستقلال التام وسقوط معاهدة (بورتسموث) ومحاكمة الوزراء الذين شاركوا بعقد المعاهدة والذين أصدروا أوامر بإطلاق النار على المتظاهرين كانت تطالب بالحريات الديمقراطية وإطلاق سراح المعتقلين والسجناء السياسيين وحل المشاكل الاقتصادية[46].

تسببت تلك الإرهاصات في نشوب صراعات بينية حادة في أروقة النخبة الوطنية ذاتها، الأمر الذي أحدث تصدعا بنيوياً في تماسكها، أتاح بدوره ثغرة نفذت منها القوى المناهضة لتقويض المكتسبات السياسية والشعبية التي انتزعتها الجماهير إبان وثبتها التاريخية وهي الحركة التي لم تزل تمثل مرجعية الهامية للحركات الاحتجاجية، ورؤية استراتيجية تؤكد فاعلية الشارع وقدرته الإجرائية في حال اتساق خطابه ووحدته على تفكيك البنى الاستعمارية والأنظمة المحافظة الحليفة لها [47].

وتأسيساً على ما تقدم، يُظهر الاستقراء التاريخي للعراق الحديث والمعاصر عمق الزخم الاحتجاجي وحيويته إذ يحفل السجل الوطني بمحطات نضالية بالغة الأهمية خاضها الشعب في مواجهة مشروعات الهيمنة الأجنبية والركود السياسي لانتزاع السيادة وتكريس الاستقلال، ويتجلى هذا التراكم التحرري في سلسلة من المنعطفات الحاسمة التي شكلت مسار الدولة بدءاً من ثورة العشرين التأسيسية، ومروراً بالانتفاضات المتلاحقة خلال حقبة الثلاثينيات، ثم الحرب العراقية البريطانية عام ١٩٤١م [48]، وصولاً إلى الحراك الشعبي في عامي(1952 و1956)، فضلاً عن التحولات الراديكالية الكبرى المتمثلة في ثورات(14 تموز 1958)،(وشباط 1963)،(والسابع عشر والثلاثين من تموز 1968) ، إذ تمثل هذه الأحداث مجتمعة محاور الارتكاز الأساسية في صيرورة الكفاح الوطني والتاريخ السياسي للبلاد.

بيد أن الفحص المنهجي لهذه السلسلة من الاحتجاجات يمنح وثبة السابع والعشرين من (كانون الثاني عام 1948) خصوصية تحليلية وأهمية استثنائية تفردها عن بقية الفعاليات الثورية الأخرى، فعلى سبيل المقارنة. تميزت ثورة العشرين براديكالية بالغة وزخم كفاحي مباشر في مجابهة أعتى القوى الإمبراطورية آنذاك، إلا أنها افتقرت في الوقت نفسه إلى البلورة الأيديولوجية الناضجة والمنهاج السياسي المحدد؛ حيث انحصرت غاياتها في مطلب الاستقلال العام دون تأطير مؤسسي أو تكييف فكري واضح مما جعل انكسارها العسكري واللوجستي مؤدياً إلى تراجع تنظيماتها وأفول خطها الحركي بشكل سريع وانهيار مقاومتها الفكرية، وترك معظم قادتها ساحة الكفاح المسلح لينضموا الى جانب المساومات والمناورات السياسية والقبلية، محققين لأنفسهم، لا لوطنهم المكاسب الآنية [49].

وفيما يتعلق بالحركات الاحتجاجية والانتفاضات العشائرية التي شهدتها حقبة الثلاثينيات، فقد تميزت بكونها استجابات حركية مباشرة لمتغيرات تشريعية وبنيوية محددة؛ إذ شكل قانون التجنيد الإلزامي، على سبيل المثال، تهديداً للمصالح الاقتصادية والاجتماعية للنظام الزراعي شبه الإقطاعي السائد آنذاك، ومن جانب آخر أدت الانتهازية السياسية لبعض النخب الطامحة في السلطة دوراً محورياً في توظيف هذه الديناميات القبلية، عبر استمالة شيوخ العشائر بامتيازات مادية وإقطاعيات واسعة، لتهيجيهم ضد النظم الحاكمة، بغية تقويض الاستقرار الحكومي وإحداث انحلال سياسي في هرم السلطة وبناءً عليه، لم تكن هذه الاضطرابات الريفية بمعزل عن

التجاذبات النخبوية العامة، بل مثلت جزءاً من لعبة سياسية تضاعفت حدتها وأبعادها في أعقاب إبرام معاهدة عام 1930، ونيل العراق عضوية عصبة الأمم عام 1932 [50].

وفي السياق ذاته، جاءت أحداث (مايس لعام 1941) كحلقة متصلة ضمن الصراع النخبوي ذاته، وإن اختلفت آلياتها وأدواتها التنفيذية حيث تصدر المشهد في هذه المرحلة ضباط في المؤسسة العسكرية يحدوهم الطموح السياسي وتوسيع رقعة نفوذهم، ولا يغير الفحص التحليلي من جوهر هذا التنافس تذرع تلك القيادات العسكرية بأطر أيديولوجية وشعارات قومية واستقلالية براقة[51]، إذ وظفت العناوين العروبية كأدوات براتيكية لإضفاء الشرعية على تحركاتها، وقد ترتبت على هذه الأحداث تداعيات استراتيجية وخيمة، تمثلت في خسارة العراق للمكاسب السياسية والسيادية النسبية التي تراكمت عبر عقود من النضال الدبلوماسي والشعبي في الحقبة المحيطة بمعاهدة 1930، وانتهى المطاف بوقوع البلاد تحت وطأة الاحتلال البريطاني الثاني، والعودة إلى نمط الحكم الاستعماري المباشر[52].

أما بالنسبة لانتفاضة عام 1952، فيمكن تفسيرها بأنها رد فعل طبيعي وحتمي إزاء السياسات الارتدادية التي انتهجتها السلطة لتطويق وإجهاض المكتسبات التي أفرزتها "الوثبة" التاريخية؛ إذ عمدت النخب الحاكمة إلى التقليص الممنهج للتنازلات السياسية والحقوقية الواسعة التي أجبرت على تقديمها سابقاً كآلية لامتصاص الغضب الجماهيري[53]. ومع مطلع الخمسينيات، تزامنت هذه الردة السياسية الداخلية مع تحولات إقليمية أوسع، حولت الساحة العربية إلى مسرح للمشاريع الاستراتيجية والأحلاف الاستعمارية المشتركة بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما اقترن بإعادة تقييد الحريات العامة ومصادرة الحقوق الوطنية التي انتزعها الحراك الشعبي في المراحل السابقة[54].

وعلى الرغم من الزخم الاحتجاجي الذي اتسمت به تحركات عام 1952، إلا أن حدة المواجهات العنيفة المتبادلة بين الحراك الجماهيري والأجهزة الأمنية، ولجوء السلطة الحاكمة إلى تقديم حزمة من التنازلات الصورية الرامية إلى احتواء الاحتقان الشعبي وتهدئة الشارع [55]، قد أسهما بشكل ملحوظ في تقويض الأثر الرمزي والاستراتيجي لهذه الانتفاضة مقارنة بالزخم التاريخي ل "وثبة كانون" عام 1948، علاوة على ذلك، تمكنت القوى المحافظة والرجعية المرتبطة بالمنظومة

الدولية من إعادة تحصين مواقعها ونفوذها داخل المشهد السياسي العراقي، مما عجل بإنهاك الفورة الشعبية وانحسارها في مديات زمنية وجيزة [56].

أما على صعيد الحراك الجماهيري عام 1956، فقد تبلور بصفته صدىً سياسياً مباشراً للتطورات الإقليمية العاصفة التي شهدتها الساحة المصرية؛ إذ تزامنت هذه الأحداث مع انضمام العراق الملكي إلى "حلف بغداد"، ما أدى إلى استقطاب حاد في المشهد الدبلوماسي العربي بين معسكرين متمايزين: الأول تقوده القاهرة في مسعى لكسر أطر التبعية والارتباط التقليدي بالغرب، والآخر يتصدره النظام العراقي الداعي إلى توثيق الشراكة الاستراتيجية مع المنظومة الغربية كركيزة أساسية لكبح التمدد الشيوعي. وقد بدأت الكتلة السوفياتية في فرض معطياتها السياسية في منطقة الشرق الأوسط عقب وفاة ستالين وانقضاء مرحلة الانكفاء؛ حيث دشن نيكيتا خروتشوف حقبة ديناميكية جديدة استهدفت إيجاد موطئ قدم راسخ للدبلوماسية السوفياتية المستحدثة في المنطقة [57].

وفي السياق الداخلي ذاته، تمكنت النخب الحاكمة في العراق من إعادة بسط سيطرتها وإحكام قبضتها على مفاصل الجبهة المحلية، مستفيدة بشكل أساسي من البوادر الأولى للنمو والتعافي الاقتصادي، والتي تجسدت بصفة رئيسية في تأسيس وتفعيل أدوار "مجلس الإعمار"

فلم تكن انتفاضة 1956 مهددة بتحطيم السلطة او ازالة الحكم الملكي ويتجلى ذلك بخطاب رئيس الوزراء انذال "نوري السعيد" من محطة الاذاعة وصرح فيه (ان دار السيد مأمونة) دليلاً على سلامة الجبهة الداخلية بالنسبة للسلطة الرجعية[58].

على الرغم من نجاح (ثورة 14 تموز 1958) في تقويض النظام الملكي وتحقيق تطلعات الشعب، مستندة في ذلك إلى الجيش باعتباره القوة الوحيدة التي نأت بنفسها - نسبياً - عن قبضة الإرهاب السلطوي الذي شل المنظمات المدنية والشعبية حينها، إلا أن مسيرتها سرعان ما تعثرت [59].

فقد وقعت قيادة الثورة في شباك تناقضاتها الداخلية، وعجزت عن رسم مسار سياسي واضح ومستدام بالرغم من جلاء أهداف المرحلة الحالية والمتمثلة في القضاء على الملكية والاستعمار والرجعية، وتشكيل جبهة وطنية وقومية موحدة. يعود هذا الإخفاق أساساً إلى النزعة الفردية في

حكم عبد الكريم قاسم، وابتعاده عن التوجه القومي، فضلاً عن إخفاقه في بناء جبهة تقدمية أو تنظيم شعبي ظهيراً له على غرار (التجربة الناصرية في مصر)، يُضاف إلى ذلك تهاونه مع التجاوزات والإساءات التي صدرت عن بعض محسوبي الثورة، وتورطه في مغامرات غير مدروسة، وصولاً إلى اضطهاد القوى الوطنية والقومية وهي عوامل مجتمعة تضافرت لتقود تجربة (14 تموز 1958) نحو الفشل [60].

جاءت حركة الثامن من (شباط 1963) كمحاولة لإعادة إنتاج المقاربات التأسيسية(لثورة 14 تموز 1958)، غير أن هذه التجربة اصطدمت بمحددات موضوعية وذاتية قاهرة، أفسحت المجال أمام انقسامات وتدخلات عسكرية أدت إلى تقويض مسارها.

أما المرحلة الممتدة من (تشرين الثاني 1963) حتى (تموز 1968)، فقد شكّلت حالة نموذجية من الفراغ السياسي وعدم الاستقرار البنيوي في تاريخ العراق المعاصر؛ إذ افتقرت النخب الحاكمة آنذاك إلى قاعدة دعم جماهيري حقيقية، وإلى برامج واضحة للإصلاح الاجتماعي أو التوجهات القومية. وعلى الرغم من محاولات تلك النخب استثمار رمزية القيادة الناصرية في مصر للاستقواء بها، إلا أنها أخفقت في بناء تحالف استراتيجي معها أو محاكاة نموذجها الإداري والسياسي [61].

ويثير استمرار هذه السلطة تساؤلات إشكالية في البحث التاريخي حول أسباب صمودها لسنوات رغم افتقارها لركائز الشرعية الداخلية والخارجية، وغياب المؤسسات الأمنية والعسكرية المتماسكة لحمايتها. ويرى المؤرخون أن غياب الضغط الشعبي المؤثر في تلك الحقبة لا يمكن تفسيره إلا بحالة الإنهاك السوسيولوجي والسياسي (الفتور العام) التي أصابت القوى الجماهيرية والمنظمات المدنية، مما أدى إلى تراجع القدرة على التعبئة والمواجهة ضد نظام كان يعاني من تصدعات داخلية واضحة [62].

في سياق هذا الركود، تمكّن حزب البعث العربي الاشتراكي من تفكيك التناقضات البنيوية للسلطة وتوظيفها سياسياً للإطاحة بها في (تموز 1968)، مقدماً أطروحة حكم ترتكز على أيديولوجية تدمج بين التطلعات القومية والتحولات الاجتماعية. وقد تُرجم هذا التوجه عملياً في إقامة "الجبهة

الوطنية والقومية التقدمية"، كصيغة تحالفية مثّلت مطلباً تاريخياً للنخب السياسية، في وقت عانت فيه القوى المعارضة الأخرى من أزمة خيارات وجدولة أولوياتها السياسية [63].

خاتمة البحث

تأسيساً على التحليل التاريخي المتقدم، يخلص البحث إلى أن الهندسة السياسية المعقدة التي تبناها البلاط الملكي لإدارة أزماته عبر آلية تدوير النخب التقليدية الموالية له كالاستعانة (بالصدر أو الباجة جي) لم تكن في جوهرها سوى إرجاء تكتيكي لانفجار بنيوي حتمي وأكثر راديكالية، فما دامت المسببات الهيكلية لسخط الشارع العراقي - والمتمثلة في مفارقة "الديمقراطية الصورية" واستمرار أطر التبعية الخارجية - قائمة دون معالجة جذرية، فإن شرعية النظام الملكي تظل شرعية هشة ومأزومة تفتقر إلى قاعدة الارتكاز الاستراتيجي.

وفي هذا السياق التحليلي، تبرز وثبة (كانون الثاني 1948) باعتبارها المنعطف الريادي المحوري التأسيسي في تاريخ العراق الحديث إذ برهنت عملياً، وللمرة الأولى، على قدرة الحراك الجماهيري المنظم على تفكيك التوازنات السياسية للسلطة التقليدية وخلخلة مراكز قواها، وبذلك، لم تكن الوثبة مجرد احتجاج عابر بل شكلت الأنموذج التاريخي الأول لانتصار الإرادة الشعبية في الشارع وفرض اشتراطاتها على الإرادة الحكومية لتمهد الطريق بنيوياً وفكرياً للتحولات السياسية الجسيمة التي بلغت ذروتها في الرابع عشر تموز عام 1958م.

قائمة المصادر

1. يشير محمد فاضل الجمالي (وزير الخارجية العراقي الأسبق)، في مقابلة خاصة مع السيد عبد الرزاق الحسني، صاحب موسوعة. تاريخ الوزارات العراقية، عشرة اجزاء، الى ان اجتماعاً خاصاً عقد، بعد توقيع المعاهدة، مع الجانب البريطاني، ثم الاتفاق فيه على ان تزود بريطانيا العراق بسلاح يكفي لخمسين الف رجل وان هذه الاسلحة سيزود بها العراقيون للحلول محل القوات البريطانية عند انسحابها من فلسطين، وبذا يمكن تحرير فلسطين وتجنب اقامة دولة يهودية غير انه لا يتوفر الى الان سجل خطي يؤيد اقوال فاضل الجمالي... اضافة الى ان الحديث يبدو ساذجاً، لأن القضية الفلسطينية كانت قد اخذت دو راً خطيراً حين تبنت الولايات المتحدة الامريكية موقف الدعم والاسناد للصهيونية وهي عميدة الاستعمار الجديد

2. انظر، الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات العراقية، مطبعة صيدا، بيروت 1974، ج 7، ص ٣٠٩ - ٣١٠؛ ايضاً: محمد فاضل الجمالي، ذكريات وعبر عن العدوان الصهيوني، دار الفكر، بيروت،1964، ص31؛ أيضاً: علاء جاسم الحربي، محمد فاضل الجمالي ودوره في السياسة الداخلية والخارجية للعراق بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2001)، ص. 145-150

3. وفيما يتصل بالتفاصيل المتعلقة بالقضية الفلسطينية لهذه الفترة انظر: عبد الله، ناصر عبد الأمير، موقف العراق من القضية الفلسطينية 1945-1953 بغداد، 2011، بيت الحكمة، ص175؛ ايضاً: صابر عدنان قحطان، السياسة الخارجية العراقية تجاه القضية الفلسطينية 1932-1958، عمان، 2019، دار الأيام للنشر والتوزيع، ص89.

4. صدر الدين شرف الدين، سحابة بورتسموث، النجف الاشرف، مطبعة الغريري، 1948، ص152.

5. محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الأحداث،1918-1958، دار الطليعة، بيروت 1965، ص224.

6. انظر بيان الأحزاب الثلاث، في جريدة الزمان في عدها المرقم 3138، الصادرة بتاريخ 29 كانون الثاني 1948.

7. مجلة افاق عربية، وثائق ومعلومات، السنة الثانية، العدد الخامس، كانون الثاني، 1977، ص137.

8. عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج 7، ص317.

9. انظر بيان الحزب الوطني الديمقراطي في، سجل الحركة الوطنية ضد معاهدة جبر بيغن ودور الحزب الوطني الديمقراطي فيها (بغداد، مطبعة الاهالي ١٩٦٠) ص ٨ سنشير اليه ب (سجل الحركة الوطنية)؛ ايضاً: عبد الرزاق الحسني، المصدر نفسه، ص322.

10. جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق 1941-1953م، بغداد، 1976م، ص232.

11. كامل الجادرجي، مذكرات كامل الجادرجي، وتاريخ الحزب الوطني، دار الطليعة، بيروت،1970، ص170.

12. عبد الواحد موسى الحصونة، الحركة الطلابية ودورها في النضال القومي، رسالة ماجستير غير منشورة، كمية الآداب،

13. بغداد، 1983، ص49.

14. عبد الأمير العكام، تاريخ حزب الاستقلال العراقي،1946-1958، دار الحرية للطباعة، بغداد،1980، ص95.

15. عبد الرزاق الحسني، أحداث عاصرتها، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1992، ص273.

16. صالح جبر: ولد في عام 1895 في لواء الناصرية لأسرة متواضعة تنتمي إلى أحدى عشائر المنتفق، في

17. عام 1933م عين وزي أر للمعارف في وازرة جميل المدفعي، ثم متصرفاً للواء كربلاء عام،1935م وهكذا تدرج في

18. الوظائف الحكومية حتى عام 1947م حيث أصبح رئيساً للوزراء في وزارته الأولى والأخيرة، عن حياة صالح جبر

19. ينظر: فاطمة صادق عباس، صالح جبر ودوره السياسي في العراق حتى عام،1957م، ط1، بغداد،2008، ص6- ص9.

20. حكمة خليل، دور فهد والحزب الشيوعي في الحركة الوطنية،1946—1949، دار الحوراء، بغداد، 2010، ص30.

21. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج7، ص166.

22. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج2، ط 1، بيروت،1978، ص57؛ خيري العمري، حكايات

23. سياسية من تاريخ العراق الحديث، مؤسسة دار الهلال، القاهرة، 1969، ص150.

24. صحيفة افاق عربية، السنة الثانية، العدد الخامس، الوثبة، ص162؛ انظر: سجل الحركة الوطنية، ص15.

25. عبد الأمير العكام، تاريخ حزب الاستقلال العراقي، المصدر السابق، ص98.

26. عبد الواحد موسى الحصونة، الحركة الطلابية ودورها، المصدر السابق، ص50.

27. عبد الغني الملاح، تاريخ الحركة الديمقراطية في العراق، ط2، بيروت،1980، ص61؛ ياسر عباس الزيدي، لمحات من تاريخ الحركة الطلابية في العراق،1926-1930، مجلة وادي الرافدين،1978، ص27.

28. فؤاد حسين الوكيل، جماعة الاهالي في العراق،1932-1937، دار الرشيد للنشر، بغداد،1979، ص73.

29. قيس عبد الحسين الياسري، الصحافة العراقية، والحركة الوطنية من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى

14.30 تموز،1958، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978، ص13.

31. جعفر عباس حمدي، المصدر السابق، ص460؛ عبد الرزاق الحسني، ج7، المصدر السابق، ص314.

32. جريدة صوت الأهالي، العدد،1443، في 1948/1/22؛ حكمة خليل محمد، دور فهد والحزب الشيوعي في

33. الحركة الوطنية، المصدر السابق، ص40.

34. الوثبة الخالدة، ذكرى أربعين شيداً، المصدر السابق، ص214.

35. المصدر نفسه، ص216.

36. عن بيان الوصي في الاجتماع ينظر: صحيفة الزمان، العدد 3124،23 كانون الثاني 1948.

37. سجل الحركة الوطنية ضد معاهدة (جبر- بيفن) ودور الحزب الوطني الديمقراطي فيها، مطبعة الأهالي،

38. بغداد، 1960، ص30.

39. محمود شبيب، وثبة عن العراق، وسقوط صالح جبر، بغداد،1988، ص12.

40. عبد الرزاق الحسني، أحداث عاصرتها، المصدر السابق، ص275.؛ سجل الحركة الوطنية، ص20.

41. محمد حمدي الجعفري، بريطانيا والعراق حقبة من الصراع،1914-1958، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، 2000، ص65.

42. محمود شبيب، وثبة عن العراق، المصدر السابق، ص13.

43. محمد حمدي الجعفري، بريطانيا والعراق، المصدر السابق، ص66.

44. غائب طعيمة فرمان، الحكم الأسود في العراق، ط1، دار الفكر، الإسكندرية، 1957، ص59.

45. المصدر نفسه، ص60.

46. كان محمد الصدر من الشخصيات البارزة في حزب حرس الاستقلال وشارك مشاركة فعالة في الثورة العراقية لعام ١٩٢٠ وانحصر نشاطه السياسي بين 1920 - 1928 في العمل في مجلس الاعيان للمزيد من التفاصيل راجع، عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1963، ص١٦٥ -ص ١٩٧، كذلك، المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة وتعليق: جعفر الخياط، منشورات وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ص123.

47. وزارة صالح جبر تستقيل بعد إسالة الدماء، صحيفة الزمان، العدد 3128، 28 كانون الثاني 1948.

48. سجل الحركات الوطنية، ص98- ص107.

49. محمود القاضي، كانون الثاني شهر الجهاد الوطني، بغداد، 1948، ص86.

50. عبد الرزاق الحسني، ج7، المصدر السابق، ص283.

51. انظر البيان الذي اصدره الحزب الوطني الديمقراطي، وحزب الاحرار الصادرين بتاريخ ٢ كانون الثاني ١٩٤٨ في جريدة صوت الأهالي.

52. سجل الحركة الوطنية، ص28.

53. عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

54. جريدة صوت الاحرار العدد ٤٤٥ في ٢ كانون الثاني ١٩٤٨.

55. سجل الحركة الوطنية، المصدر السابق، ص29.

56. عبد الواحد موسى الحصونة، الحركة الطلابية، المصدر السابق، ص50.

57. سجل الحركة الوطنية، المصدر السابق، ص30.

58. منذ الانطلاقة الأولى، ساد الحذر والتحفظ المتبادل مناخ العلاقات بين حزب الاستقلال والحركة الشيوعية. ولم تلبث هذه الفجوة أن اتسعت عقب "الوثبة"؛ إذ نجح الشيوعيون في استثمار الزخم الشعبي للأحداث، مخرجين شعاراتهم من العمل السري إلى الفضاء العلني والجماهيري. هذا المكسب السياسي للشيوعيين تحقق - في مجمله - على حساب رصيد حزب الاستقلال، الذي افتقر في تلك الحقبة إلى رؤية وبرنامج واضحين للمسألتين الاقتصادية والاجتماعية. للمزيد انظر: سيف عدنان ارحيم القيسي، الحزب الشيوعي ودوره في الحركة الوطنية 1948-1949، رسالة ماجستير غير نشوره، جامعة بغداد، 2010م، ص79. ايضاً انظر: عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج ٧، ص255.

59. على الرغم من كثرة الدراسات التي حاولت استجلاء طبيعة الأحداث السياسية والعسكرية في العراق عام 1941، إلا أن بعض الأدبيات التاريخية وقعت في خلط اصطلاحي حينما أطلقت تسمية الثورة العراقية أو ثورة رشيد عالي الكيلاني على الصدام المسلح الذي دار بين العراق وبريطانيا في تلك السنة. والواقع التاريخي يثبت أن تلك الأحداث لم تكن ثورة داخلية ضد نظام الحكم، بل كانت مواجهة عسكرية وقانونية دولية بين حكومة عراقية شرعية استمدت سلطتها من ثقة البرلمان العراقي، وبين قوة استعمارية (بريطانيا) سعت إلى فرض إرادتها العسكرية لتأمين مصالحها الحيوية إبان الحرب العالمية الثانية. وقد تذرعت لندن في جعل الأراضي العراقية ممراً ومركزاً لتموين جيوشها بإعادة تفسير البند الرابع من المعاهدة العراقية البريطانية لعام 1930، وهو ما رفضته بغداد تمسكاً بسيادتها، مما أدى إلى اندلاع الحرب." حول تفاصيل هذه الانتفاضات انظر: سامي القيسي، ياسين الهاشمي، ج1، مطبعة العاني بغداد ١٩٧٥، ص218؛ فاضل حسين تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي 1946-1958م، بغداد، مطبعة اسعد، 1963م. ص116.

60. شهدت هذه الفترة تقدم النفوذ الاميركي في المنطقة على حساب الاستعمار البريطاني وكانت الساحة العربية تشهد اتساع المخططات الاميركية الهادفة الى ابقاء الوضع على ما كان عليه وادخال أقطار المنطقة في الاحلاف اضافة الى ذلك، فان الحركة الوطنية في العراق كانت قد عانت الكثير من تعنت السلطة الرجعية ومقاومتها للأحزاب، وفتح أبواب السجون والمعتقلات امام المثقفين والتضييق على الصحافة وقد ساد هدوء نسبي بعد انتهاء الغليان الذي صاحب الانتفاضة، بعكس ما حدث بعد كانون الثاني عام ١٩٤٨. للمزيد انظر: جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق 1941- 1953، بغداد 1979، ص 161.

61. ان متابعة أسماء زعماء ثورة العشرين والتي إشارة لها الكتب التي تحدثت عن الثورة ستذكر (في الغالب) ضمن أعضاء المجلس التأسيسي العراقي والمجالس النيابية التي تلته. راجع بهذا الخصوص سجلات الدورات النيابية.

62. علاء الدين حسين مكاوي الحرب العراقية البريطانية عام 1941، بغداد: مديرية التطوير القتالي 1984)، ص 45-52.

63. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج 5، 7 بيروت: دار الكتب (1983)، ص 185-192؛ للمزيد انظر: حنا بطاطو العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى ظهور الجمهورية، الكتاب الثالث: الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، ترجمة: عفيف الرزاز، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية (1995)، ص 72-65

64. د. فاضل حسين، سقوط النظام الملكي في العراق، المصدر السابق، ص115.

65. شهدت هذه الفترة تقدم النفوذ الأمريكي في المنطقة على حساب الاستعمار البريطاني وكانت الساحة العربية تشهد اتساع المخططات الامريكية الهادفة الى إبقاء الوضع على ما كان عليه وإدخال اقطار المنطقة في الاحلاف. للمزيد انظر: جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق، المصدر السابق، ص216.

66. حين تولى الفريق نور الدين محمود السلطة، حاول جاداً تهدئة الشارع الثائر عبر تعديل قانون الانتخابات ومحاربة الغلاء. لكن اللجنة التي شكلها لمراقبة الأسعار قادت الحكومة إلى موقف حرج أمام الرأي العام فبدلاً من خفض قوت الشعب الحقيقي، أعلنت إذاعة بغداد بزهو عن خفض أسعار تفاح (الكولدن) المستورد بضعة أفلاس، وهو ترف لم يكن يطاله الفرد العادي والمفارقة الأكبر كانت تخفيض سعر الشلغم فلساً واحداً من (ستة أفلاس إلى خمسة)، وبث الأمر كإنجاز وطني كبير هذا الأسلوب الاستخفافي دفع بأحد المواطنين الجريئين إلى إرسال برقية فورية لرئيس الوزراء نصها: تخفيضكم أسعار الشلغم أثلج قلوبنا، وهي جرأة كلفته حريته خلف القضبان، لتظل الواقعة واحدة من أشهر مفارقات الكوميديا السوداء في تاريخ العراق الملكي." للمزيد انظر: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج8، ص324-ص328.

67. كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة 1987، ص 210-215

68. حنا بطاطو العراق: الطبقات الاجتماعية، المصدر السابق، ص81.

69. اثار نوري السعيد خطاباً خطيراً من حطة الإذاعة والتلفزيون ببغداد وقت اشتداد النزاع بين مصر ودول العدوان الثلاثي وتحدى به الرأي العام فأثار سخط الناس والمثقفين خاصة.

70. قد تشكلت قبل قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، لجنة للضباط الاحرار، وكانت لها اتصالات منظمة مع الاحزاب والهيئات الوطنية، ومع بعض المستقلين الزيادة التفاصيل، راجع الدكتور فاضل حسين سقوط النظام الملكي في العراق، بغداد ١٩٧٤م، ص213؛ ليث خليل حسين، ثورة 14 تموز 1958م في العراق: دراسة في كيفية قيام الثورة وتطوراتها السياسية، ط2، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1987م، ص213.

71. الثورة العربية، جريدة حزب البعث العربي الاشتراكي الداخلية، القيادة القومية المكتب الثقافي، المجلد الثاني. السنة الثانية، بغداد، ص ١٢٣.

72. انظر التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ص ٣٤ - ٣٥، بغداد، كانون الثاني، 1974.

73. حنا بطاطو العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى ظهور الجمهورية، ترجمة: عفيف الرزاز، ط1 (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية (1992)، ج 3، ص 385-390.

الفصل السادس

التاريخ الرقمي والتوثيق الإلكتروني للذاكرة الجماعية

م.د. هدى عبد الأمير مخيف
المديرية العامة لتربية بابل - العراق

الملخص

يشهد العالم المعاصر تحولاً جذرياً في إنتاج المعرفة التاريخية وحفظها واسترجاعها بفعل التطور المتسارع في تقنيات المعلومات والاتصالات، الأمر الذي أسهم في ظهور حقل معرفي جديد يُعرف بـ"التاريخ الرقمي"، والذي يُعد امتدادًا للتطور المنهجي في الدراسات التاريخية، إذ يوظف التقنيات الرقمية في جمع المصادر التاريخية وتنظيمها وتحليلها وعرضها وإتاحتها للباحثين والجمهور. وفي هذا السياق، برز التوثيق الإلكتروني بوصفه أحد أهم الأدوات الحديثة لحفظ الذاكرة الجماعية وصيانتها من الضياع أو التشويه، من خلال إنشاء قواعد بيانات رقمية، وأرشفة الوثائق والصور والتسجيلات الصوتية والمرئية، وإتاحتها عبر المنصات الرقمية بما يضمن استدامة الوصول إليها وتعزيز الاستفادة منها.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين التاريخ الرقمي والتوثيق الإلكتروني للذاكرة الجماعية، وتحليل الكيفية التي أسهمت بها التقنيات الرقمية في إعادة تشكيل الممارسة التاريخية، وتطوير أساليب حفظ التراث الوثائقي والثقافي، فضلاً عن بيان دور الوسائط الرقمية في بناء الذاكرة الجماعية والمحافظة عليها، باعتبارها أحد المكونات الأساسية للهوية الوطنية والثقافية للمجتمعات. كما يسعى البحث إلى تسليط الضوء على الفرص التي أتاحتها البيئة الرقمية في توسيع نطاق المشاركة المجتمعية في إنتاج المعرفة التاريخية، من خلال مساهمة الأفراد والمؤسسات في رقمنة الوثائق والأرشيفات وإتاحتها إلكترونيًا.

ويتناول البحث مفهوم التاريخ الرقمي وتطوره، وأبرز أدواته وتقنياته، مثل قواعد البيانات التاريخية، والأرشيفات الرقمية، ونظم إدارة الوثائق، وتقنيات الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات الضخمة، إضافة إلى تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية في الدراسات التاريخية. كما يناقش مفهوم الذاكرة الجماعية بوصفها بناءً اجتماعيًا وثقافيًا يتشكل من خلال الخبرات والأحداث

المشتركة، ويستعرض دور التوثيق الإلكتروني في حفظ هذه الذاكرة وضمان استمراريتها عبر الأجيال، مع بيان أهمية المعايير الدولية الخاصة بالأرشفة الرقمية وأمن المعلومات والحفظ طويل الأمد للوثائق الإلكترونية.

ويركز البحث كذلك على التحديات التي تواجه التوثيق الإلكتروني للذاكرة الجماعية، ومن أبرزها مشكلات الموثوقية والأصالة الرقمية، وسرعة تقادم التقنيات، والمخاطر المرتبطة بالأمن السيبراني، وحماية الملكية الفكرية، وضمان استدامة الأرشيفات الرقمية، فضلًا عن الإشكاليات الأخلاقية المرتبطة بانتقاء المحتوى التاريخي وتمثيل الروايات المختلفة للأحداث. كما يناقش الحاجة إلى وضع سياسات وطنية ومؤسسية متكاملة لإدارة المحتوى الرقمي، وتطوير البنى التحتية التقنية، وتأهيل الكفاءات البشرية القادرة على إدارة الأرشيفات الرقمية وفق المعايير العلمية المعتمدة.

ويخلص البحث إلى أن التاريخ الرقمي لم يعد مجرد وسيلة تقنية لحفظ الوثائق التاريخية، بل أصبح منهجًا معرفيًا يسهم في إعادة إنتاج المعرفة التاريخية وتوسيع آفاق البحث العلمي، ويعزز من كفاءة التوثيق الإلكتروني في صون الذاكرة الجماعية وضمان استمرارية تداولها. كما يؤكد أن نجاح مشروعات التاريخ الرقمي يتطلب تكامل الجهود بين المؤسسات الأكاديمية والأرشيفية والثقافية، وتبني استراتيجيات وطنية للتحول الرقمي، بما يسهم في حماية التراث التاريخي، وتعزيز الهوية الثقافية، وإتاحة المصادر التاريخية بصورة أكثر شمولًا وموثوقية للأجيال الحالية والمستقبلية.

الكلمات المفتاحية: التاريخ الرقمي؛ التوثيق الإلكتروني؛ الذاكرة الجماعية؛ الأرشيف؛ التراث

Abstract

The contemporary world is witnessing a profound transformation in the production, preservation, and retrieval of historical knowledge as a result of the rapid advancement of information and communication technologies. This transformation has contributed to the emergence of a new field of scholarship known as digital history, which

represents a methodological extension of historical studies by employing digital technologies to collect, organize, analyze, present, and disseminate historical sources to researchers and the public. Within this context, electronic documentation has emerged as one of the most significant modern tools for preserving and safeguarding collective memory from loss or distortion through the creation of digital databases, the archiving of documents, photographs, audio and video recordings, and their dissemination via digital platforms, thereby ensuring their long-term accessibility and maximizing their utilization.

This study aims to examine the relationship between digital history and the electronic documentation of collective memory and to analyze how digital technologies have reshaped historical practice and enhanced methods for preserving documentary and cultural heritage. It also explores the role of digital media in constructing and preserving collective memory as one of the fundamental components of national and cultural identity. Furthermore, the study highlights the opportunities offered by the digital environment to broaden community participation in the production of historical knowledge through the contribution of individuals and institutions to the digitization and online dissemination of historical documents and archives.

The study discusses the concept and evolution of digital history, together with its principal tools and technologies, including historical databases, digital archives, document management systems,

artificial intelligence applications, big data analytics, and Geographic Information Systems (GIS) in historical research. It also examines the concept of collective memory as a social and cultural construct shaped by shared experiences and historical events. In addition, the study reviews the role of electronic documentation in preserving collective memory and ensuring its continuity across generations while emphasizing the importance of international standards governing digital archiving, information security, and the long-term preservation of electronic records.

Moreover, the study addresses the major challenges facing the electronic documentation of collective memory, including issues related to the authenticity and reliability of digital records, rapid technological obsolescence, cybersecurity risks, intellectual property protection, and the long-term sustainability of digital archives. It also discusses ethical concerns associated with the selection of historical content and the representation of diverse historical narratives. Furthermore, the study emphasizes the necessity of developing integrated national and institutional policies for digital content management, strengthening technological infrastructure, and preparing qualified professionals capable of managing digital archives in accordance with internationally recognized standards.

The study concludes that digital history is no longer merely a technological means of preserving historical records but has evolved into a comprehensive methodological approach that contributes to the production of historical knowledge and broadens the horizons of

historical research. It also enhances the efficiency of electronic documentation in preserving collective memory and ensuring its continued transmission. The study further concludes that the success of digital history initiatives depends on effective collaboration among academic, archival, and cultural institutions, as well as the adoption of comprehensive national digital transformation strategies aimed at safeguarding historical heritage, reinforcing cultural identity, and providing more comprehensive and reliable access to historical sources for present and future generations.

Keywords: Digital history; Electronic documentation; Collective memory; Archives; Heritage

المقدمة

يشهد العالم المعاصر تحولات متسارعة فرضتها الثورة الرقمية، انعكست بصورة مباشرة على مختلف مجالات المعرفة الإنسانية، ولاسيما الدراسات التاريخية التي انتقلت من الاعتماد على الوثائق الورقية والأرشيفات التقليدية إلى توظيف التقنيات الرقمية في جمع المصادر التاريخية وتحليلها وحفظها وإتاحتها. وقد أدى هذا التحول إلى ظهور التاريخ الرقمي بوصفه أحد فروع الإنسانيات الرقمية، الذي يعتمد على التقنيات الحديثة في إعادة بناء المعرفة التاريخية وتوسيع إمكانات الوصول إليها، بما يسهم في تطوير مناهج البحث التاريخي وتعزيز كفاءة الدراسات الأكاديمية.

وفي الوقت نفسه، أصبح التوثيق الإلكتروني من أهم الأدوات المعاصرة في حفظ الذاكرة الجماعية للمجتمعات، إذ يوفر بيئة رقمية آمنة لحماية الوثائق والمخطوطات والصور والسجلات التاريخية من التلف أو الضياع، ويضمن استدامة إتاحتها للأجيال المتعاقبة. كما أسهمت تطبيقات الذكاء الاصطناعي، والبيانات الضخمة، ونظم المعلومات الجغرافية، في إحداث نقلة نوعية في إدارة الأرشيفات الرقمية، وإنتاج معرفة تاريخية أكثر شمولاً ودقة.

ورغم المزايا الكبيرة التي يوفرها التحول الرقمي، فإن التوثيق الإلكتروني يواجه تحديات متعددة تتعلق بموثوقية الوثائق الرقمية، والأمن السيبراني، والملكية الفكرية، والحفظ طويل الأمد، فضلا عن الحاجة إلى تبني معايير دولية وسياسات وطنية تضمن استدامة الأرشيفات الرقمية وحماية الذاكرة الجماعية. ومن هذا المنطلق، يأتي هذا البحث لدراسة العلاقة بين التاريخ الرقمي والتوثيق الإلكتروني للذاكرة الجماعية، وتحليل أهم تطبيقاتهما، والوقوف على أبرز التحديات التي تواجههما، وبيان السبل الكفيلة بتطويرهما بما يخدم حفظ التراث التاريخي والهوية الثقافية.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في أن التطور المتسارع في التقنيات الرقمية، على الرغم من إسهامه في تطوير أساليب حفظ الوثائق التاريخية وإتاحتها، قد أوجد في المقابل تحديات تتعلق بموثوقية الوثائق الرقمية، وضمان أصالتها، واستدامة حفظها، وحمايتها من المخاطر التقنية والقانونية، الأمر الذي يثير تساؤلات حول مدى قدرة التوثيق الإلكتروني على المحافظة على الذاكرة الجماعية بصورة آمنة وموثوقة.

ويمكن صياغة المشكلة في التساؤل الرئيس الآتي:

إلى أي مدى يسهم التاريخ الرقمي والتوثيق الإلكتروني في حفظ الذاكرة الجماعية، وما أبرز التحديات التي تواجه تطبيقاتهما وآفاق تطويرهما؟

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث فيما يأتي:

1. إبراز أهمية التاريخ الرقمي بوصفه أحد الاتجاهات الحديثة في الدراسات التاريخية.
2. بيان دور التوثيق الإلكتروني في حفظ الذاكرة الجماعية وصون التراث الثقافي.
3. توضيح أثر التقنيات الرقمية والذكاء الاصطناعي في تطوير البحث التاريخي.
4. تسليط الضوء على التحديات التي تواجه الأرشفة الرقمية والحفظ طويل الأمد.
5. الإفادة من المعايير الدولية في تطوير سياسات إدارة الوثائق الرقمية.

6. دعم الباحثين والمؤسسات الثقافية بمادة علمية حديثة حول التحول الرقمي في مجال التاريخ والأرشيف.

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعريف بالتاريخ الرقمي وبيان نشأته وتطوره.
2. توضيح مفهوم الذاكرة الجماعية والتوثيق الإلكتروني.
3. بيان دور التاريخ الرقمي في حفظ التراث والهوية الثقافية.
4. التعرف على أهم تطبيقات الأرشفة الرقمية وقواعد البيانات والذكاء الاصطناعي في الدراسات التاريخية.
5. تحليل أبرز التحديات التي تواجه التوثيق الإلكتروني.
6. استعراض المعايير الدولية والسياسات الوطنية الخاصة بحفظ الوثائق الرقمية.
7. تقديم مقترحات تسهم في تطوير منظومة التوثيق الإلكتروني وحماية الذاكرة الجماعية.

فرضية البحث

يقوم البحث على الفرضية الرئيسة الآتية:

يفترض البحث أن التاريخ الرقمي والتوثيق الإلكتروني يمثلان ركيزة أساسية في حفظ الذاكرة الجماعية وصون التراث الثقافي، وأن نجاحهما يرتبط بتوافر بنية تقنية وتشريعية وإدارية متكاملة تعتمد المعايير الدولية وتوظف التقنيات الحديثة لضمان أصالة الوثائق الرقمية واستدامتها.

منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف المفاهيم المرتبطة بالتاريخ الرقمي والتوثيق الإلكتروني والذاكرة الجماعية، وتحليل الأدبيات العلمية والدراسات الحديثة والمعايير الدولية المتعلقة بالأرشفة الرقمية.

هيكلية البحث

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين، فضلا عن المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للتاريخ الرقمي والذاكرة الجماعية

المطلب الأول: مفهوم التاريخ الرقمي وتطوره.

المطلب الثاني: الذاكرة الجماعية والتوثيق الإلكتروني.

المبحث الثاني: التوثيق الإلكتروني للذاكرة الجماعية بين الفرص والتحديات

المطلب الأول: تطبيقات التاريخ الرقمي في حفظ الذاكرة الجماعية.

المطلب الثاني: تحديات التوثيق الإلكتروني وآفاق تطويره.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للتاريخ الرقمي والذاكرة الجماعية

شهدت الدراسات التاريخية خلال العقود الأخيرة تحولا جوهريا نتيجة التطورات المتسارعة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، الأمر الذي أدى إلى ظهور مفهوم التاريخ الرقمي بوصفه أحد فروع الإنسانيات الرقمية الذي يوظف التقنيات الحديثة في جمع المصادر التاريخية ورقمنتها وتحليلها وإتاحتها عبر الوسائط الرقمية، بما يسهم في تطوير مناهج البحث التاريخي وتوسيع دائرة الوصول إلى المعرفة التاريخية. ولا يقتصر التاريخ الرقمي على تحويل الوثائق الورقية إلى صيغ إلكترونية، بل يمثل تحولا في فلسفة إنتاج المعرفة التاريخية من خلال الاستفادة من قواعد البيانات، والأرشيفات الرقمية، وأدوات التحليل الحاسوبي، والمنصات التفاعلية (Cohen & Rosenzweig, 2006, P6).

وفي السياق ذاته، يعد مفهوم الذاكرة الجماعية من المفاهيم الرئيسة في الدراسات التاريخية والاجتماعية، إذ يشير إلى الرصيد المشترك من الذكريات والتصورات التي تحتفظ بها الجماعات حول ماضيها، والتي تسهم في بناء الهوية الثقافية والاجتماعية. ومع انتشار البيئة الرقمية أصبحت الذاكرة الجماعية تتشكل وتعاد صياغتها بصورة متزايدة عبر المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي والأرشيفات الإلكترونية، مما أوجد أنماطا جديدة لحفظ الماضي واسترجاعه وتداوله

بين الأفراد والجماعات، وأدى إلى ظهور ما يعرف بالذاكرة الجماعية الرقمية التي تتداخل فيها الابعاد التقنية والثقافية والاجتماعية (Yasseri et al., 2022, P 203).

ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية دراسة الإطار المفاهيمي للعلاقة بين التاريخ الرقمي والذاكرة الجماعية، إذ أصبح التاريخ الرقمي وسيلة فاعلة ليس فقط في حفظ التراث التاريخي وإتاحته، وإنما أيضا في إعادة تشكيل الوعي التاريخي للمجتمعات من خلال إنتاج الذاكرة الجمعية وتداولها في الفضاء الرقمي. كما أن التطورات الرقمية أسهمت في توسيع مشاركة الأفراد والمؤسسات في صناعة التاريخ وحفظه، وهو ما جعل العلاقة بين التاريخ الرقمي والذاكرة الجماعية علاقة تكاملية تتداخل فيها الجوانب المعرفية والتقنية والثقافية، الأمر الذي يستدعي دراستها لفهم التحولات التي طرأت على كتابة التاريخ وحفظ الذاكرة في العصر الرقمي (Cohen & Rosenzweig, 2006; Yasseri et al., 2022, PP 5-6).

وبناء على ذلك، تم تقسيم هذا المبحث الى مطلبين تناول المطلب الأول مفهوم التاريخ الرقمي وتطوره في حين تناول المطلب الثاني الذاكرة الجماعية والتوثيق الإلكتروني.

المطلب الأول: مفهوم التاريخ الرقمي وتطوره

يعد التاريخ الرقمي أحد أبرز الاتجاهات الحديثة في الدراسات التاريخية، وقد ظهر نتيجة للتطور المتسارع في تقنيات المعلومات والاتصالات وتوسع استخدام الحاسوب والإنترنت في البحث العلمي. ويعرف بأنه حقل يجمع بين علم التاريخ والتقنيات الرقمية، ويهدف إلى توظيف الأدوات الرقمية في جمع المصادر التاريخية، ورقمنتها، وتحليلها، وتنظيمها، وعرضها بوسائل تفاعلية تسهم في تطوير البحث التاريخي وتعزيز إمكانية الوصول إلى المعرفة التاريخية (Cohen & Rosenzweig, 2006, pp. 5–7).

وقد مر التاريخ الرقمي بعدة مراحل تطورية؛ إذ بدأ في ستينيات القرن العشرين باستخدام الحاسوب في التحليل الكمي للبيانات التاريخية، ثم تطور مع انتشار شبكة الإنترنت خلال تسعينيات القرن الماضي ليشمل إنشاء الأرشيفات الرقمية والمكتبات الإلكترونية والمشروعات التاريخية التفاعلية، قبل أن يشهد نقلة نوعية مع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة ونظم المعلومات الجغرافية، التي أسهمت في إعادة تشكيل منهجية البحث التاريخي

وإنتاج المعرفة التاريخية بصورة أكثر شمولا وتفاعلية (Cohen & Rosenzweig, 2006, pp. 37–52).

الفرع الأول: نشأة التاريخ الرقمي

تعود نشأة التاريخ الرقمي إلى التحولات التي شهدتها الدراسات التاريخية مع تطور تقنيات الحاسوب في النصف الثاني من القرن العشرين، إذ بدأ المؤرخون بالاستفادة من الحاسوب في تنظيم البيانات التاريخية وتحليلها، قبل أن يتطور هذا الاستخدام مع انتشار شبكة الإنترنت ليشمل رقمنة الوثائق التاريخية، وإنشاء الأرشيفات الإلكترونية، والمكتبات الرقمية، وهو ما مهد لظهور التاريخ الرقمي بوصفه مجالا يجمع بين المنهج التاريخي والتقنيات الرقمية الحديثة (هزلون وشيكو، 2021، ص 158–160).

وقد ارتبط ظهور التاريخ الرقمي بتطور الإنسانيات الرقمية، التي تعد إطارا معرفيا يوظف التقنيات الرقمية في مختلف العلوم الإنسانية، بما فيها التاريخ. وقد أسهمت هذه البيئة الرقمية في تطوير أدوات البحث التاريخي، وإتاحة المصادر التاريخية عبر قواعد البيانات والأرشيفات الإلكترونية، مما أدى إلى إعادة صياغة منهجية البحث التاريخي وجعلها أكثر تفاعلية وانفتاحا (هزلون وشيكو، 2021، ص 159–163).

وعلى المستوى العربي، ازداد الاهتمام بالتاريخ الرقمي مع توسع مشاريع رقمنة المخطوطات والوثائق في المكتبات الوطنية ومراكز الوثائق، حيث أسهمت المكتبات الرقمية في حفظ التراث التاريخي وتيسير الوصول إليه، فضلا عن دعم الباحثين بالمصادر الرقمية التي تختصر الوقت والجهد، وتعزز من جودة البحث التاريخي (العبيدي، 2019، ص 92–97).

ومع التطور المستمر في الذكاء الاصطناعي، والبيانات الضخمة، والحوسبة السحابية، أصبح التاريخ الرقمي يعتمد على أدوات متقدمة لتحليل النصوص التاريخية، وربط قواعد البيانات، وإنتاج خرائط تاريخية رقمية، وهو ما جعله أحد أبرز مجالات الإنسانيات الرقمية وأكثرها تأثيرا في تطوير الدراسات التاريخية المعاصرة (هزلون وشيكو، 2021، ص 166–167).

الفرع الثاني: خصائص التاريخ الرقمي وأهميته

يمتاز التاريخ الرقمي بمجموعة من الخصائص التي جعلته يمثل نقلة نوعية في الدراسات التاريخية المعاصرة، فهو يعتمد على توظيف التقنيات الرقمية في جمع المصادر التاريخية ورقمنتها وتنظيمها وتحليلها وإتاحتها عبر المنصات الإلكترونية، بما يسهم في تسهيل الوصول إلى المعلومات التاريخية وتقليل القيود المكانية والزمانية التي كانت تواجه الباحثين في الأرشيفات التقليدية (العبيدي، 2019، ص 6–9). كما يتميز التاريخ الرقمي بقدرته على استيعاب مختلف أنواع المصادر التاريخية، كالوثائق والصور والخرائط والتسجيلات الصوتية والمرئية، وربطها ضمن قواعد بيانات رقمية متكاملة تسمح بالبحث والاسترجاع السريع للمعلومات (معمري، 2022، ص 101–104).

ومن أبرز خصائص التاريخ الرقمي أيضا خاصية التفاعلية، إذ يتيح للباحثين والمهتمين بالمجال التاريخي التفاعل مع المصادر الرقمية وإجراء المقارنات والتحليلات باستخدام تطبيقات وتقنيات حديثة، مثل قواعد البيانات الضخمة ونظم المعلومات الجغرافية (GIS) وتحليل النصوص الرقمية، وهو ما أدى إلى تطوير منهجية البحث التاريخي وإثراء الدراسات التاريخية بأساليب أكثر دقة وموضوعية (هزلون وشيكو، 2021، ص 161–164). كما يتسم التاريخ الرقمي بالمرونة وقابلية التحديث المستمر، حيث يمكن إضافة الوثائق الجديدة وتصحيح البيانات بصورة آنية، الأمر الذي يضمن مواكبة التطورات العلمية والمحافظة على استمرارية بناء المعرفة التاريخية (معمري، 2022، ص 105–107).

وتبرز أهمية التاريخ الرقمي في دوره الفاعل في حفظ التراث الثقافي والتاريخي، إذ يسهم في رقمنة الوثائق والمخطوطات والأرشيفات التاريخية، وحمايتها من التلف والضياع، فضلا عن ضمان استدامة الوصول إليها للأجيال الحالية والمستقبلية. كما أسهمت المكتبات الرقمية والمستودعات الإلكترونية في توفير بيئة علمية متكاملة تمكن الباحثين من الوصول إلى المصادر الأصلية بسهولة، الأمر الذي انعكس إيجابا على جودة الدراسات التاريخية وزاد من فرص التعاون البحثي بين المؤسسات الأكاديمية على المستويين المحلي والدولي (العبيدي، 2019، ص 12–18).

ومن الجوانب المهمة أيضا أن التاريخ الرقمي أسهم في تعزيز نشر المعرفة التاريخية بين أفراد المجتمع، من خلال إتاحة المصادر التاريخية عبر الإنترنت وإنتاج محتوى رقمي تفاعلي يخدم الباحثين والطلبة والجمهور العام، كما ساعد في توظيف التقنيات الحديثة، مثل الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات الضخمة، في دراسة الأحداث التاريخية وربطها بأبعادها الزمنية والمكانية، مما أوجد آفاقا جديدة لفهم الماضي وتفسيره بصورة أكثر شمولا (المالكي، 2023، ص 495–501). كذلك فإن التاريخ الرقمي يعد ركيزة أساسية في مشاريع التحول الرقمي للمؤسسات الثقافية والأرشيفية، لما يوفره من أدوات تسهم في حفظ الذاكرة الوطنية وتعزيز الهوية الثقافية ونشر التراث الإنساني على نطاق عالمي (هزلون وشيكو، 2021، ص 165–167).

ومن ثم، فإن الخصائص التي يتمتع بها التاريخ الرقمي، والمتمثلة في سهولة الوصول إلى المعلومات، والتفاعلية، والمرونة، والتحديث المستمر، والقدرة على حفظ التراث التاريخي وتحليله، جعلته يمثل أحد أهم مجالات الإنسانيات الرقمية، وأداةً رئيسة لتطوير البحث التاريخي وتعزيز الوعي التاريخي في العصر الرقمي (معمري، 2022، ص 107–109؛ المالكي، 2023، ص 499–501).

الفرع الثالث: أدوات وتقنيات التاريخ الرقمي

شهد التاريخ الرقمي تطورا ملحوظا بفضل التقدم الكبير في تقنيات المعلومات والاتصالات، الأمر الذي أدى إلى ظهور مجموعة واسعة من الأدوات والتقنيات الرقمية التي أسهمت في تطوير البحث التاريخي وتحسين أساليب حفظ المصادر التاريخية وتحليلها وإتاحتها. ولم تعد هذه الأدوات تقتصر على رقمنة الوثائق فحسب، بل امتدت لتشمل قواعد البيانات الرقمية، والمكتبات الإلكترونية، والأرشيفات الرقمية، وتقنيات الذكاء الاصطناعي، ونظم المعلومات الجغرافية، وتحليل البيانات الضخمة، وهي جميعها أدوات أسهمت في إحداث تحول جذري في منهجية الدراسات التاريخية المعاصرة ومنها ما يأتي: (العبيدي، 2019، ص 5–11).

1. المكتبات الرقمية والأرشيفات الإلكترونية: من أهم أدوات التاريخ الرقمي، إذ توفر بيئة متكاملة لحفظ الوثائق التاريخية والمخطوطات والصور والخرائط والمواد السمعية والبصرية بصيغ رقمية، بما يضمن حمايتها من التلف أو الفقدان، مع إتاحة الوصول إليها للباحثين في مختلف أنحاء العالم عبر الإنترنت. كما تمتاز هذه المستودعات بإمكانات متقدمة في الفهرسة والبحث

والاسترجاع، مما يسهم في اختصار الوقت والجهد وتحسين كفاءة البحث التاريخي (العبيدي، 2019، ص 12–20).

2. قواعد البيانات الرقمية: من الأدوات الأساسية في التاريخ الرقمي، إذ تتيح تنظيم كميات هائلة من الوثائق والبيانات التاريخية وربطها ببعضها وفق معايير علمية دقيقة، وهو ما يساعد الباحث على إجراء المقارنات، وتحليل الأحداث، واستخلاص الأنماط التاريخية بسهولة. كما أصبحت تقنيات تحليل النصوص الرقمية والتعرف الضوئي على الحروف (OCR) من الوسائل المهمة في تحويل الوثائق الورقية والمخطوطات إلى نصوص قابلة للبحث والتحليل، الأمر الذي وسع من إمكانات الدراسات التاريخية الرقمية بشكل كبير (مجلة التربية للعلوم الإنسانية، 2025، ص 331–334).

3. نظم المعلومات الجغرافية: من الأدوات التي شهدت انتشارا واسعا في السنوات الأخيرة، والتي تمكن الباحثين من ربط الأحداث التاريخية بأبعادها المكانية وإنتاج خرائط تاريخية تفاعلية تساعد في تحليل الظواهر التاريخية وتفسير تطورها عبر الزمن. كما أصبحت تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي تستخدم في تصنيف الوثائق التاريخية، وتحليل النصوص القديمة، والكشف عن العلاقات بين الأحداث والشخصيات التاريخية، فضلا عن التنبؤ بالأنماط التاريخية اعتمادا على تحليل كميات ضخمة من البيانات، وهو ما يمثل مرحلة متقدمة في تطور أدوات التاريخ الرقمي (العابد، 2025، ص 170–177).

4. الوسائط المتعددة والخرائط التفاعلية: التي أسهمت في عرض المادة التاريخية بصورة أكثر جاذبية وتفاعلية، حيث أصبح بالإمكان دمج النصوص التاريخية مع الصور الفوتوغرافية، والوثائق الأصلية، ومقاطع الفيديو، والنماذج ثلاثية الأبعاد، والخرائط الزمنية، بما يثري تجربة الباحث والمتلقي على حد سواء. كما أن توظيف تقنيات الحوسبة السحابية في إدارة الأرشيفات الرقمية أسهم في تسهيل تبادل البيانات التاريخية بين المؤسسات الأكاديمية والمراكز البحثية، وتعزيز التعاون العلمي في مجال الدراسات التاريخية (هزلون وشيكو، 2021، ص 162–166).

وبذلك، أصبحت أدوات وتقنيات التاريخ الرقمي تمثل ركيزة أساسية في تطوير البحث التاريخي، إذ وفرت بيئة رقمية متكاملة لحفظ التراث التاريخي وتحليله ونشره، وأسهمت في تعزيز دقة الدراسات التاريخية، وتوسيع نطاق الوصول إلى المصادر، وإنتاج معرفة تاريخية أكثر شمولا وتفاعلية، بما يتلاءم مع متطلبات العصر الرقمي.

المطلب الثاني: الذاكرة الجماعية والتوثيق الإلكتروني

تعد الذاكرة الجماعية من المفاهيم الرئيسة في الدراسات التاريخية والاجتماعية، إذ تمثل الرصيد المشترك من الأحداث والخبرات والقيم التي تحتفظ بها الجماعات وتنقلها عبر الأجيال، بما يسهم في تشكيل الهوية الوطنية والثقافية وتعزيز الانتماء للمجتمع. ولا تقتصر الذاكرة الجماعية على حفظ الماضي، بل تؤدي دورا محوريا في تفسير الحاضر واستشراف المستقبل، من خلال توثيق الأحداث التاريخية والمحافظة على الشواهد والوثائق التي تمثل ذاكرة الأمة (خلخال، 2023، ص 736–739).

وفي ظل التطورات المتسارعة في تكنولوجيا المعلومات، برز التوثيق الإلكتروني بوصفه أحد أهم الوسائل الحديثة لحفظ الذاكرة الجماعية، إذ يعتمد على رقمنة الوثائق والأرشيفات والصور والمخطوطات وإتاحتها عبر المنصات الرقمية، بما يضمن حمايتها من التلف والضياع، ويوفر سهولة الوصول إليها والاستفادة منها في البحث العلمي والدراسات التاريخية. وقد أسهمت تقنيات التوثيق الإلكتروني في تعزيز كفاءة إدارة الوثائق، ودعم جهود المؤسسات الثقافية والأرشيفية في صون التراث التاريخي وإتاحته للأجيال المقبلة (مشروع ذاكرة العالم العربي، 2009).

ومن هذا المنطلق، أصبحت العلاقة بين الذاكرة الجماعية والتوثيق الإلكتروني علاقة تكاملية، إذ يمثل التوثيق الرقمي وسيلة فاعلة للحفاظ على الذاكرة التاريخية من الاندثار، ودعم الهوية الثقافية، وتعزيز إنتاج المعرفة التاريخية في العصر الرقمي، الأمر الذي جعل منه أحد الركائز الأساسية في مشروعات حفظ التراث والذاكرة الوطنية في العديد من الدول العربية (المركز العراقي لتوثيق جرائم التطرف، 2026).

الفرع الأول: مفهوم الذاكرة الجماعية وأبعادها

يعد مفهوم الذاكرة الجماعية من المفاهيم الرئيسة في علم الاجتماع والدراسات التاريخية والثقافية، ويعود الفضل في تأصيله إلى عالم الاجتماع الفرنسي موريس هالبواكس*، الذي أكد أن الذاكرة ليست عملية فردية معزولة، وإنما تتشكل داخل الأطر الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، فالجماعة هي التي تحدد ما يتذكر وكيفية استحضاره، ومن ثم فإن استرجاع الماضي يتم في ضوء السياقات الاجتماعية والثقافية السائدة. وبذلك تمثل الذاكرة الجماعية منظومة من الخبرات والأحداث والرموز والقيم المشتركة التي تتناقلها الجماعات عبر الزمن، وتسهم في بناء هويتها والمحافظة على استمراريتها (غازي وياسين، 2026، ص 6–9).

وينظر إلى الذاكرة الجماعية بوصفها عملية اجتماعية ديناميكية، لا تقتصر على حفظ الأحداث الماضية، وإنما تشمل إعادة تفسيرها وإعادة بنائها بما ينسجم مع احتياجات المجتمع وتحولاته. فالأحداث التاريخية لا تبقى ثابتة في الوعي الجمعي، وإنما يعاد تأويلها باستمرار وفقا للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية، وهو ما يجعل الذاكرة الجماعية عنصرا فاعلا في تشكيل الوعي التاريخي وتعزيز الانتماء والهوية الوطنية (غازي وياسين، 2026، ص 10–14؛ مجلة إضافات، 2023).

وتتكون الذاكرة الجماعية من عدة أبعاد مترابطة، يأتي في مقدمتها البعد الاجتماعي، الذي يتمثل في انتقال الخبرات والذكريات بين أفراد المجتمع عبر الأسرة، والمؤسسات التعليمية، ودور العبادة، ووسائل الإعلام، والعادات والتقاليد، مما يسهم في تكوين ذاكرة مشتركة توحد أفراد الجماعة. ويؤكد هالبواكس أن الفرد لا يستطيع تذكر الماضي بمعزل عن الجماعة، لأن الذاكرة الفردية تستند دائما إلى الأطر الاجتماعية التي تمنحها المعنى والاستمرارية (هالبواكس، كما ورد في غازي وياسين، 2026، ص 8–10).

*موريس هالبواكس هو عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي، وأحد أبرز تلامذة إميل دوركايم، ويُد المؤسس الرئيس لنظرية الذاكرة الجماعية. انطلق في أبحاثه من فكرة أن الذاكرة ليست عملية فردية خالصة، بل تتشكل داخل الأطر الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، مثل الأسرة والجماعات والمؤسسات، ومن خلالها يعاد بناء الماضي وتفسيره بصورة جماعية. وقد عرض هذه الفكرة في كتابه الشهير (الأطر الاجتماعية للذاكرة)، الذي يعد من أهم المؤلفات المؤسسة لدراسات الذاكرة في علم الاجتماع والتاريخ. Collège de France – Biography of Maurice Halbwachs

أما البعد الثقافي، فيتمثل في ارتباط الذاكرة الجماعية بالرموز الثقافية واللغة والطقوس والاحتفالات والموروث الشعبي، التي تؤدي دورا مهمًا في حفظ التجارب التاريخية ونقلها بين الأجيال. وتسهم هذه العناصر في ترسيخ الهوية الثقافية للمجتمع، إذ تتحول المناسبات الوطنية والدينية والآثار والمواقع التاريخية إلى رموز حية تستحضر الماضي وتربطه بالحاضر، بما يعزز الشعور بالانتماء والاستمرارية التاريخية (خلخال، 2023، ص 738–744).

ويبرز كذلك البعد التاريخي للذاكرة الجماعية، الذي يتمثل في توثيق الأحداث التاريخية والمحافظة على الروايات والسجلات والوثائق التي تشكل ذاكرة المجتمع، إذ تسهم هذه الذاكرة في تفسير الماضي وفهم الحاضر واستشراف المستقبل، كما تؤدي دورا أساسيا في بناء السردية التاريخية للمجتمع وحماية تراثه من النسيان أو التشويه. وفي هذا السياق يميز الباحثون بين التاريخ بوصفه علما يعتمد على النقد والتحليل، والذاكرة الجماعية بوصفها بناء اجتماعيا يتأثر بالقيم والاتجاهات السائدة داخل الجماعة (زهير سوكاح، 2006).

وفي ضوء التحول الرقمي، أضيف إلى الذاكرة الجماعية بعد رقمي يتمثل في توظيف التقنيات الحديثة في حفظ الذاكرة المجتمعية من خلال الأرشيفات الرقمية، والمكتبات الإلكترونية، ومنصات التواصل الاجتماعي، وقواعد البيانات الرقمية، وهو ما أسهم في توسيع نطاق المشاركة في إنتاج الذاكرة الجماعية ونقلها، مع إتاحة الوصول إليها بصورة أسرع وأكثر شمولا، وفي الوقت نفسه أوجد تحديات تتعلق بموثوقية المحتوى الرقمي واستدامته (رحموني، 2025).

ومن ثم، فإن الذاكرة الجماعية ليست مجرد سجل للأحداث الماضية، وإنما تمثل منظومة اجتماعية وثقافية وتاريخية متكاملة، تؤدي دورا محوريا في بناء الهوية الجماعية وتعزيز التماسك المجتمعي، كما أصبحت في العصر الرقمي أحد المرتكزات الأساسية للحفاظ على التراث والوعي التاريخي ونقله إلى الأجيال المقبلة.

الفرع الثاني: مفهوم التوثيق الإلكتروني

يعد التوثيق الإلكتروني أحد أهم المفاهيم التي برزت نتيجة التطور المتسارع في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إذ أصبح يمثل ركيزة أساسية في إدارة الوثائق والمعلومات وحفظها واسترجاعها في البيئة الرقمية. ويشير مفهوم التوثيق الإلكتروني إلى مجموعة الإجراءات

والوسائل التقنية والقانونية التي تهدف إلى إنشاء الوثائق الإلكترونية وحفظها وتنظيمها والتحقق من صحتها وسلامتها وإثبات حجيتها، بما يضمن موثوقيتها وإمكانية الرجوع إليها عند الحاجة. ولا يقتصر التوثيق الإلكتروني على حفظ الوثائق بصيغ رقمية، بل يشمل أيضا استخدام وسائل تقنية، مثل التوقيع الإلكتروني، والتشفير، والشهادات الرقمية، لضمان سلامة البيانات وحمايتها من التغيير أو التلاعب (إبراهيم، 2021، ص 225–228).

وينظر إلى التوثيق الإلكتروني بوصفه نظاما متكاملا يجمع بين الجوانب التقنية والقانونية والإدارية، إذ يعتمد على مجموعة من المعايير والإجراءات التي تكفل إثبات هوية أطراف التعامل الإلكتروني، والمحافظة على سلامة الوثائق الرقمية، وإثبات تاريخ إنشائها أو تعديلها، بما يحقق الثقة في المعاملات الإلكترونية. ولهذا السبب أولت التشريعات الحديثة اهتماما كبيرا بجهات التوثيق الإلكتروني، التي تتولى إصدار الشهادات الرقمية والتحقق من هوية المستخدمين، بما يعزز حجية الوثائق الإلكترونية أمام الجهات القضائية والإدارية (دزه يي، 2017، ص 41–48).

وفي مجال حفظ الوثائق والأرشيفات، أصبح التوثيق الإلكتروني يمثل أداة رئيسة في صيانة التراث الوثائقي وإدارته، إذ يتيح رقمنة الوثائق التاريخية والمخطوطات والصور والسجلات، مع تنظيمها وفق قواعد بيانات متخصصة تسهل عمليات الفهرسة والاسترجاع والمشاركة. كما يسهم في حماية الوثائق من التلف والضياع، ويضمن استمرارية الوصول إليها مع المحافظة على أصالتها وسلامتها، الأمر الذي جعل المؤسسات الأرشيفية والمكتبات الوطنية تتجه بصورة متزايدة إلى تطبيق أنظمة التوثيق الإلكتروني ضمن برامج التحول الرقمي (دراسة مفهوم المحرر الإلكتروني المعد للإثبات، ص 315–320).

وتزداد أهمية التوثيق الإلكتروني في العصر الرقمي مع التوسع في استخدام الخدمات الحكومية الإلكترونية، والتجارة الإلكترونية، والأرشيفات الرقمية، حيث أصبح يشكل عنصرا أساسيا في بناء الثقة الرقمية وضمان أمن المعلومات. كما يسهم في تسهيل تبادل الوثائق بين المؤسسات، وتقليل الاعتماد على المستندات الورقية، ورفع كفاءة إدارة المعلومات، فضلا عن دعمه لجهود حفظ الذاكرة المؤسسية والتاريخية وإتاحتها للباحثين وصناع القرار وفق معايير حديثة تحقق السرعة والدقة والموثوقية (خربيط، 2026، ص 643–650).

وبذلك يمكن القول إن التوثيق الإلكتروني لم يعد مجرد وسيلة تقنية لحفظ الوثائق، بل أصبح نظاما متكاملا لإدارة المعلومات الرقمية، يجمع بين التقنيات الحديثة والأطر القانونية، ويؤدي دورا محوريا في حماية الوثائق، وتعزيز الثقة في البيئة الرقمية، ودعم البحث العلمي، والحفاظ على التراث الوثائقي في ظل التحول الرقمي.

الفرع الثالث: دور الأرشفة الرقمية في حفظ التراث والهوية الثقافية

أصبحت الأرشفة الرقمية من أهم الوسائل الحديثة لحماية التراث الثقافي والذاكرة التاريخية للمجتمعات، إذ تسهم في تحويل الوثائق والمخطوطات والصور والخرائط والتسجيلات الصوتية والمرئية إلى صيغ رقمية قابلة للحفظ والاسترجاع والمشاركة، بما يضمن استدامتها وحمايتها من التلف والضياع. وتؤدي الأرشفة الرقمية دورًا محوريًا في صون التراث الثقافي من خلال توفير بيئة تقنية تتيح حفظ المواد التراثية وفق معايير علمية دقيقة، مع تسهيل الوصول إليها للباحثين والمؤسسات والجمهور العام، الأمر الذي يعزز من استمرارية تداول المعرفة الثقافية عبر الأجيال (العبيدي، 2019، ص 12–18).

وتكمن أهمية الأرشفة الرقمية في قدرتها على حماية الوثائق التراثية من المخاطر التي تهددها، مثل عوامل الزمن والكوارث الطبيعية والتلف المادي، إذ تسمح بإنشاء نسخ رقمية عالية الجودة يمكن حفظها في مستودعات إلكترونية آمنة واسترجاعها عند الحاجة. كما تسهم في تقليل الاعتماد على النسخ الأصلية النادرة، مما يساعد في المحافظة عليها وإطالة عمرها، فضلا عن إتاحة إمكانات متقدمة للفهرسة والبحث والاسترجاع السريع للمعلومات (معمري، 2022، ص 101–106).

وتؤدي الأرشفة الرقمية دورا مهما في تعزيز الهوية الثقافية، لأنها تحفظ الرموز والوثائق والشواهد التي تعبر عن تاريخ المجتمع وخصوصيته الحضارية، وتوفر للأفراد فرصة التعرف على تراثهم الثقافي والتفاعل معه في البيئة الرقمية. وقد أسهمت المكتبات الرقمية والمتاحف الافتراضية والمستودعات الإلكترونية في نشر الموروث الثقافي على نطاق واسع، وتعزيز الشعور بالانتماء والوعي التاريخي، لاسيما لدى الأجيال الجديدة التي تتعامل بصورة متزايدة مع الوسائط الرقمية (المالكي، 2023، ص 495–500).

كما تدعم الأرشفة الرقمية البحث العلمي والدراسات التاريخية من خلال إتاحة مصادر موثوقة ومتنوعة للباحثين، وتسهيل تبادل الوثائق والبيانات بين المؤسسات الثقافية والأكاديمية، الأمر الذي يعزز من التعاون العلمي ويسهم في إنتاج معرفة تاريخية أكثر شمولا ودقة. وقد أصبح توظيف التقنيات الحديثة، مثل قواعد البيانات الرقمية والحوسبة السحابية والذكاء الاصطناعي، عنصرا أساسيا في إدارة الأرشيفات الرقمية وتحليل محتوياتها وربطها بالسياقات التاريخية والثقافية المختلفة (هزلون وشيكو، 2021، ص 162–166).

وفي ظل التحول الرقمي العالمي، باتت الأرشفة الرقمية تمثل ركيزة أساسية في سياسات حفظ التراث الوطني والإنساني، إذ تجمع بين حماية الذاكرة التاريخية وإتاحتها، وتوفر وسائل فعالة لنقل التراث الثقافي إلى الأجيال المقبلة، بما يسهم في تعزيز الهوية الثقافية والحفاظ على التنوع الحضاري في العصر الرقمي (معمري، 2022، ص 107–109؛ المالكي، 2023، ص 499–501).

المبحث الثاني: التوثيق الإلكتروني للذاكرة الجماعية بين الفرص والتحديات

أصبح التوثيق الإلكتروني أحد أبرز التحولات التي فرضتها الثورة الرقمية على آليات حفظ الذاكرة الجماعية، إذ انتقل حفظ الوثائق والسجلات والصور والمخطوطات من الوسائط التقليدية إلى البيئات الرقمية، بما أتاح إمكانات واسعة لحماية التراث الثقافي والتاريخي وإتاحته للأجيال الحالية والمستقبلية. وقد أسهمت تقنيات الرقمنة والأرشفة الإلكترونية في إنشاء مستودعات رقمية وقواعد بيانات متخصصة، مكنت المؤسسات الثقافية والأرشيفية من حفظ الوثائق التاريخية وفق معايير حديثة تضمن سهولة الوصول إليها واسترجاعها، مع المحافظة على محتواها العلمي والتاريخي (جواد، 2017، ص 213–218). وقد أوضحت دراسة رقمنة المخطوطات في دائرة دار المخطوطات العراقية أن التوثيق الإلكتروني يمثل وسيلة فاعلة لحماية المخطوطات من التلف، مع تحسين عمليات الفهرسة والإتاحة الإلكترونية للباحثين.

وفي المقابل، لا تقتصر آثار التوثيق الإلكتروني على توفير فرص حفظ الذاكرة الجماعية، بل تثير أيضا مجموعة من التحديات التقنية والإدارية والقانونية، من أبرزها مخاطر فقدان البيانات نتيجة التقادم التكنولوجي، والهجمات السيبرانية، وضعف البنية التحتية الرقمية، فضلا عن الحاجة إلى

معايير موحدة لضمان أصالة الوثائق الرقمية واستدامتها. كما أن نجاح مشاريع التوثيق الرقمي يرتبط بتوافر سياسات مؤسسية واضحة، وكوادر متخصصة، وأنظمة حديثة لإدارة الوثائق والأرشيفات الرقمية، بما يضمن استمرار الوصول إلى الذاكرة الوطنية وحمايتها من الضياع أو التشويه (كاظم والسلام، 2025، ص 139–145).

وهكذا تم تقسيم هذا المبحث الى مطلبين ناقش المطلب الأول تطبيقات التاريخ الرقمي في حفظ الذاكرة الجماعية بينما ناقش المطلب الثاني تحديات التوثيق الإلكتروني وآفاق تطويره.

المطلب الأول: تطبيقات التاريخ الرقمي في حفظ الذاكرة الجماعية

أدى التطور المتسارع في تقنيات المعلومات والاتصالات إلى توسيع نطاق تطبيقات التاريخ الرقمي، فلم يعد دوره يقتصر على رقمنة الوثائق التاريخية، بل أصبح يشمل إنشاء الأرشيفات الرقمية، وقواعد البيانات التاريخية، والمكتبات الإلكترونية، والمنصات التفاعلية التي تسهم في حفظ الذاكرة الجماعية وإتاحتها للأجيال المتعاقبة. وقد أتاحت هذه التطبيقات إمكانات جديدة في جمع المصادر التاريخية، وفهرستها، وربطها، وتحليلها باستخدام أدوات رقمية حديثة، الأمر الذي أسهم في تعزيز حماية التراث الثقافي والتاريخي، وتيسير الوصول إليه، ودعم البحث العلمي في مختلف التخصصات الإنسانية (الرجيبي، 2025، ص 3–6).

وتبرز أهمية تطبيقات التاريخ الرقمي في حفظ الذاكرة الجماعية من خلال قدرتها على توثيق الأحداث والوثائق والمخطوطات والصور والسجلات التاريخية ضمن بيئات رقمية آمنة، بما يحد من مخاطر التلف والضياع، ويوفر إمكانات واسعة لإتاحة هذه المصادر للباحثين والمؤسسات والجمهور. كما أسهمت مشاريع الرقمنة في تحويل الأرشيفات التقليدية إلى مستودعات إلكترونية متاحة عبر الإنترنت، وهو ما عزز من استدامة الذاكرة التاريخية، ورسخ الهوية الثقافية للمجتمعات في ظل التحول الرقمي (جواد، 2018، ص 213–218؛ المالكي، 2023، ص 487–492).

الفرع الأول: الأرشيفات الرقمية وقواعد البيانات

تعد الأرشيفات الرقمية وقواعد البيانات من أهم المرتكزات التي يقوم عليها التاريخ الرقمي، لما توفره من بيئة متكاملة لحفظ المصادر التاريخية وتنظيمها وإتاحتها بصورة إلكترونية. وقد أسهمت

هذه التقنيات في إحداث تحول نوعي في إدارة الوثائق التاريخية، إذ انتقلت المؤسسات الأرشيفية من حفظ الوثائق الورقية إلى إنشاء مستودعات رقمية تعتمد على المعايير الدولية في الوصف والفهرسة والاسترجاع، الأمر الذي أسهم في حماية الوثائق من التلف والضياع، وتيسير الوصول إليها من قبل الباحثين والمؤسسات العلمية في مختلف أنحاء العالم (محمد، 2024، ص 3–7).

وتعرف الأرشيفات الرقمية بأنها نظم إلكترونية متخصصة تعنى بجمع الوثائق والسجلات والمخطوطات والصور والمواد السمعية والبصرية، وتحويلها إلى صيغ رقمية مع المحافظة على أصالتها وسلامتها، بما يضمن استمرارية حفظها وإتاحتها للأجيال اللاحقة. وتتميز هذه الأرشيفات بإمكانية تخزين كميات كبيرة من البيانات، وسهولة إدارتها، وسرعة البحث فيها، فضلا عن دعمها لعمليات التحديث المستمر والتشارك بين المؤسسات، وهو ما جعلها أداة رئيسة في حفظ التراث الثقافي والذاكرة الوطنية في ظل التحول الرقمي (فراج، 2025، ص 41–48).

أما قواعد البيانات الرقمية، فهي تمثل بنية معلوماتية منظمة تضم مجموعات مترابطة من البيانات والوثائق الرقمية، يتم تنظيمها وفق معايير محددة تسمح بعمليات البحث والاسترجاع والتحديث بكفاءة عالية. وتؤدي قواعد البيانات دورا محوريا في الدراسات التاريخية، إذ تمكن الباحث من الوصول السريع إلى الوثائق والمصادر، وإجراء المقارنات بين البيانات، وربط الأحداث التاريخية بالمعلومات المكانية والزمانية، بما يعزز من دقة التحليل التاريخي ويختصر الوقت والجهد المبذول في البحث (هادي وحمادي، 2024، ص 182–187).

كما أسهم التكامل بين الأرشيفات الرقمية وقواعد البيانات في تطوير تطبيقات التاريخ الرقمي، من خلال إنشاء مستودعات معرفية متخصصة تجمع الوثائق التاريخية، والرسائل الجامعية، والدوريات العلمية، والخرائط، والصور، في بيئة إلكترونية واحدة تتيح إمكانات متقدمة للفهرسة والبحث والاسترجاع. وقد أدى ذلك إلى تعزيز حفظ الذاكرة الجماعية، وتسهيل تداول المعرفة التاريخية، ودعم الباحثين في إنتاج دراسات أكثر دقة وموثوقية، فضلا عن توسيع نطاق الوصول إلى المصادر التاريخية عبر المنصات الرقمية (فراج، 2025، ص 52–60؛ هادي وحمادي، 2024، ص 191–196).

وبذلك، أصبحت الأرشيفات الرقمية وقواعد البيانات من الركائز الأساسية للبنية التحتية للتاريخ الرقمي، إذ تجمع بين الحفظ طويل الأمد للمصادر التاريخية، وسهولة الوصول إليها، وإمكانات التحليل الرقمي المتقدم، بما يسهم في حماية التراث الوثائقي، وتعزيز الذاكرة الجماعية، ودعم البحث العلمي في مختلف مجالات العلوم الإنسانية.

الفرع الثاني: الذكاء الاصطناعي، والبيانات الضخمة، ونظم المعلومات الجغرافية

أدى التطور المتسارع في تقنيات الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات الضخمة ونظم المعلومات الجغرافية إلى إحداث تحول جذري في مجال التاريخ الرقمي، إذ أصبحت هذه التقنيات من الأدوات الرئيسة التي يعتمد عليها الباحثون في جمع المصادر التاريخية وتحليلها وربطها وإعادة تمثيلها بصورة أكثر دقة وشمولا. ولم يعد دورها مقتصرا على حفظ الوثائق التاريخية ورقمنتها، بل امتد إلى تحليل كميات هائلة من البيانات التاريخية، واستخلاص الأنماط والعلاقات بينها، وإنتاج خرائط تاريخية تفاعلية تدعم تفسير الأحداث في سياقاتها الزمانية والمكانية (الرجيبي، 2025، ص 4–8).

ويعد الذكاء الاصطناعي من أبرز التقنيات التي أسهمت في تطوير التاريخ الرقمي، إذ يوفر أدوات متقدمة لمعالجة الوثائق التاريخية، مثل التعرف الضوئي على الحروف (OCR)، ومعالجة اللغات الطبيعية، وتحليل النصوص التاريخية، والتعرف على الصور والمخطوطات القديمة، مما يسهم في تحويل الوثائق الورقية إلى مصادر رقمية قابلة للبحث والتحليل. كما تساعد تطبيقات التعلم الآلي في تصنيف الوثائق التاريخية، والكشف عن العلاقات بين الشخصيات والأحداث، وإعادة بناء البيانات التاريخية التي يصعب تحليلها بالطرق التقليدية، وهو ما انعكس إيجابا على جودة الدراسات التاريخية وسرعة إنجازها (الرجيبي، 2025، ص 8–14؛ العابد، 2025، ص 170–176).

أما البيانات الضخمة، فقد أصبحت تمثل أحد المرتكزات الأساسية في التاريخ الرقمي، نظرا لقدرتها على استيعاب ومعالجة كميات هائلة من البيانات التاريخية المتنوعة، بما يشمل الوثائق الرسمية، والسجلات، والصحف، والصور، والخرائط، والمحتوى الرقمي المنشور عبر الإنترنت. وتسهم تقنيات تحليل البيانات الضخمة في اكتشاف الأنماط التاريخية والعلاقات غير الظاهرة بين الأحداث، فضلا عن دعم الدراسات المقارنة وإعادة بناء السرديات التاريخية اعتمادا على التحليل

الكمي والنوعي للبيانات، الأمر الذي أوجد آفاقا جديدة للبحث التاريخي تتجاوز الأساليب التقليدية (الرجيبي، 2025، ص 15–19).

وتؤدي نظم المعلومات الجغرافية (GIS) دورا محوريا في التاريخ الرقمي، إذ تتيح توثيق المواقع التاريخية وربط الأحداث بالأبعاد المكانية وإنتاج خرائط رقمية تساعد في تفسير التطورات التاريخية وتحليلها. وقد أثبتت التطبيقات العملية لنظم المعلومات الجغرافية في الدراسات التاريخية والآثارية قدرتها على إعادة بناء المواقع الأثرية، وتحليل التغيرات المكانية، وتوثيق التراث الثقافي، وهو ما جعلها أداة أساسية في الدراسات التاريخية المعاصرة (الكروي، 2017، ص 469–488؛ الكروي وعلي، 2019، ص 366–385).

ويحقق التكامل بين الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة ونظم المعلومات الجغرافية قيمة علمية كبيرة في مجال التاريخ الرقمي، إذ يسهم في بناء قواعد بيانات تاريخية ذكية، وتحسين عمليات الأرشفة الرقمية، وإنتاج منصات تفاعلية تدعم حفظ الذاكرة الجماعية، وتتيح للباحثين والجمهور الوصول إلى المصادر التاريخية وتحليلها بكفاءة أعلى. كما يعزز هذا التكامل من حماية التراث الثقافي، ودعم الدراسات التاريخية متعددة التخصصات، وتطوير أدوات البحث التاريخي بما ينسجم مع متطلبات العصر الرقمي (العابد، 2025، ص 176–180؛ الرجيبي، 2025، ص 19–22).

الفرع الثالث: المشاركة المجتمعية في إنتاج وتوثيق المعرفة التاريخية

أصبحت المشاركة المجتمعية أحد المرتكزات الأساسية في التاريخ الرقمي، إذ لم يعد إنتاج المعرفة التاريخية مقتصرا على المؤسسات الأكاديمية أو مراكز الأرشيف، بل أصبح أفراد المجتمع يشاركون بصورة متزايدة في جمع الوثائق والصور والروايات الشفوية والمخطوطات والمواد السمعية والبصرية، ثم توثيقها وإتاحتها عبر المنصات الرقمية. وقد أسهم هذا التحول في توسيع مصادر المعرفة التاريخية، وإثراء الذاكرة الجماعية، والحفاظ على التراث الوثائقي من خلال إشراك المجتمع المحلي في عمليات التوثيق والصون، بما يعزز استدامة هذا التراث ويقوي ارتباطه بالهوية الثقافية (بوتقوقة، 2025، ص 720–723).

وتتمثل أهمية المشاركة المجتمعية في أنها تتيح توثيق الجوانب التي قد تغيب عن السجلات الرسمية، ولا سيما الروايات الشفوية، والصور الشخصية، والوثائق العائلية، والذكريات المرتبطة بالأحداث التاريخية، الأمر الذي يسهم في بناء سردية تاريخية أكثر شمولا وتنوعا. كما تساعد هذه المشاركة على نقل المعرفة بين الأجيال، والمحافظة على الموروث الثقافي المحلي، وتعزيز الشعور بالمسؤولية تجاه حفظ الذاكرة الجماعية، وهو ما يجعل المجتمع شريكا فاعلا في إنتاج المعرفة التاريخية وليس مجرد متلق لها (بوتقوقة، 2025، ص 723–728).

وقد عززت التقنيات الرقمية من فرص المشاركة المجتمعية من خلال إنشاء المنصات الإلكترونية، والأرشيفات الرقمية، والمكتبات المفتوحة، التي تتيح للأفراد المساهمة في رفع الوثائق والصور التاريخية، وإضافة البيانات الوصفية، وتوثيق الأحداث المحلية بصورة تعاونية. وأسهمت هذه التطبيقات في حفظ التراث الوثائقي وإتاحته للباحثين والجمهور، كما وفرت بيئة رقمية تدعم التعاون بين المؤسسات الرسمية والمجتمعات المحلية في صون الذاكرة التاريخية (فالتة وعبيد، 2020، ص 50–56).

وتبرز المشاركة المجتمعية كذلك في مشروعات الرقمنة التي تستهدف الأرشيفات التاريخية، إذ تعتمد العديد من المؤسسات الثقافية على مساهمات الأفراد في التعريف بالوثائق، والتحقق من بياناتها، وإثراء محتواها، بما يسهم في رفع جودة قواعد البيانات التاريخية وتحقيق التكامل بين الخبرة الأكاديمية والمعرفة المحلية. وقد أكدت الدراسات الحديثة أن نجاح مشروعات الأرشفة الرقمية يرتبط بدرجة كبيرة بفاعلية المجتمع المحلي في دعم عمليات التوثيق، ونشر الوعي بأهمية الحفاظ على التراث الوثائقي والهوية الثقافية (رقمنة وتثمين التراث الأرشيفي، 2024، ص 8–13).

ومن ثم، فإن المشاركة المجتمعية أصبحت تمثل أحد الدعائم الرئيسة للتاريخ الرقمي، لأنها تسهم في توسيع قاعدة إنتاج المعرفة التاريخية، وتعزيز حفظ الذاكرة الجماعية، وتوفير مصادر متنوعة وموثوقة للباحثين، فضلا عن دعم الهوية الثقافية وترسيخ قيم الانتماء والمسؤولية المجتمعية تجاه التراث التاريخي، وهو ما يجعلها عنصرا أساسيا في استدامة مشاريع التوثيق الرقمي وحفظ الذاكرة الوطنية. (المالكي، 2023، ص 489–495).

المطلب الثاني: تحديات التوثيق الإلكتروني وآفاق تطويره

يمثل التوثيق الإلكتروني أحد أهم مرتكزات التحول الرقمي في مؤسسات المعلومات والأرشيف، لما يوفره من إمكانات كبيرة في حفظ الوثائق وتنظيمها وإتاحتها واسترجاعها بكفاءة عالية. ومع ذلك، فإن تطبيق أنظمة التوثيق الإلكتروني يواجه العديد من التحديات، من أبرزها المشكلات المتعلقة بأمن المعلومات، وحماية الوثائق من الاختراق أو الفقدان، وضمان أصالتها وحجيتها القانونية. وتؤكد الدراسات الحديثة أن نجاح مشروعات التوثيق الإلكتروني يرتبط بتوافر بيئة تقنية وتشريعية وإدارية متكاملة قادرة على استيعاب متطلبات التحول الرقمي (المحجوب، 2023، ص 7–15؛ أبوصاع، 2023، ص 9–17).

وفي المقابل، تفتح التطورات الحديثة في مجالات الذكاء الاصطناعي، والحوسبة السحابية، والأرشفة الرقمية، آفاقا واسعة لتطوير أنظمة التوثيق الإلكتروني، من خلال تحسين عمليات الفهرسة والاسترجاع، وتعزيز أمن الوثائق، وتسهيل إدارة المحتوى الرقمي، بما يسهم في رفع كفاءة المؤسسات وحماية التراث الوثائقي والذاكرة التاريخية. كما أن تبني المعايير الدولية لإدارة الوثائق الإلكترونية، إلى جانب الاستثمار في تدريب الموارد البشرية، يعد من أهم المتطلبات التي تسهم في تطوير منظومة التوثيق الإلكتروني وضمان استدامتها (الرجيبي، 2025، ص 10–15؛ الحوزي، 2023).

الفرع الأول: الموثوقية والأصالة الرقمية

تعد الموثوقية والأصالة الرقمية من الركائز الأساسية التي يقوم عليها التوثيق الإلكتروني والتاريخ الرقمي، إذ إن القيمة العلمية والقانونية للوثائق الرقمية ترتبط بمدى إمكانية التحقق من أصالتها وسلامتها وعدم تعرضها للتعديل أو التزوير. ويقصد بالأصالة الرقمية التأكد من أن الوثيقة الرقمية هي النسخة الأصلية أو نسخة مطابقة للأصل، وأنها احتفظت بخصائصها ومحتواها منذ إنشائها دون أي تغيير غير مشروع، في حين تشير الموثوقية الرقمية إلى مدى دقة المعلومات الواردة في الوثيقة وإمكانية الاعتماد عليها بوصفها مصدرا صحيحا لإثبات الوقائع أو دعم البحث العلمي. ولهذا أصبحت المحافظة على الأصالة والموثوقية من أهم المتطلبات التي تعتمد عليها المؤسسات الأرشيفية في إدارة الوثائق الرقمية (الحوزي، 2023، ص 130–136؛ ISO 15489-1:2016، p 5–8).

وتتحقق الأصالة الرقمية من خلال مجموعة من الإجراءات التقنية والإدارية، من أهمها استخدام التوقيع الإلكتروني، والشهادات الرقمية، وتقنيات التشفير، وأنظمة إدارة الوثائق الإلكترونية، التي تضمن إثبات هوية منشئ الوثيقة، وتسجيل جميع العمليات التي تطرأ عليها، ومنع أي تعديل غير مصرح به. كما تعتمد المؤسسات الأرشيفية على البيانات الوصفية لتوثيق تاريخ إنشاء الوثيقة، ومصدرها، وآلية تداولها، الأمر الذي يسهم في الحفاظ على سلسلة الحيازةوإثبات أصالتها عند الرجوع إليها (الحوزي، 2023، ص 137–142؛ المجلس الدولي للأرشيف ICA، 2023، ص 9–14).

وتكتسب الموثوقية الرقمية أهمية خاصة في الدراسات التاريخية، لأن الباحث يعتمد على الوثائق الرقمية في إعادة بناء الأحداث وتحليلها. ولذلك فإن غياب معايير التحقق من صحة الوثائق قد يؤدي إلى انتشار معلومات غير دقيقة أو وثائق مزورة تؤثر في نتائج البحث العلمي. ومن هنا تؤكد الأدبيات الحديثة ضرورة الالتزام بالمعايير الدولية لإدارة الوثائق والأرشيفات الرقمية، ولا سيما معيار ISO 15489 الخاص بإدارة الوثائق، ونموذج ISO (OAIS 14721) الخاص بحفظ المعلومات الرقمية على المدى الطويل، لما يوفرانه من آليات لضمان سلامة الوثائق وإمكانية الوصول إليها واستمرار موثوقيتها عبر الزمن (ISO 15489-1:2016، p 8–12؛ ISO 14721:2012، p 16).

ومع التوسع في تطبيقات الذكاء الاصطناعي والتاريخ الرقمي، برزت تحديات جديدة تتعلق بالموثوقية والأصالة الرقمية، من أهمها إمكانية إنتاج صور ووثائق ونصوص مزيفة باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative AI)، مما يزيد من صعوبة التحقق من صحة المحتوى الرقمي. لذلك تتجه المؤسسات الأرشيفية ومراكز حفظ التراث إلى تطوير آليات متقدمة للتحقق من أصالة الوثائق، من خلال توظيف تقنيات البصمة الرقمية (Digital Fingerprinting)، وسلاسل الكتل (Blockchain)، والذكاء الاصطناعي في كشف التلاعب بالوثائق، بما يسهم في تعزيز الثقة بالمصادر الرقمية، وضمان استدامة الذاكرة الرقمية للأجيال القادمة (UNESCO2023,. 18– pp 24؛ الرجيبي، 2025، ص 16–20).

وبذلك، تمثل الموثوقية والأصالة الرقمية شرطا أساسيا لنجاح مشروعات التوثيق الإلكتروني والتاريخ الرقمي، إذ تضمنان سلامة الوثائق، وتعززان الثقة في مصادر المعلومات، وتحافظان

على القيمة التاريخية والقانونية للوثائق الرقمية، بما يدعم حفظ الذاكرة الجماعية وصون التراث الثقافي في البيئة الرقمية.

الفرع الثاني: الأمن السيبراني، الملكية الفكرية، والحفظ طويل الأمد

يمثل الأمن السيبراني، وحماية حقوق الملكية الفكرية، والحفظ الرقمي طويل الأمد ثلاثة محاور أساسية لضمان استدامة الوثائق الرقمية والمحافظة على قيمتها العلمية والقانونية والثقافية. فمع التوسع في رقمنة الوثائق والأرشيفات التاريخية، أصبحت المؤسسات المعنية بحفظ التراث مطالبة بتوفير بيئات رقمية آمنة تحمي البيانات من الاختراق أو التلاعب، وفي الوقت نفسه تحافظ على الحقوق الفكرية لأصحابها، مع ضمان إمكانية الوصول إليها واستعمالها عبر فترات زمنية طويلة. وتؤكد منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO) أن الحفظ الرقمي لا يقتصر على تخزين الملفات، بل يشمل منظومة متكاملة من الإجراءات القانونية والتقنية والإدارية التي تضمن استمرارية الوصول إلى التراث الرقمي مع الحفاظ على أصالته وسلامته للأجيال القادمة (UNESCO, 2003, pp. 3–5).

ويعد الأمن السيبراني أحد أهم متطلبات نجاح مشروعات الأرشفة والتوثيق الإلكتروني، إذ يهدف إلى حماية الوثائق الرقمية وقواعد البيانات من الهجمات الإلكترونية والاختراقات والبرمجيات الخبيثة، فضلا عن منع الوصول غير المصرح به إلى المعلومات الحساسة. وتعتمد المؤسسات الأرشيفية على تقنيات متعددة، مثل التشفير، وأنظمة النسخ الاحتياطي، والمصادقة متعددة العوامل، وإدارة صلاحيات المستخدمين، لضمان سرية البيانات وسلامتها واستمرارية إتاحتها. كما تؤكد الدراسات الحديثة أن غياب سياسات الأمن السيبراني يهدد استدامة الذاكرة الرقمية ويزيد من احتمالات فقدان الوثائق أو التلاعب بها (الحوزي، 2023، ص 134–140).

أما حقوق الملكية الفكرية، فتمثل الإطار القانوني الذي ينظم استخدام الوثائق والمصنفات الرقمية، ويحقق التوازن بين إتاحة المعرفة وحماية الحقوق الأدبية والمالية للمؤلفين والمنتجين. ويزداد الاهتمام بهذه الحقوق في البيئة الرقمية نتيجة سهولة نسخ المحتوى ونشره وتداوله عبر الإنترنت، الأمر الذي يستوجب اعتماد تشريعات وآليات تقنية تحد من الانتهاكات وتحافظ على حقوق أصحاب المصنفات. وقد أكدت توصية اليونسكو بشأن صون التراث الوثائقي وإتاحة الانتفاع به، بما في ذلك التراث الرقمي ضرورة مراعاة حقوق الملكية الفكرية عند تنفيذ برامج الرقمنة، مع

تحقيق التوازن بين الحماية القانونية وإتاحة الوثائق للأغراض العلمية والثقافية (UNESCO, 2015, pp. 4–8).

ويعد الحفظ الرقمي طويل الأمد من أبرز التحديات التي تواجه مؤسسات الذاكرة، نظرا للتغير المستمر في البرمجيات والأجهزة والصيغ الرقمية. لذلك تعتمد المؤسسات الدولية على استراتيجيات تشمل الترحيل الدوري للبيانات ، وإنشاء نسخ احتياطية متعددة، واستخدام صيغ معيارية مفتوحة، وتوثيق البيانات الوصفية، بما يضمن استمرار إمكانية الوصول إلى الوثائق الرقمية دون فقدان محتواها أو خصائصها. كما تؤكد اليونسكو أن نجاح الحفظ الرقمي طويل الأمد يتطلب التخطيط المسبق، واعتماد معايير دولية لإدارة الوثائق الرقمية، وتحديث بيئات الحفظ بصورة مستمرة لمواكبة التطور التقني (UNESCO, 2003, pp. 6–9).

ومن ثم، فإن تحقيق الاستدامة في التوثيق الإلكتروني لا يعتمد على التقنيات الرقمية وحدها، وإنما يتطلب التكامل بين الأمن السيبراني، وحماية الملكية الفكرية، واستراتيجيات الحفظ طويل الأمد، بما يضمن سلامة الوثائق الرقمية، ويحافظ على قيمتها التاريخية والثقافية، ويعزز الثقة في الأرشيفات الرقمية بوصفها مصدرا موثوقا للمعرفة والذاكرة الجماعية.

الفرع الثالث: المعايير الدولية والسياسات الوطنية واستراتيجيات تطوير الأرشيفات الرقمية

أصبحت المعايير الدولية والسياسات الوطنية من الركائز الأساسية التي تستند إليها مؤسسات الأرشيف في تطوير أنظمة الأرشفة الرقمية وضمان استدامتها، إذ توفر هذه المعايير إطارا موحدا لإدارة الوثائق الرقمية، وحفظها، وإتاحتها، بما يحقق الموثوقية والأصالة وسهولة الوصول إلى المعلومات. وقد أسهمت المنظمات الدولية، وفي مقدمتها المجلس الدولي للأرشيف (International Council on Archives - ICA) والمنظمة الدولية للتقييس (ISO) ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO)، في وضع مجموعة من المبادئ والمعايير التي تنظم إدارة الوثائق الإلكترونية وحفظها طويل الأمد، بما يضمن حماية التراث الوثائقي والذاكرة الإنسانية (ISO, 2016, pp. 1–6; UNESCO, 2015, pp. 2–5).

ويعد معيار ISO 15489:2016 الخاص بإدارة الوثائق من أهم المعايير الدولية في مجال الأرشفة الرقمية، إذ يحدد المبادئ الأساسية لإنشاء الوثائق وإدارتها وحفظها طوال دورة حياتها،

مع التأكيد على ضرورة ضمان أصالتها وموثوقيتها وسلامتها وقابليتها للاستخدام. كما يشدد المعيار على أهمية تبني سياسات مؤسسية واضحة لإدارة الوثائق الرقمية، وتحديد المسؤوليات والإجراءات المتعلقة بحفظها وإتاحتها، بما ينسجم مع متطلبات التحول الرقمي في المؤسسات الحكومية والثقافية (ISO, 2016, pp. 7–14).

وفي مجال الحفظ الرقمي طويل الأمد، يمثل النموذج المرجعي للنظام المفتوح للأرشفة (OAIS)، الصادر في المعيار ISO 14721:2012، أحد أهم الأطر الدولية التي تعتمدها المكتبات الوطنية ودور الوثائق والأرشيفات الرقمية. ويهدف هذا النموذج إلى ضمان استدامة الوثائق الرقمية من خلال تحديد آليات جمعها، وحفظها، وإدارة بياناتها الوصفية، وإتاحتها للمستفيدين على المدى الطويل، مع مراعاة التطورات التقنية التي قد تؤثر في إمكانية الوصول إلى المحتوى الرقمي مستقبلًا (ISO, 2012, pp. 1–12).

وعلى المستوى الوطني، اتجهت العديد من الدول إلى تبني استراتيجيات وطنية للتحول الرقمي وتطوير الأرشيفات الرقمية، تضمنت إصدار تشريعات تنظم إدارة الوثائق الإلكترونية، وإنشاء منصات وطنية للأرشفة الرقمية، واعتماد معايير دولية في توصيف الوثائق وحفظها. كما ركزت هذه الاستراتيجيات على تطوير البنية التحتية الرقمية، وتأهيل الموارد البشرية، وتعزيز الأمن السيبراني، وتوسيع نطاق الوصول المفتوح إلى الوثائق التاريخية، بما يسهم في دعم البحث العلمي والمحافظة على الذاكرة الوطنية (الحوزي، 2023، ص 140–145؛ UNESCO, 2015, pp. 6–10).

وتتطلب استراتيجيات تطوير الأرشيفات الرقمية تبني رؤية شاملة تجمع بين الجوانب التقنية والإدارية والقانونية، من خلال تحديث التشريعات الخاصة بالوثائق والأرشيف، واعتماد معايير دولية لإدارة البيانات، والاستثمار في تقنيات الذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية، فضلا عن تعزيز التعاون بين المؤسسات الوطنية والمنظمات الدولية لتبادل الخبرات وبناء القدرات. وتؤكد الأدبيات الحديثة أن نجاح الأرشيفات الرقمية لا يعتمد على التكنولوجيا وحدها، وإنما يرتبط بوجود سياسات واضحة تضمن استدامة الحفظ الرقمي، وتيسر إتاحة الوثائق، وتحافظ على أصالتها وموثوقيتها للأجيال المقبلة (ICA, 2023, pp. 8–15؛ الرجيبي، 2025، ص 18–22).

وبذلك، فإن تطوير الأرشيفات الرقمية يتطلب التكامل بين المعايير الدولية والسياسات الوطنية، بما يسهم في بناء منظومات أرشيفية رقمية قادرة على حماية التراث الوثائقي، وتعزيز الوصول إلى المعلومات، ودعم التحول الرقمي، وتحقيق التنمية المستدامة في مؤسسات الذاكرة.

الخاتمة

في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم بفعل الثورة الرقمية، أصبح التاريخ الرقمي أحد أبرز الاتجاهات الحديثة التي أعادت صياغة آليات إنتاج المعرفة التاريخية وحفظها ونشرها، من خلال توظيف التقنيات الرقمية في جمع المصادر التاريخية وتحليلها وإتاحتها بصورة أكثر كفاءة وتفاعلية. وقد أدى هذا التحول إلى انتقال الدراسات التاريخية من الأساليب التقليدية إلى بيئات رقمية متطورة تعتمد على الأرشيفات الإلكترونية، وقواعد البيانات، والذكاء الاصطناعي، ونظم المعلومات الجغرافية، الأمر الذي أسهم في توسيع آفاق البحث التاريخي وتعزيز جودة مخرجاته العلمية.

وقد بين البحث أن التوثيق الإلكتروني يمثل الركيزة الأساسية لحفظ الذاكرة الجماعية وصون التراث الوثائقي والثقافي، لما يوفره من وسائل فعالة لحماية الوثائق التاريخية من التلف أو الضياع، وضمان استدامة الوصول إليها وإتاحتها للباحثين والأجيال المتعاقبة. كما أظهر أن التكامل بين التاريخ الرقمي والتوثيق الإلكتروني يسهم في بناء ذاكرة جماعية أكثر شمولاً وموثوقية، ويعزز الهوية الثقافية والوطنية، ويتيح مشاركة أوسع للمؤسسات والأفراد في توثيق الأحداث والوقائع التاريخية وإثراء المحتوى المعرفي.

وفي المقابل، أوضح البحث أن نجاح مشروعات التاريخ الرقمي لا يعتمد على التطور التقني وحده، بل يتطلب معالجة جملة من التحديات المرتبطة بالموثوقية والأصالة الرقمية، والأمن السيبراني، وحماية حقوق الملكية الفكرية، والحفظ الرقمي طويل الأمد، فضلا عن ضرورة تطوير الأطر التشريعية والإدارية واعتماد المعايير الدولية المنظمة لإدارة الوثائق والأرشيفات الرقمية.

وانتهى البحث إلى أن المستقبل يتجه نحو توسيع الاعتماد على التقنيات الذكية في إدارة التراث الوثائقي، الأمر الذي يفرض على المؤسسات الأكاديمية والثقافية والأرشيفية تبني استراتيجيات

وطنية للتحول الرقمي، وتعزيز التعاون بين مختلف الجهات المعنية، والاستثمار في بناء القدرات البشرية والبنى التحتية الرقمية، بما يضمن حماية الذاكرة الجماعية وصون التراث التاريخي، وتحقيق الاستفادة المثلى من التقنيات الحديثة في خدمة البحث العلمي والحفاظ على الهوية الحضارية للأمم.

أولاً: النتائج

1. يمثل التاريخ الرقمي تحولاً منهجياً في الدراسات التاريخية، إذ تجاوز مفهوم الرقمنة إلى إعادة إنتاج المعرفة التاريخية باستخدام التقنيات الرقمية الحديثة.

2. أصبح التوثيق الإلكتروني أحد أهم الوسائل المعاصرة لحفظ الذاكرة الجماعية وصيانة التراث الوثائقي والثقافي.

3. أسهمت الأرشيفات الرقمية والمكتبات الإلكترونية في تسهيل الوصول إلى المصادر التاريخية ورفع كفاءة البحث العلمي.

4. أدى توظيف الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات الضخمة ونظم المعلومات الجغرافية إلى تطوير أدوات البحث التاريخي وتحسين تحليل المصادر.

5. تمثل الموثوقية والأصالة الرقمية شرطاً أساسياً لضمان القيمة العلمية والقانونية للوثائق الإلكترونية.

6. يشكل الأمن السيبراني وحماية الملكية الفكرية والحفظ طويل الأمد أبرز التحديات التي تواجه مشروعات التوثيق الإلكتروني.

7. تؤدي المعايير الدولية، ولاسيما ISO وICA وUNESCO، دوراً محورياً في تنظيم إدارة الوثائق الرقمية وضمان استدامتها.

8. تسهم المشاركة المجتمعية في إثراء الذاكرة الجماعية وتعزيز حفظ التراث الوثائقي من خلال الرقمنة التشاركية.

9. يعتمد نجاح مشروعات التاريخ الرقمي على تكامل الجوانب التقنية والتشريعية والإدارية والبشرية.

10. ما تزال المؤسسات العربية بحاجة إلى تطوير سياسات وطنية متكاملة للتحول الرقمي في مجال الأرشفة وحفظ الذاكرة الوطنية.

ثانياً: التوصيات

1. وضع استراتيجية وطنية شاملة للتحول الرقمي في مؤسسات الأرشيف والمكتبات والمتاحف.

2. اعتماد المعايير الدولية الخاصة بإدارة الوثائق الرقمية والحفظ طويل الأمد.

3. تطوير البنية التحتية الرقمية وتحديث أنظمة الأرشفة الإلكترونية بصورة مستمرة.

4. الاستثمار في تدريب الكوادر المتخصصة في التاريخ الرقمي وإدارة الوثائق الإلكترونية.

5. تعزيز استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في الفهرسة والتصنيف والتحليل التاريخي مع مراعاة الضوابط العلمية والأخلاقية.

6. توفير منظومات متقدمة للأمن السيبراني لحماية الأرشيفات الرقمية من الاختراق أو التلاعب.

7. تحديث التشريعات المتعلقة بالتوقيع الإلكتروني والوثائق الرقمية والملكية الفكرية بما يواكب التطور التقني.

8. تشجيع المؤسسات الأكاديمية والثقافية على تنفيذ مشروعات رقمنة الوثائق التاريخية والمخطوطات.

9. دعم مبادرات المشاركة المجتمعية في توثيق التراث والذاكرة الوطنية عبر المنصات الرقمية.

10. تعزيز التعاون بين المؤسسات الوطنية والمنظمات الدولية للاستفادة من الخبرات العالمية في مجال التاريخ الرقمي والتوثيق الإلكتروني.

قائمة المصادر

أولاً: المصادر العربية

1. أبو الخير، السيد محمد. (د.ت.). تجارب عربية في التوثيق الرقمي للمصادر التراثية والثقافية. المجلة العربية للمعلومات. متاح عبر قاعدة بيانات دار المنظومة.

2. أبوصاع، فتحي عمر. (2023). تحديات التحول إلى الأرشفة الإلكترونية في المؤسسات الحكومية من وجهة نظر موظفي مكاتب المحفوظات والأرشيف بمكتب العمل والتأهيل بمدينة مصراتة. مجلة جامعة الجفارة للعلوم الإنسانية والتطبيقية.

3. إبراهيم، شادي رمضان. (2021). التوثيق الإلكتروني لعقود التجارة الإلكترونية. مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية، 5(16).

4. البديري، إسماعيل صعصاع، & منصر، عمار حنين. (2020). دور الإدارة في الحفاظ على الوثائق في التشريع العراقي: دراسة مقارنة. مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، 28(6)، 97–127.

5. بوتقوقة، مبروك. (2025). التراث كمشاع مشترك: مشاركة المجتمعات المحلية في حفظ التراث الوثائقي في السياق العربي. مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 10(2)، 718–731.

6. جواد، سهلة علوان. (2017). التوثيق الإلكتروني: رقمنة الكتب التراثية ودورها في حفظ المخطوطات – دائرة دار المخطوطات العراقية نموذجًا. مجلة آداب المستنصرية، (76)، 213–244.

7. خلخال، رقية سعيد. (2023). ذاكرة الحشد الشعبي: رؤية تحليلية في التأسيس المنهجي وآليات توثيقها. مجلة مركز دراسات الكوفة.

8. خربيط، هناء صالح. (2026). تبني فكرة الكاتب العدل الإلكتروني. مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية، 17(1)، 641–666.

9. دزه يي، آزاد صديق محمد. (2017). النظام القانوني للمصادقة على التوقيع الإلكتروني: دراسة مقارنة. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، 3(5).

10. الرابطة المحمدية للعلماء. (2009). التوثيق الإلكتروني حفاظ على الذاكرة العربية الجماعية.

11. الرجيبي، نزيهة أبوالقاسم. (2025). الممارسات الحديثة في رقمنة وتوثيق المصادر الوثائقية التاريخية: تطبيقات الذكاء الاصطناعي أنموذجًا. مجلة الجامعة الأسمرية.

12. سوكاح، زهير. (2006). مفهوم الذاكرة الجمعية عند موريس هالبواكس. الحوار المتمدن.

13. غازي، بلقيس سامي، & ياسين، شاكر سعيد. (2026). الذاكرة الجمعية وبناء الهوية الاجتماعية. مجلة آداب المستنصرية.

14. فالتة، فيصل، & عبيد، صباح. (2020). دور الرقمنة في ترسيخ الأحداث وإحياء التراث الشعبي عبر العصور. المجلة العربية للتربية النوعية، 4(13)، 45–60.

15. فراج، عبدالرحمن أحمد عبدالهادي. (2025). التحول الرقمي للأرشيفات العربية: مراجعة سردية في ضوء التجارب المنشورة. مجلة دراسات الوثائق، (10)، 41–75.

16. الكروي، رؤى زهير زيدان. (2017). استخدام نظم المعلومات الجغرافية في الدراسات الآثارية: تنقيبات جامعة الموصل. مجلة التراث العلمي العربي، 469–488.

17. الكروي، رؤى زهير زيدان، & علي، ندى جواد محمد. (2019). دراسة وتقييم حالة التراث الإسلامي لمدينة الموصل بعد حربها ضد الإرهاب بالاعتماد على نظم المعلومات الجغرافية (GIS). مجلة دراسات في التاريخ والآثار، (72)، 366–385.

18. كاظم، هدى عدنان، & السلام، نادية عبد المجيد. (2025). دور التوثيق الرقمي في حماية التراث الحضري. مجلة الآداب، (152)، 139–162.

19. المحجوب، سليمان عبد الله عمر. (2023). إدارة الوثائق والأرشفة الإلكترونية. مجلة جامعة الجفارة للعلوم الإنسانية والتطبيقية.

20. محمد، إبراهيم سالم. (2024). التحول من الأرشفة التقليدية إلى الأرشفة الإلكترونية. مجلة الأصالة، 4(9).

21. محمد بن جابر يحيى الخالدي المالكي. (2023). رقمنة التاريخ الوطني ودورها في تعزيز مجتمع المعرفة في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية 2030. مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم التربوية والاجتماعية.

22. مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي. (د.ت.). مشروع ذاكرة العالم العربي.

23. المركز العراقي لتوثيق جرائم التطرف. (2026). توثيق الألم ودوره في بناء الذاكرة التاريخية ومواجهة النسيان: تجارب دولية.

24. مجلة إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع. (2023). دراسات حول الذاكرة والعدالة الانتقالية.

25. مجلة التربية للعلوم الإنسانية. (2025). دراسة حول رقمنة الوثائق التاريخية وأدوات تحليلها، 5 (العدد الخاص)، 321–336.

26. معمري، حمزة. (2022). الأرشفة الرقمية والتاريخ الرقمي وتحديات الألفية الثالثة. مجلة إضاءات علمية، 3(1)، 98–112.

27. مفهوم المحرر الإلكتروني المعد للإثبات: دراسة مقارنة. (د.ت.). دراسة مفهرسة في قاعدة بيانات دار المنظومة.

28. هادي، سعد حامد، & حمادي، ميثاق طالب عبد. (2024). قواعد البيانات في البيئة الرقمية. مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، 32(3)، 182–200.

29. هزلون، سعاد، & شيكو، يمينة. (2021). دور الإنسانيات الرقمية في تطوير العلوم الإنسانية. مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 6(2)، 155–168.

30. الحوزي، زهير. (2023). محررات التوثيق الإلكتروني بين التحديات الأمنية ورهانات التنمية. مجلة ابن خلدون للدراسات القانونية والاقتصادية والاجتماعية.

31. العابد، نائلة. (2025). التاريخ الرقمي: كيف يُعيد الذكاء الاصطناعي كتابة التاريخ؟ المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 9(1)، 168–183.

32. العبيدي، سمير عبد الرسول. (2019). المكتبات الرقمية وأهميتها في البحث التاريخي. مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، (64).

33. رقمنة وتثمين التراث الأرشيفي. (2024). مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال أفريقيا.

ثانياً: المصادر الأجنبية

34. Cohen, D. J., & Rosenzweig, R. (2006). Digital history: A guide to gathering, preserving, and presenting the past on the Web. University of Pennsylvania Press.

35. International Council on Archives. (2023). Principles and functional requirements for records in electronic office environments. International Council on Archives.

36. International Organization for Standardization. (2012). ISO 14721:2012: Space data and information transfer systems—Open archival information system (OAIS)—Reference model. ISO.

37. International Organization for Standardization. (2016). ISO 15489-1:2016: Information and documentation—Records management—Part 1: Concepts and principles. ISO.

38. UNESCO. (2003). Charter on the preservation of digital heritage. UNESCO.

39. UNESCO. (2015). Recommendation concerning the preservation of, and access to, documentary heritage including in digital form. UNESCO.

40. UNESCO. (2023). Guidance for the digital preservation of documentary heritage. UNESCO.

41. UNESCO. (n.d.). UNESCO Thesaurus: Digital preservation. UNESCO.

42. Yasseri, T., Gildersleve, P., & David, L. (2022). Collective memory in the digital age. In Progress in Brain Research (Vol. 274, pp. 203–226). Elsevier. https://doi.org/10.1016/bs.pbr.2022.07.001

الفصل السابع

التاريخ الإسلامي والخطاب البلاغي ودورهما في تشكيل الفكر وبناء الشخصية

م.م. رقية وسام غناوي محسن

جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية - العراق

Email: roqia.wessam1206e@coart.uobaghdad.edu.iq

م.م. روى ضياء إبراهيم

جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية - العراق

Email: Roaa.d@cois.uobaghdad.edu.iq

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة دور التاريخ الإسلامي والخطاب البلاغي في تشكيل الفكر وبناء الشخصية من منظور نفسي معاصر، اذ ينطلق البحث من إشكالية ضعف الهوية والانتماء والأزمات النفسية التي يعاني منها الإنسان المسلم المعاصر، ويسعى إلى بيان إمكانية الاستفادة من التراث الإسلامي كأداة علاجية وتربوية.

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج النفسي التاريخي، وتكون من ثلاثة مباحث: تناول الأول الإطار المفاهيمي للتاريخ والخطاب والعلاقة بعلم النفس، ودرس الثاني دور التاريخ والخطاب في تشكيل الفكر السياسي والاجتماعي والعلمي، وأثرهما في التربية وبناء الهوية، أما الثالث فخصص لبيان الانعكاسات النفسية للتاريخ والخطاب، ودور النماذج التاريخية في العلاج النفسي، وسبل توظيفهما في معالجة الأزمات النفسية المعاصرة.

وتوصل البحث إلى أن التاريخ الإسلامي والخطاب البلاغي يشكلان منظومة متكاملة لبناء العقل والوجدان معاً، وأنهما يمثلان أداة فاعلة في بناء الهوية والانتماء والمرونة النفسية، كما أنهما يوفران نماذج علاجية من خلال "العلاج بالسرد" و "التعلم بالنمذجة".

وخلص البحث بضرورة إعادة إنتاج التاريخ والخطاب بلغة الشباب، وإدخالهما في المؤسسات التربوية والعلاجية كجزء من الحلول النفسية المعاصرة. الكلمات المفتاحية: التاريخ الإسلامي؛ الخطاب البلاغي؛ الفكر؛ الشخصية؛ الهوية

Abstract

This research aims to study the role of Islamic history and rhetorical discourse in shaping thought and building personality from a contemporary psychological perspective. The study addresses the problem of identity weakness, lack of belonging, and psychological crises suffered by the contemporary Muslim individual, and seeks to demonstrate the possibility of benefiting from the Islamic heritage as a therapeutic and educational tool.

The research adopted the inductive-analytical approach and the historical-psychological approach. It consists of three chapters: The first deals with the conceptual framework of history, discourse, and their relationship to psychology. The second examines the role of history and discourse in shaping political, social, and scientific thought, and their impact on education and identity building. The third focuses on the psychological reflections of history and discourse, the role of historical models in psychotherapy, and ways to employ them in addressing contemporary psychological crises.

The study concluded that Islamic history and rhetorical discourse constitute an integrated system for building both mind and conscience. They represent an effective tool in building identity, belonging, and psychological resilience. They also provide

therapeutic models through "Narrative Therapy" and "Social Learning". The research recommends the need to reproduce history and discourse in the language of youth, and to integrate them into educational and therapeutic institutions as part of contemporary psychological solutions.

Keywords: Islamic history; Rhetorical discourse; Thought; Personality; Identity

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين أما بعد:

إن التاريخ ليس سجلاً جامداً للأحداث الماضية، وإنما هو ذاكرة الأمة النابضة التي تتشكل من خلالها معالم الحاضر وملامح المستقبل، وقد أولى الإسلام عناية فائقة بالتاريخ، فجعله وسيلة للاعتبار والتربية وبناء الفكر، لا مجرد سرد للوقائع، وتجلى ذلك في القرآن الكريم الذي ضمّن ثلث آياته قصصاً تاريخية خُتمت بقوله تعالى في سورة يوسف: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ111}، تأكيداً على أن الغاية من التاريخ هي استنباط العبر وبناء الإنسان.

اقترن التاريخ الإسلامي منذ فجره بخطاب بلاغي راقٍ استمد أدواته من الوحي، فجمع بين صدق الخبر وفصاحة الأسلوب وقوة التأثير، فكان الخطاب النبوي والسيرة والفتوحات تُروى بأسلوب يخاطب العقل ويحرك الوجدان، ويحول المعلومة التاريخية إلى دافع للسلوك ومنبع للهوية، فلم يكن التاريخ عند المسلمين مادة للمعرفة فقط، بل كان مشروعاً تربوياً ونفسياً متكاملاً.

وفي ظل ما تعيشه الأمة اليوم من تحديات فكرية ونفسية، من تفكك في الهوية، وضعف في الانتماء، وسيطرة سرديات الهزيمة واليأس، تبرز الحاجة الماسة لإعادة قراءة التاريخ الإسلامي وخطابه البلاغي قراءة وظيفية، قراءة لا تقف عند حدود الماضي، بل تستثمره في تشكيل فكر الأجيال وتقوية بنيتهم النفسية، وإعادة بناء الثقة بالذات والأمة.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة سعياً لفهم الآليات التي عمل بها التاريخ الإسلامي بأدواته البلاغية على صياغة العقل المسلم، وتشكيل وجدانه، وبناء مرونته النفسية عبر العصور، واستخلاص الدروس الكفيلة بإحياء هذا الدور في واقعنا المعاصر، و من أجل ما تقدم اخترنا هذا البحث، محاولين إماطة اللثام عن الموضوع بتجرد كبير.

واقتضت خطة البحث تقسيمه على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناولنا في المقدمة السبب من وراء اختيار عنوان البحث، وخصصنا المبحث الأول عن الإطار المفاهيمي للتاريخ والخطاب والعلاقة بعلم النفس، وجعلنا المبحث الثاني مخصصا عن دور التاريخ والخطاب في تشكيل الفكر السياسي والاجتماعي والعلمي، وأثرهما في التربية وبناء الهوية، واما المبحث الثالث فكان عن فخصص لبيان الانعكاسات النفسية للتاريخ والخطاب، ودور النماذج التاريخية في العلاج النفسي، وسبل توظيفهما في معالجة الأزمات النفسية المعاصرة، وأما الخاتمة فقد أوجزنا فيها أهم نتائج البحث وما توصلنا إليه في هذه الرحلة الماتعة والمباركة، وأخيرا فهذا جهد المقل فان وفقنا فهو محض فضل من الله وان كانت الأخرى فمنا ومن الشيطان، والله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم براء منه.

اهمية الموضوع

1- تكمن أهمية البحث العلمية بربط البحث بين ثلاث حقول معرفية مهمة هي التاريخ والبلاغة وعلم النفس، وهذا الربط ما زال ناقصاً في الدراسات العربية.

2- اما الأهمية التربوية فهي تقدم رؤية عملية لتوظيف التاريخ كأداة تربية وبناء شخصية بدل أن يكون مادة للحفظ والتلقين.

3- واما الأهمية النفسية فتسد حاجة ملحة لعلاج مشكلات الاغتراب والهوية والهزيمة النفسية التي يعاني منها الشباب عبر "العلاج بالسرد التاريخي".

4- وجاءت الأهمية الحضارية لتعيد الاعتبار للتراث الإسلامي كقوة ناعمة قادرة على مواجهة تحديات العولمة وتفكك القيم.

أهداف الدراسة

1-يهدف البحث الى بيان خصائص التاريخ الإسلامي ومنهجه المميز في التأثير الفكري والنفسي.

2- يهدف البحث الى تحليل أدوات الخطاب البلاغي المستخدمة في التاريخ الإسلامي وآليات عملها.

3- يهدف البحث الى كشف الانعكاسات النفسية للسرد التاريخي في بناء الهوية وتعزيز الثقة ومواجهة الإحباط.

4- يهدف البحث الى توضيح دور التاريخ في تشكيل الفكر السياسي والاجتماعي والعلمي للأمة.

5- ويهدف البحث الى تقديم توصيات عملية لتوظيف التاريخ والخطاب البلاغي في التربية والإعلام والإرشاد النفسي المعاصر.

إشكالية الدراسة

تتمثل الإشكالية الرئيسية لهذه الدراسة في التساؤل التالي:

كيف أسهم التاريخ الإسلامي عبر خطابه البلاغي في تشكيل الفكر وبناء البنية النفسية للمسلم؟ وما أسباب ضعف هذا الأثر في العصر الحديث؟

ويتفرع عنها الأسئلة التالية:

1. ما الخصائص المنهجية التي ميزت التاريخ الإسلامي عن غيره؟
2. ما هي أدوات الخطاب البلاغي التي استخدمت في التاريخ الإسلامي؟
3. ما الانعكاسات النفسية المباشرة للسرد التاريخي على الفرد والمجتمع؟
4. كيف يمكن إعادة إنتاج الخطاب التاريخي البلاغي لمواجهة تحديات اليوم؟

فرضية الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من الفرضية التالية: إن التاريخ الإسلامي عندما يقترن بالخطاب البلاغي يتحول إلى قوة فكرية ونفسية تبني الهوية وتعز الثقة وتعالج الإحباط، وإن غياب هذا الاقتران في العصر الحديث هو أحد الأسباب الجوهرية للأزمة الفكرية والنفسية التي تعيشها الأمة.

أسئلة الدراسة

للإجابة على الإشكالية تسعى الدراسة للإجابة على الأسئلة الآتية:

1- ما مفهوم التاريخ الإسلامي وما هي خصائصه ومناهجه؟

2- ما مفهوم الخطاب البلاغي وما هي أدواته في التاريخ الإسلامي؟

3- ما دور التاريخ والخطاب البلاغي في تشكيل الفكر السياسي والاجتماعي والعلمي؟

4- ما الانعكاسات النفسية للتاريخ في بناء الهوية وتعزيز الثقة والمرونة؟

5- ما هي الآليات المقترحة لتوظيف التاريخ علاجياً وتربوياً في العصر الحديث؟

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والمنهجي

المطلب الأول: مفهوم التاريخ الإسلامي وخصائصه ومنهجه في بناء الفكر

ان التاريخ الإسلامي ليس مجرد تسجيل للوقائع، بل هو مشروع حضاري متكامل قائم على رؤية عقدية ومنهج تربوي، و التاريخ عند المسلمين لم يكن علماً منفصلاً عن العقيدة، بل كان امتداداً لها وترجمة عملية لسنن الله في الخلق(عسيلان، 2018، 45)..

فالتاريخ الإسلامي هو سرد حركة الإنسان المسلم في الزمان والمكان في ضوء الوحي، وبيان سنن الله في الأمم وعلاقتها بقيام الحضارة وسقوطها، فهو مرتبط بالغاية(العمري، 2015، 22).

، قال تعالى في سورة الحشر{فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ2}، ولذلك لم يهتم المؤرخ المسلم بالتواريخ المجردة بقدر اهتمامه بربط السبب بالنتيجة، وبإظهار يد القدرة الإلهية في تسيير الأمم، فهو تاريخ قائم على معنى، لا على مادة فقط، وهذا ما جعله يختلف عن التاريخ الوضعي الذي يرى الأحداث مصادفات أو صراع مصالح، فالمسلم يرى في كل حدث آية، وفي كل نصر أو هزيمة رسالة.

تظهر ربانية التاريخ الإسلامي في أن الغاية ليست مجد القومية أو الفخر العرقي بل إظهاره، قال تعالى في سورة ال عمران {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا104}، فالمؤرخ المسلم يرى يد الله في الأحداث، لا يفسر الهزيمة بمؤامرة فقط، ولا النصر بعبقرية القائد فقط، بل يرد الأمر إلى سنن الله في التمحيص والابتلاء والتمكين. وهذا جعل التاريخ الإسلامي تاريخ أخلاق قبل أن يكون تاريخ سياسة، فعندما يروي الطبري مقتل الحسين (الطبري، 2001، 5: 410)لا يكتفي بالسرد، بل يربطه بميزان العدل الإلهي، وعندما يروي ابن كثير فتح مكة[6](ابن كثير، 2003، 4: 301)يربطه بمبدأ الرحمة.

وتميز بالشمول فهو يربط بين السياسة والاجتماع والفكر والعلم. فتاريخ الطبري والذهبي وابن كثير جمعوا كل ذلك(الذهبي، 2004، 1: 11)، لم يفصل بين "تاريخ الخلفاء" و "تاريخ العلماء" و "تاريخ المدن" لأن الأمة كيان واحد.، فسقوط قرطبة لم يكن حدثاً سياسياً فقط، بل كان نكسة علمية وحضارية واجتماعية، وهذا الشمول جعل القارئ يفهم أن الحضارة شبكة متداخلة، وأن أي خلل في جانب ينعكس على الكل(الذهبي، 2004، 1: 11).

كما تميز بمنهج نقدي صارم لم تعرفه أمم أخرى. ظهر الجرح والتعديل وعلم الرجال كمنهج نقدي(ابن الصلاح، 1995، 88)، يقول الشافعي: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء(مسلم، 1991، 15)، فصار التاريخ الإسلامي أكثر تواريخ العالم دقة في التوثيق، لم يكن المؤرخ ينقل كل ما يسمع، بل كان يمحص ويقارن ويحكم، وهذا أعطى التاريخ الإسلامي مصداقية جعلته مرجعاً حتى للمستشرقين(صالح،2019،38).

وكان الهدف الأساس هو العبرة لا المعلومة، قال تعالى في سورة يوسف{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ111}، فكل حدث هو درس، سقوط بغداد درس في التفرق، وفتح القسطنطينية درس في التخطيط، ومعركة اليرموك درس في الإيمان، لذلك كان التاريخ وسيلة لصناعة الفكر(صالح،2016،58).

اعتمد في بناء الفكر على آلية الاستقراء: استخلاص سنن ك "العدل أساس الملك" من تجربة عمر بن عبد العزيز(ابن الجوزي، 2005، 55)، ومنها قاعدة "ما ضاع حق وراءه مطالب" استخلصت من صمود الشعوب، وعلى آلية النمذجة: تقديم شخصيات ك صلاح الدين والخوارزمي كنماذج يحتذى بها(أمين، 2006، 2: 99).

فالشاب لا يقرأ عن "الزهد" نظرياً، بل يراه في سيرة عمر بن عبد العزيز، وعلى آلية الربط: ربط الحاضر بالماضي، فمعركة اليوم هي امتداد لمعركة الأمس، وهذا يمنع الشعور بالاغتراب ويعطي استمرارية للفكر، فالمسلم لا يشعر أنه بدأ من الصفر، بل هو حلقة في سلسلة طويلة(السرجاني، 2012، 1: 44).

المطلب الثاني: مفهوم الخطاب البلاغي الإسلامي وأدواته التأثيرية

ان الخطاب البلاغي الإسلامي هو القول المؤثر المبني على الحجة والبيان الذي يخاطب العقل والقلب معاً لتحقيق غاية تربوية، اذ لم يكن الخطاب الإسلامي خطاب ترف فكري، بل كان خطاب هداية وبناء، ومصدره الأول القرآن(الأنصاري، 2007، 33): قال تعالى في سورة النحل{ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ125)، والثاني السنة: "أوتيت جوامع الكلم"(البخاري، 2002، 32)، وقد تميز الخطاب الإسلامي بأنه لم يكن خطاب نخبة، بل خطاب أمة، يخاطب الفلاح في حقله والعالم في مدرسته بنفس القوة، وهذا يعود إلى أن مصدره واحد وهو الوحي الذي نزل بلسان عربي مبين.

لقد اتسم الخطاب بالصدق والموضوعية فلا يبالغ ولا يكذب، "نحن نقص عليك أحسن القصص"(الطبري، 2001، 12: 22)، حتى في ذكر هزيمة أحد ذكرها القرآن بصدق لاستخلاص العبرة، لم يزيف التاريخ ولم يتجاهل الأخطاء، وهذا الصدق هو الذي كسب قلوب الناس، وكان وظيفياً فالبلاغة وسيلة لا غاية، هدفها الهداية والتزكية، فلم تكن الفصاحة للمفاخرة، بل لكسب القلوب وتصحيح المسار، يقول الجاحظ: البيان هو أن يكون كلامك مطابقاً لمقتضى الحال (الجاحظ، 2012، 1: 88).

وقد كان شاملاً يخاطب العامي والعالم، الفرد والأمة، آية واحدة قد يفهمها الطفل وتفهمها الأمة كلها على مستويات. كما أنه يربط بين الدنيا والآخرة، لا يفصل بين المصلحة والعبادة. فالخطاب يذكر بالجنة والنار ليحرك الدافع الأعظم في النفس البشرية(حبنكة، 2008، 66).

اعتمد الخطاب الإسلامي على أدوات تأثيرية متعددة، القصة كانت في المقدمة فثلث القرآن قصص(قطب، 2003، 77)، لها أثر في التثبيت: قال تعالى في سورة هود{وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ120}، و القصة تثبت الفؤاد وقت الأزمة أكثر من 100 أمر، لأن العقل يحفظ الصورة أسرع من القاعدة، والموعظة والجدل كانا حاضرين(الطبري، 2001، 15: 200.): قال تعالى في سورة النحل{وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ125}، أسلوب يقوم على احترام العقل وعدم الإقصاء(ابن عاشور، 1997، 14: 300)، كما استخدم الصور البيانية: التشبيه والاستعارة. مثل: "المؤمن كالنحلة" (أحمد، 2001، 2: 199).

والصورة تثبت في الذهن أسرع من التعريف، والإيقاع والتكرار كانا وسيلة لتثبيت المعنى في النفس(عبد الرحمن، 1992، 88)، ان تكرار "فبأي آلاء ربكما تكذبان" يهز الوجدان، وضرب المثل: قال تعالى في سورة النحل {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا112}، ان المثل يقرب المعنى المجرد إلى الحس، فبدل أن يقول "الكفر يهلك" ضرب مثل "القرية التي كفرت بأنعم الله"(الطبري، 2001، 17: 113)، كل هذه الأدوات جعلت الخطاب الإسلامي قادراً على اختراق النفس وتغيير القناعات وبناء السلوك.

المطلب الثالث: مدخل إلى علم النفس التاريخي وعلاقة السرد بالبنية النفسية

علم النفس التاريخي هو فرع يدرس كيف يؤثر سرد الماضي على بناء شخصية الفرد والجماعة، اذ يقوم على فكرة أن الإنسان "كائن قصصي" يفهم ذاته من خلال القص(حجازي، 2012،)، وقد أثبتت الدراسات أن الأفراد الذين لديهم "سرد عائلي متماسك" يكونون أكثر صحة نفسية(شريف، 2019، 44)، فما بالك بسرد أمة كاملة؟

السرد التاريخي يؤثر في النفس عبر عدة آليات. يبني الهوية فالهوية سؤال "من أنا؟" والجواب يأتي من التاريخ، قصة الأنصار صنعت هوية الإيثار، و بدون تاريخ نصبح بلا جذور، بلا امتداد، بلا معنى، و الشاب الذي لا يعرف تاريخه يسهل اقتلاعه، ويعمل عبر النمذجة فالعقل يتعلم بالقدوة(الحبيب، 2016، 33)، و قصة بلال في الصبر، تصنع مرونة نفسية، فالطفل عندما يسمع عن سُمية يتعلم معنى الثبات، وعندما يسمع عن خالد يتعلم معنى القيادة، اذ ان النموذج التاريخي يختصر على الإنسان سنوات من التجربة(ابن هشام، 1990، 1: 317).

وله دور في إعادة المعنى في الأزمات، نرى من خلال استذكار غزوة الخندق تعطينا معنى للابتلاء ويقلل الشعور بالعشوائية(عكاشة، 2008، 234).

وهذا ابتلاء وتمحيص كما حدث من قبل، فلا يشعر باليأس، كما يحدث تنفيس وتطهير، ان سرد المآسي التاريخية يحدث تطهيراً للخوف والقلق، وعندما تبكي على الحسين تخرج شحنة الحزن، وعندما تفرح بفتح القسطنطينية ترتفع المعنويات، وبناء المرونة يأتي من معرفة أن الأمة مرت بأصعب من هذا ونهضت(إبراهيم، 2010، 66).

ان البنية النفسية تقوم على: الإدراك، و الوجدان، والسلوك(العودة، 2011، 22)، فالسرد التاريخي البلاغي يؤثر في الثلاثة، في الإدراك يصحح المفاهيم، اذ يغير نظرة الضعف إلى "مرحلة، وفي الوجدان يحرك الحب والفخر والانتماء، اما سماع قصة الفتوحات فيولد عزة، وفي السلوك يحول العبرة إلى عمل، كما فعل عمر نفعل(ابن الجوزي، 2005، 88)، لذلك كان التاريخ والخطاب البلاغي علاجاً نفسياً قبل أن يكونا علماً، كانا يرممان الشروخ النفسية ويعيدان بناء الثقة.

المبحث الثاني: دور التاريخ الإسلامي والخطاب البلاغي في تشكيل الفكر

المطلب الأول: دور التاريخ في تشكيل الفكر السياسي والاجتماعي والعلمي

لم يكن التاريخ الإسلامي سجل أحداث فقط، بل كان مصنعاً للفكر ومحركاً للاجتهاد، فالتاريخ عند المسلمين كان هو الذاكرة التي تستند إليها الأمة في كل قرار مصيري.

لقد شكل التاريخ وعي المسلمين بالحكم والشورى والعدل، ففي قصة سقيفة بني ساعد وقصة عمر مع أبي بكر، علمت الأمة معنى "اختيار الحاكم" و "بيعة الأمة" وأن السلطة ليست إرثاً، كما أن سقوط بغدادعلى يد التتار شكل فكراً سياسياً عن "خطر التفرق" و "أهمية الجبهة الداخلية"(ابن هشام، 1990، 4: 245)، واستخلص ابن خلدون من التاريخ نظرية "العصبية والدولة"(ابن خلدون، 2001، 156).

فأصبح السياسي المسلم يقرأ الواقع بعين التاريخ، فيربط بين فساد الحكام وسقوط الدول، وبين العدل وبقاء الملك، ولم يتوقف الأمر عند السياسة، بل امتد ليشكل وعياً بأن السلطة أمانة ومسؤولية لا تشريف، فتاريخ عمر بن عبد العزيز صنع فكرة الزهد في الحكم وتاريخ معاوية صنع فكرة السياسة الشرعية، وبذلك صار للتاريخ دور تشريعي غير مباشر في الفكر السياسي(المقري، 1997، 55).

اما على المستوى الاجتماعي أعطى التاريخ المجتمع الإسلامي نماذجه في التكافل، ولقد اسست قصة الأنصار والمهاجرين لفكر التكافل الاجتماعي لا لصراع الطبقي(الطبري، 2001، 3: 88)، وقصة عمر في عام الرمادة شكلت فكراً عن مسؤولية الحاكم عن الرعية (ابن كثير، 2003، 7: 112)، كما أن سير العلماء شكلت فكرة الوقف و المدرسة و البيمارستان، كمؤسسات

اجتماعية، فالمجتمع قرأ تاريخه ففهم أن قوته في الترابط لا في الفردية، وأن النهضة لا تقوم إلا على شبكة من العلاقات الأخلاقية، فتاريخ الأندلس علمنا أن التعايش ممكن، وتاريخ الحروب الصليبية علمتنا أن الوحدة هي الحصن(ابن الأثير، 2003، 10: 401).

وفي الجانب العلمي قامت حضارة الإسلام على قراءة تاريخ الأمم السابقة، و المسلمون ترجموا كتب اليونان والفرس والهنود، لا تعصباً لها بل استكمالاً لها، اما قصة بيت الحكمة، فقد شكلت فكراً أن العلم فريضة وأن الحكمة ضالة المؤمن(الذهبي، 2004، 5: 99) ونرى ان ابن الهيثم قرأ تاريخ علم البصريات فطوره(ابن الهيثم، 1983، 15) ، اما الزهراوي فقد قرأ تاريخ الجراحة فأبدع فيها(الزهراوي، 22،1996)، والخوارزمي بنى على علم الهندسة فأسس الجبر(الخوارزمي، 1988، 11) ، فالتاريخ هنا كان سلماً للصعود لا قبراً للتقليد، وكان دافعاً لصناعة المعرفة لا الاكتفاء بنقلها، هذا هو الفرق بين أمة تقرأ التاريخ لتتعلم وأمة تقرأه لتبكي.

المطلب الثاني: أثر الخطاب البلاغي القرآني والنبوي في صياغة العقل المسلم

ان العقل المسلم لم يتشكل في فراغ، بل تشكل في محراب الخطاب البلاغي للوحي، فالخطاب هو الذي صاغ طريقة التفكير وآليات الاستدلال ومعايير الحكم.

فالقرآن خاطب العقل بأدوات: الحجة، والبرهان، وضرب المثل، والاستفهام الإنكاري، قال تعالى في سورة محمد{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ24}، أمر مباشر بتشغيل العقل، كما أن أسلوب القص القرآني صنع عقلاً اعتبارياً، لم يقل لا تظلم فقط، بل قص قصة فرعون(الطبري، 2001، 16: 88)، فصار العقل يفكر بالعبرة لا بالأمر المجرد، والإيقاع القرآني والتكرار صنع عقلاً يقينياً، ان تكرار قصص الأنبياء زرع في النفس أن النصر مع الصبر، وانه قانون ثابت لا يتغير بتغير الأزمان، والقرآن صنع أيضاً عقلاً توحيدياً يرد كل شيء إلى الله، فلا يرى السبب منفصلاً عن المسبب.

أما السنة النبوية فقد كان النبي ﷺ يستخدم جوامع الكلم(البخاري، 2002، 48)، وان كلمة واحدة تبني مفهوماً كاملاً: فنجد قاعدة(لا ضرر ولا ضرار)(ابن ماجه، 1998، 123) قد بنت فقهاً كاملاً، كما استخدم التشبيه: كما في الحديث الشريف(لمؤمنون كالجسد الواحد)(البخاري، 2002، 218) قد صاغ عقلاً جمعياً يفكر بمنطق "نحن" لا "أنا"، وان استخدام القصة: (كقصة أصحاب الغار) قد صاغت عقلاً يربط بين العمل الصالح و الفرج، وكان الخطاب النبوي يراعي المقام

والحال، فيخاطب كل أحد بما يفهم ويؤثر فيه كما مع الأعرابي بالرفق، ومع الصحابي بالتكليف، ومع المنافق بالحجة.

ولقد كانت نتيجة هذا التفاعل بين القرآن والسنة عقل له سمات بارزة، عقل نقدي يسأل دائماً ما العبرة؟ ولا يقبل التسليم الأعمى وعقل أخلاقي يربط بين المعلومة والقيمة، فلا يفصل بين العلم والعمل، وعقل تفاؤلي يرى في كل أزمة ابتلاء وتمكين كما في قصة يوسف، فيحول المحنة إلى منحة هذا العقل هو الذي بنى الحضارة، لأنه عقل لا يستسلم ولا ييأس(قطب، 2004، 201).

المطلب الثالث: التاريخ والخطاب كأدوات للتربية وبناء الهوية الجمعية

ان الهوية لا تبنى بالشعارات، بل تبنى بالسرد، والسرد الإسلامي كان هو الأداة الأقوى في التربية، ولقد كان السلف يربون أبناءهم بالتاريخ، قال الزهري: كنا نُعلَّم مغازي النبي ﷺ كما نُعلَّم السورة من القرآن(البيهقي، 2003، 3: 121).

ان السبب أن التاريخ يقدم قدوة حية، فالطفل لا يفهم الشجاعة نظرية، لكنه يفهمها عندما يسمع عن علي في خيبر، كما أن التاريخ يعالج مشاكل التربية: العناد يعالج بقصة إبراهيم مع أبيه، والكذب يعالج بقصة حاطب، والأمانة بقصة أبي ذر(ابن سعد، 1990، 4: 166)، فهو منهج تربوي عملي يحول القيمة إلى موقف، و المدرسة التي تدرس التاريخ الإسلامي سردياً تخرج جيلاً مختلفاً عن المدرسة التي تدرسه تواريخ وأرقام.

والخطاب البلاغي كان هو الأداة الأهم في بناء الهوية الجمعية، الهوية سؤال: "من نحن؟"، والجواب يعطيه الخطاب، و القرآن أجاب في سورة ال عمران{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ110}، فبنى هوية الخيرية القائمة على الأمر بالمعروف، و الخطاب النبوي في حجة الوداع: "كلكم لآدم" (أحمد، 2001، 5: 411)هدم هوية القبيلة وبنى هوية الأخوة، فالخطاب البلاغي يحول مجموعة أفراد إلى أمة لها غاية ورسالة، اذ بدون هذا الخطاب تصبح الأمة قبائل متناحرة.

وفي واقعنا اليوم تواجه الأمة غزو سرديات، سردية الغرب تقول: تاريخكم تخلف، وسردية الإعلام تقول: دينكم إرهاب، والعلاج هو إعادة إنتاج سرديتنا: تاريخنا ليس عاراً، بل هو مشروع نهضة(السرجاني، 2012، 1: 11).

وعندما يقرأ الشباب عن ابن سينا والبيروني تتغير هويتهم من مستهلك إلى صانع حضارة، ومن هنا كانت الحاجة لإحياء الخطاب التاريخي البلاغي في المدارس والإعلام والمساجد، فالمعركة اليوم معركة سرد قبل أن تكون معركة سلاح(المسيري، 2003، 166).

المبحث الثالث: الانعكاسات النفسية وسبل التوظيف المعاصر

المطلب الأول: الانعكاسات النفسية للتاريخ والخطاب: الهوية والانتماء والمرونة

للتاريخ والخطاب البلاغي أثر مباشر وعميق على البنية النفسية للفرد والجماعة، و هذا ما أكده علم النفس الحديث تحت مسمى علم النفس التاريخي او علم النفس السردي.

يظهر الأثر الأول في بناء الهوية: اذ يرى إريك إريكسون أن الهوية تتشكل عبر سرد ذاتي متماسك يربط الماضي بالحاضر(إريكسون، 2005، 88).

والتاريخ يمنح هذه الاستمرارية، عندما يعرف الشاب أنه امتداد لحضارة صنعتها شخصيات مثل عمر وخالد وابن سينا، فإنه لا يشعر بالدونية، ففي قصة الأنصار في الإيثار، انها قد صنعت هوية العطاء، وقصة المهاجرين صنعت هوية الفداء(ابن هشام، 1990، 2: 210)، فالخطاب القرآني عزز ذلك ب قوله تعالى في سورة البقرة{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا143}، فبنى هوية الوسطية، اذ يؤكد مصطفى حجازي أن الإنسان المهدور هو من قُطعت صلته بتاريخه فأصبح بلا مرجعية(حجازي، 2012، 55).

والأثر الثاني هو تعزيز الانتماء: ان الانتماء حاجة نفسية أساسية في هرم ماسلو (ماسلو، 2003، 99)، والخطاب البلاغي يحققها عبر ضمير نحن، كما في الحديث الشريف (المؤمنون كالجسد الواحد)(البخاري ، 2002، 320).

والتاريخ يحققها عبر نحن فعلنا، كفتح الأندلس، وقصة صلاح الدين، كلها أحداث تخلق شعور نحن أمة واحدة، وتشير دراسات أحمد عكاشة إلى أن ضعف الانتماء الجمعي هو أحد أسباب القلق والاكتئاب في العالم العربي(عكاشة، 2008، 234).

والأثر الثالث هو بناء المرونة النفسية: المرونة هي "Resilience" وتعني القدرة على النهوض بعد الصدمة(داكورث، 2017، 33)، نجد ان السرد التاريخي هو أفضل وسيلة لذلك، ففي قصة يوسف من البئر إلى الملك، تعطي أملاً، اما قصة الخندق فانها تعطي صبراً(ابن كثير، 2003،

4: 78)، وتقول عالمة النفس أنجيلا داكورث أن "الصمود Grit" يتغذى على قصص من سبقونا وتجاوزوا المحن(داكورث، 2017، 77).

المطلب الثاني: دور النماذج التاريخية في العلاج النفسي وبناء القدوات*

اكتشف العلاج النفسي الحديث بعدما كان المسلمون يمارسونه منذ قرون: فالعلاج بالسرد والقدوة، أطلق عليه ألبرت باندورا اسم التعلم بالنمذجة(باندورا، 2010، 77).

تعمل النماذج التاريخية ك "مرايا نفسية"، والمريض الذي يعاني من الظلم يجد في قصة يوسف نموذجاً للصبر، ومن يعاني من الفقر يجد في قصة أبي ذر نموذجاً للزهد، ومن يعاني من الخوف يجد في قصة خالد نموذجاً للشجاعة(ابن سعد، 1990، 4: 166)، ويقول دان ماك آدمز أن الصحة النفسية ترتبط بوجود "سرد فداء" في حياة الإنسان، أي قصة تحول المعاناة إلى معنى(آدمز، 2018، 44).

وقد استخدم السلف هذا الأسلوب بوعي، كانوا يقصون على المحزون قصة أيوب، وعلى المظلوم قصة موسى، وعلى المبتلى قصة بلال(ابن الجوزي، 1999، 1: 88)، و النتيجة ليست موعظة فقط بل إعادة تأطير للمشكلة، وهذا ما تفعله اليوم "المعالجة المعرفية السلوكية CBT" عند آرون بيك: تغيير طريقة تفسير الحدث(بيك، 2011، 55).

بناء القدوات يحتاج إلى شروط عدة: منها الواقعية، ومنها الشمول، والاستمرارية، ويؤكد عبد الستار إبراهيم أن القدوة الدينية لها أثر علاجي مضاعف لأنها تجمع بين "النموذج السلوكي" و "الدعم الروحي"(إبراهيم، 2019، 88)، وهذا يفسر لماذا كانت سير الصحابة هي الكتاب الثاني بعد القرآن في تربية الأجيال.

اذن نحتاج اليوم لإعادة تقديم هذه النماذج بلغة الشباب، كمسلسل عن صلاح الدين، او بودكاست عن الخوارزمي، فالجيل لا يرفض القدوة، بل يرفض طريقة العرض المتحفية.

المطلب الثالث: دور التاريخ والخطاب البلاغي في معالجة الأزمات النفسية المعاصرة

تشهد المجتمعات الإسلامية اليوم أزمات نفسية متعددة: منها القلق، والاغتراب، وفقدان المعنى، وضعف الانتماء(عكاشة، 2008، 234).

ويؤكد فيكتور فرانكل مؤس "العلاج بالمعنى Logotherapy" أن أكبر أزمة في العصر هي "الفراغ الوجودي"(فرانكل، 2013، 66)، وكان للتاريخ والخطاب البلاغي دور علاجي أصيل في ملء هذا الفراغ.

يتمثل الدور الأول في العلاج بالسرد التاريخي، وهو فرع من "العلاج بالسرد Narrative Therapy" عند مايكل وايت وديفيد إبستون(وايت، 2015، 22).

ان العقل البشري يفهم معاناته من خلال القص فعندما يمر الشاب بأزمة فشل، كقصة يوسف من البئر إلى الملك تعطيه أملاً، وعندما يمر بظلم، كقصة صبر بلال، تعطيه نموذج ثبات، اذن فالمشكلة لا تحل بالأوامر، بل بإعادة تأطيرها في سرد أكبر(الطبري، 2001، 13: 60).

ويتمثل الدور الثاني في "الخطاب البلاغي كأداة للتنظيم الانفعالي"، فالقرآن الكريم استخدم التكرار "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"، وضرب المثل والتصوير، وتشير دراسات في علم النفس العصبي إلى أن سماع النصوص الإيقاعية يقلل الكورتيزول ويزيد الأوكسيتوسين، وهذا ما يفسر الأثر المهدئ للقرآن(الأنصاري، 2007، 155).

أما آليات التطبيق المعاصر فهي:

1. العيادات النفسية: إدخال جلسات سرد تاريخي ضمن العلاج المعرفي السلوكي، اذ يطلب من المريض أن يختار شخصية تاريخية ويكتب كيف ستواجه مشكلته(إبراهيم، 2019، 77).

2. المدارس: تعالج حصص علم النفس التاريخي التنمر والاغتراب بقصص من السيرة(عكاشة، 2008، 300).

3. الإعلام: إنتاج محتوى يربط بين المشكلة النفسية ونموذج تاريخي، يشعرك بالوحدة؟ كسماع قصة الغار (إبراهيم، 2010، 44).

وبهذا ينتقل التاريخ والخطاب من الوعظ إلى التدخل النفسي الفعّال، كما أوصى بذلك كل من أحمد عكاشة وعبد الستار إبراهيم في كتاباتهم عن الطب النفسي الإسلامي.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة لابد أن نقف وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل اليه من نتائج فنقول:

1. تبين أن التاريخ الإسلامي لم يكن مجرد تسجيل للأحداث الماضية، وإنما كان منهجاً متكاملاً لبناء وعي الأمة وفكرها، بما يتميز به من ربانية وموضوعية وشمولية جعلته قادراً على معالجة قضايا الحاضر واستشراف المستقبل.

2. اتضح أن الخطاب البلاغي القرآني والنبوي يمتلك قوة تأثير مزدوجة، فهو يخاطب العقل بالحجة والبرهان، ويخاطب الوجدان بالقص والمثل والتصوير، مما جعله الوسيلة الأهم في التربية والتزكية وبناء القناعات الراسخة.

3. ظهر التكامل الواضح بين التاريخ والخطاب، فالتاريخ يمدنا بالنماذج والمواقف الحية، والخطاب يمدنا بالأدوات البلاغية لإيصالها والتأثير بها، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر في عملية تشكيل الفكر وبناء الشخصية.

4. أكدت الدراسة أن السرد التاريخي والخطاب البلاغي هما الركيزة الأساسية في بناء الهوية الجمعية وترسيخ الانتماء، وهما العلاج الأهم لظاهرة الاغتراب وضعف الانتماء التي يعاني منها الشباب في العصر الحديث.

5. أثبت البحث أن عرض النماذج التاريخية يعمل وفق مبدأ "التعلم بالنمذجة" في علم النفس الحديث، حيث يمنح الفرد نماذج جاهزة للاقتداء، ويرفع مستوى المرونة النفسية، ويسهم بفاعلية في ما يعرف اليوم ب "العلاج بالسرد".

6. توصلت الدراسة إلى أن أزمات العصر المعاصرة مثل القلق وفقدان المعنى والفراغ الوجودي يمكن معالجتها من خلال إعادة تفعيل القص القرآني والتاريخي، وهو ما يتطابق مع ما توصل إليه علم النفس في "العلاج بالمعنى" و "العلاج بالسرد".

7. تبين أن المشكلة لا تكمن في محتوى التاريخ والخطاب، وإنما في طريقة عرضهما، لذا هناك حاجة ماسة إلى تجديد أدوات العرض وإعادة إنتاجهما بلغة الشباب عبر المنصات الرقمية والإعلام والدراما الهادفة.

8. أوصى البحث بضرورة إدخال "علم النفس التاريخي" ضمن المناهج التربوية في المدارس والجامعات، وإدخال "جلسات السرد التاريخي" ضمن البروتوكولات العلاجية في العيادات النفسية كجزء من العلاج المعرفي السلوكي.

9. ظهر أن الخطاب البلاغي الراشد يمثل "قوة ناعمة" للأمة في مواجهة الحروب الفكرية والإعلامية، وهو الأداة الأهم لبناء مناعة فكرية ونفسية تحمي الفرد والمجتمع من السرديات الدخيلة.

10. خلص البحث إلى الحاجة الماسة لفتح مجال الدراسات البينية التي تربط بين علوم الشريعة وعلم النفس والإعلام، بهدف الاستفادة من الكنز التراثي الإسلامي في تقديم حلول عملية لمشكلات الإنسان المعاصر.

المصادر

القرآن الكريم

1. إبراهيم، عبد الستار. الدين والصحة النفسية. القاهرة: دار الفكر، 2019.
2. إبراهيم، عبد الستار. العلاج بالسرد. القاهرة: دار قباء، 2010.
3. ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.
4. ابن الجوزي، عبد الرحمن. سيرة عمر بن الخطاب. القاهرة: دار الحديث، 2005.
5. ابن الجوزي، عبد الرحمن. سيرة عمر بن عبد العزيز. القاهرة: دار الحديث، 2005.
6. ابن الجوزي، عبد الرحمن. صفة الصفوة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1999.
7. ابن الصلاح، عثمان. علوم الحديث. بيروت: دار الفكر، 1995.
8. ابن الهيثم، الحسن. المناظر. الكويت: المجلس الوطني، 1983.
9. ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة. بيروت: دار الفكر، 2001.
10. ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، 1990.
11. ابن سينا، الحسين. القانون في الطب. بيروت: دار الكتب العلمية، 1999.
12. ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية، 1997.
13. ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية. القاهرة: دار هجر، 2003.
14. ابن ماجه، محمد. سنن ابن ماجه. بيروت: دار الفكر، 1998.
15. ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية. بيروت: دار الجيل، 1990.
16. أحمد، أحمد بن حنبل. المسند. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001.

17. إريكسون، إريك. الهوية: الشباب والأزمة. ترجمة: إحسان محمد. القاهرة: دار المعارف، 2005.
18. أمين، أحمد. ظهر الإسلام. القاهرة: دار الكتاب العربي، 2006.
19. الأنصاري، فريد. البلاغ القرآني وآفاقه النفسية. القاهرة: دار السلام، 2007.
20. باندورا، ألبرت. التعلم الاجتماعي. ترجمة: أحمد زكي. القاهرة: دار الفكر، 2010.
21. البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. بيروت: دار ابن كثير، 2002.
22. البيروني، محمد. الآثار الباقية. بيروت: دار صادر، 1995.
23. بيك، آرون. العلاج المعرفي للاكتئاب. ترجمة: محمد الدسوقي. القاهرة: دار الفكر، 2011.
24. البيهقي، أحمد. شعب الإيمان. الرياض: مكتبة الرشد، 2003.
25. الجاحظ، عمرو. البيان والتبيين. بيروت: دار الفكر، 2012.
26. حبنكة، عبد الرحمن. البلاغة القرآنية في بناء المجتمع. دمشق: دار القلم، 2008.
27. حجازي، مصطفى. الإنسان المهدور. بيروت: المركز الثقافي العربي، 2012.
28. الخوارزمي، محمد. كتاب الجبر والمقابلة. القاهرة: دار الكتب، 1988.
29. داكورث، أنجيلا. الصمود: قوة العاطفة والمثابرة. ترجمة: أحمد السيد. القاهرة: دار الشروق، 2017.
30. الذهبي، محمد. تاريخ الإسلام. بيروت: دار الكتب العلمية، 2004.
31. الزهراوي، أبو القاسم. التصريف لمن عجز عن التأليف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996.
32. السرجاني، راغب. قصة الإسلام. القاهرة: مؤسسة اقرأ، 2012.
33. شريف، نادية. علم النفس التربوي الإسلامي. القاهرة: دار الفكر، 2019.
34. صالح، عمار باسم. النظم الاسلامية. بغداد: شمس الاندلس،2016.
35. صالح، عمار باسم. الاستشراق. بغداد: شمس الاندلس،2019.
36. الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. القاهرة: دار هجر، 2001.
37. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. القاهرة: دار هجر، 2001.
38. عبد الرحمن، عائشة. الإعجاز البياني للقرآن. القاهرة: دار المعارف، 1992.
39. العسيلان، عبد الله. التاريخ الإسلامي: خصائصه ومصادره. الرياض: دار السلام، 2018.
40. عكاشة، أحمد. الطب النفسي العربي. القاهرة: مكتبة الشروق، 2008.
41. العمري، أكرم ضياء. منهج البحث التاريخي الإسلامي. الرياض: مكتبة العبيكان، 2015.
42. فرانكل، فيكتور. الإنسان يبحث عن معنى. ترجمة: صالح علماني. بيروت: دار الطليعة، 2013.
43. القطب، سيد. التصوير الفني في القرآن. القاهرة: دار الشروق، 2003.
44. القطب، سيد. في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق، 2004.
45. القطب، محمد. منهج التربية الإسلامية. القاهرة: دار الشروق، 2003.
46. ماسلو، أبراهام. الدافع والشخصية. ترجمة: عبد المنعم المليجي. القاهرة: مكتبة النهضة، 2003.
47. ماك آدمز، دان. قصة حياتك. ترجمة: محمد بركات. القاهرة: دار الشروق، 2018.

48. المسيري، عبد الوهاب. الإسلام والغرب. القاهرة: دار الفكر، 2003.
49. المقري، أحمد. نفح الطيب. بيروت: دار صادر، 1997.
50. وايت، مايكل. العلاج بالسرد. ترجمة: سعاد إبراهيم. القاهرة: دار قباء، 2015.

الفصل الثامن

الزخارف الجصية في المباني الأثرية الإسلامية

م.م. رغد كريم علي
جامعة سامراء - العراق

الملخص

يتناول هذا الفصل الزخارف الجصية في المباني الأثرية الإسلامية بوصفها عنصرًا فنيًا ومعماريًا يعكس خصائص المادة وتقنيات العمل وتطور الذائقة الجمالية. ويعرض مفهوم الزخرفة الجصية وأصولها ومراحل تطورها، وصلتها بالتقاليد الفنية السابقة وبخصوصية التكوين الزخرفي في العمارة الإسلامية. ويناقش أنواع المفردات النباتية والهندسية والكتابية وأساليب تركيبها، وما تقوم عليه من تكرار وتناظر وإيقاع وتجريد. كما يتناول مواد التنفيذ وتقنياته، من إعداد الجص إلى النحت والقولبة والمعالجة، مع بيان أثر قابلية المادة للتشكيل في إنتاج التفاصيل والدرجات المختلفة للبروز والعمق. ويبحث الفصل مواقع الزخرفة داخل المبنى، وعلاقتها بالجدران والقباب والكوات والواجهات ووظائفها الجمالية والمعمارية. وتستند المعالجة إلى المراجع والأمثلة التي يعرضها المتن، وتربط وصف العناصر الفنية بفهم سياقها الحضاري وقيمتها بوصفها شواهد مادية. ويبرز العرض اختلاف البيئات والحقب في استخدام الجص وتطوير وحداته الزخرفية، دون فصل الزخرفة عن تكوين المبنى ومساحته ووظيفته. وتكمن أهمية الفصل في النظر إلى هذه العناصر باعتبارها وثائق على المهارة والتقنية والتفاعل الثقافي، لا مجرد إضافات تزيينية. ويؤكد الفصل ضرورة المحافظة عليها وصيانتها مع احترام مادتها وخصائصها التاريخية والفنية. وبذلك يقدم قراءة تجمع بين المفهوم والنشأة والأنواع والتقنيات، وتوضح إسهام الزخارف الجصية في الهوية الجمالية للعمارة الإسلامية وفي القيمة الثقافية والتراثية للمباني الأثرية. ويساعد تتبع المادة في مراحل إعدادها وتنفيذها على فهم العلاقة بين مهارة الصانع والنتيجة البصرية، كما يوضح أثر اختيار الوحدات الزخرفية وتوزيعها في التكوين العام. وتظل قراءة العنصر في موضعه الأصلي ضرورية لتفسير وظيفته وقيمته ضمن المبنى الأثري.

الكلمات المفتاحية: الزخارف الجصية؛ العمارة الإسلامية؛ الآثار؛ التقنيات؛ التراث

Abstract

This chapter examines stucco ornament in Islamic historic buildings as an artistic and architectural element shaped by material properties, craft techniques, and aesthetic development. It introduces the concept and historical origins of stucco decoration and considers its relationship to earlier artistic traditions and to distinctive forms of Islamic architectural ornament. Vegetal, geometric, and calligraphic elements are discussed alongside composition, repetition, symmetry, rhythm, and abstraction. The chapter also reviews materials and techniques, including preparation, carving, molding, and surface treatment, explaining how the workability of stucco supports detailed forms and different levels of relief. Attention is given to the placement of decoration on walls, domes, niches, openings, and façades and to its relationship with the building's spatial and functional organization. Drawing on the examples and references in the supplied text, the discussion connects formal description with the cultural significance of architectural remains. Differences among periods and regions are considered without separating ornament from the structure and use of the building. The chapter treats stucco elements as material evidence of technical skill and cultural interaction rather than as purely decorative additions. It also emphasizes the need for conservation that respects their material, historical, and artistic characteristics. Its contribution is to bring origins, forms, techniques,

and architectural functions into an integrated account of the role of stucco ornament in Islamic architectural identity and heritage value.

Keywords: Stucco ornament; Islamic architecture; Archaeology; Techniques; Heritage

مقدمة:

تعد الزخارف الجصية من العناصر الفنية والمعمارية المهمة التي اسهمت في تشكيل الهوية الجمالية للعمارة الاسلامية وعكست مستوى التطور الفني والتقني الذي بلغته الحضارة الاسلامية عبر مراحلها التاريخية المختلفة فقد استطاع الفنان المسلم توظيف مادة الجص بطريقة تجمع بين القيم الجمالية والوظائف المعمارية وتحويلها من مادة انشائية بسيطة الى وسيلة فنية للتعبير عن القيم الدينية والثقافية والحضارية التي ميزت الفنون الاسلامية

وقد ارتبط استخدام الزخارف الجصية بتطور العمارة الاسلامية وتنوع مبانيها اذ ظهرت في المساجد والمدارس والقصور والخانات والاضرحة وغيرها من المنشات الاثرية وشغلت مواقع متعددة على الجدران والقباب والكوات والنوافذ والواجهات وقد ساعدت خصائص الجص المتمثلة بسهولة تشكيله وقابليته للنحت والتشكيل وتنوع اساليب معالجته على ابتكار تكوينات زخرفية متعددة اسهمت في تحقيق التنوع والايقاع والتوازن والانسجام في التكوين المعماري

وتتميز الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية بتنوع كبير في مفرداتها واساليبها التنفيذية اذ شملت الزخارف النباتية والهندسية والكتابية وغيرها من التكوينات التجريدية التي ارتبطت بالذوق الفني والخصوصية الثقافية لكل عصر وبيئة كما تأثرت في مراحلها الاولى ببعض التقاليد الفنية السابقة في مناطق الشرق الادنى ثم تطورت تدريجيا لتكتسب خصائص فنية مميزة وتصبح عنصرا بارزا من عناصر الفنون الاسلامية وقد اسهم اختلاف البيئات الجغرافية وتنوع المواد المحلية والمدارس الفنية في ظهور اساليب متعددة في تنفيذها ومعالجتها مع بقاء مجموعة من المبادئ الجمالية المشتركة التي تقوم على التوازن والتناسق والتكرار والايقاع والتجريد

وتكمن اهمية دراسة الزخارف الجصية في المباني الاثرية الاسلامية في كونها لا تمثل مجرد عناصر تزيينية وانما تعد وثائق مادية وفنية تكشف عن جوانب مهمة من تاريخ العمارة والفنون

الاسلامية ومستوى التطور في تقنيات التنفيذ والمعالجة كما تسهم في التعرف على الخصائص الفنية والجمالية للمباني الاثرية وفهم العلاقة بين الزخرفة والتكوين المعماري فضلا عن دورها في تعزيز القيمة الحضارية والثقافية للمواقع التراثية

ومن هذا المنطلق يتناول هذا المبحث الزخارف الجصية في المباني الاثرية الاسلامية من خلال دراسة مفهومها ونشاتها ومراحل تطورها وخصائصها الفنية والجمالية وانواعها واهم المواد والتقنيات المستخدمة في تنفيذها مع التوقف عند ابرز نماذجها وتطبيقاتها في العمارة الاسلامية وذلك بهدف الكشف عن قيمتها الفنية والمعمارية والحضارية وبيان اهمية المحافظة عليها وصيانتها بوصفها جزءا اساسيا من التراث العمراني والفني الاسلامي

اولا مفهوم الزخارف الجصية ونشاتها وتطورها في العمارة الاسلامية

1- مفهوم الزخارف الجصية

يقصد بالزخارف الجصية مجموعة العناصر والتكوينات الفنية التي تنفذ باستخدام الجص بعد تحضيره ومعالجته بما يتناسب مع طبيعة الاستخدام ثم تشكيله بوسائل وتقنيات فنية متعددة من بينها النحت والنقش والقولبة والاضافة والتركيب وذلك بهدف تزيين العناصر المعمارية ومنحها قيمة فنية وجمالية الى جانب ما يمكن ان تؤديه من وظائف معمارية وتقنية وقد ارتبط استخدام الجص في العمارة الاسلامية بقدرته على الاستجابة لمتطلبات التصميم والزخرفة وسهولة توظيفه في معالجة الاسطح والعناصر المعمارية المختلفة

ويعد الجص من المواد الملائمة لتنفيذ الزخارف المعمارية لما يتميز به من سهولة التشكيل في حالته اللدنة وسرعة التصلب بعد الجفاف وخفة وزنه نسبيا مقارنة بالحجر والرخام فضلا عن قابليته العالية للنحت والتشكيل واظهار التفاصيل الدقيقة وقد ساعدت هذه الخصائص على انتشاره في العديد من مناطق العالم الاسلامي ولا سيما المناطق التي تتوافر فيها المواد الجبسية او تقل فيها الصخور الصلبة والرخام مثل بلاد الرافدين وايران واجزاء من اسيا الوسطى

ولم يقتصر استخدام الجص في العمارة الاسلامية على الجانب الزخرفي وانما ارتبط في بداياته بوظائف معمارية وتقنية متعددة من بينها تسوية الاسطح وتغطيتها ومعالجة بعض العيوب وحماية الاسطح من المؤثرات البيئية ثم تطور استخدامه تدريجيا ليصبح عنصرا فنيا قائما بذاته يعبر عن

مهارة الحرفيين وتطور تقنيات التنفيذ وقدرتهم على استثمار خصائص المادة في انتاج تكوينات زخرفية متعددة المستويات من حيث البروز والعمق وقد اسهم هذا التنوع في خلق تأثيرات بصرية متباينة نتيجة تفاعل الضوء والظل مع الاسطح المزخرفة مما اكسب الجدران والاسقف والقباب والكوات والعناصر المعمارية الاخرى طابعا جماليا متحركا ومتغيرا تبعا لاتجاه الضوء وزاوية الرؤية(سارم، 2021، 558)

وترتبط الزخارف الجصية بالفكر الجمالي للعمارة الاسلامية القائم على تحقيق التوازن بين الوظيفة والجمال اذ لم تكن الزخرفة مجرد اضافة شكلية منفصلة عن البناء وانما ارتبطت بتكوين العنصر المعماري ومساحته ووظيفته وقد اعتمد الفنان المسلم على مجموعة من المبادئ الفنية التي تمثلت في التوازن والتناسق والتكرار والايقاع والتجريد والتنظيم الهندسي مما جعل الزخارف الجصية وسيلة للتعبير عن الخصائص الفنية والهوية الثقافية للعمارة الاسلامية

2- اصول الزخارف الجصية

يرتبط استخدام الجص في البناء والزخرفة بتاريخ قديم يعود الى حضارات الشرق الادنى ومناطق مختلفة من العالم القديم فقد استخدم في بلاد الرافدين ووادي النيل وبلاد فارس في معالجة الاسطح وتغطية الجدران وتنفيذ بعض العناصر الزخرفية والمعمارية وقد عرف سكان بلاد الرافدين استخدام المواد الجبسية في تغطية الاسطح وتزيينها بتكوينات بسيطة كما استخدم الجص في مصر القديمة في معالجة بعض الاسطح الداخلية وتزيين جدران المقابر والمنشات الدينية

وشهدت العمارة الفارسية القديمة تطورا ملحوظا في استخدام الجص ولا سيما خلال العصر الساساني حيث وظف في تزيين القصور وبعض المنشات الدينية والمعمارية ونفذت به تكوينات نباتية وهندسية متنوعة وقد شكلت هذه التقاليد الفنية احد المصادر التي تأثرت بها الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية خلال مراحلها الاولى

ومع ظهور العمارة الاسلامية وانتشارها في مناطق واسعة خلال القرن السابع الميلادي وجد المسلمون انفسهم امام بيئات حضارية متنوعة تمتلك تقاليد فنية ومعمارية متراكمة وقد استفاد الفنانون المسلمون من الخبرات السابقة في تقنيات البناء والزخرفة واعادوا صياغتها بما يتوافق مع الخصائص الجمالية والفكرية للفن الاسلامي فلم يكن انتقال العناصر الزخرفية مجرد عملية

تقليد مباشر وانما اتخذ صورة من التفاعل والانتقاء واعادة التكوين مما ادى تدريجيا الى ظهور اساليب زخرفية ذات خصائص اسلامية مميزة (الريحاوي، 1979، 88)

وقد تطورت المفردات الزخرفية الجصية في هذا السياق لتشمل الزخارف النباتية والهندسية والكتابية والتكوينات التجريدية كما ظهرت اساليب متعددة في معالجة الوحدات الزخرفية من خلال التكرار والتناظر والتشابك والتحوير والتجريد وهو ما اسهم في تكوين لغة زخرفية مميزة اصبحت من السمات الاساسية للفنون والعمارة الاسلامية(الريحاوي، 1979، 89)

3- مفهوم الزخارف الجصية ونشاتها وتطورها في العمارة الاسلامية

• مفهوم الزخارف الجصية

يقصد بالزخارف الجصية مجموعة العناصر والتكوينات الفنية التي تنفذ باستخدام الجص بعد تحضيره ومعالجته بما يتناسب مع طبيعة الاستخدام ثم تشكيله بوسائل وتقنيات فنية متعددة من بينها النحت والنقش والقولبة والاضافة والتركيب وذلك بهدف تزيين العناصر المعمارية ومنحها قيمة فنية وجمالية الى جانب ما يمكن ان تؤديه من وظائف معمارية وتقنية وقد ارتبط استخدام الجص في العمارة الاسلامية بقدرته على الاستجابة لمتطلبات التصميم والزخرفة وسهولة توظيفه في معالجة الاسطح والعناصر المعمارية المختلفة

ويعد الجص من المواد الملائمة لتنفيذ الزخارف المعمارية لما يتميز به من سهولة التشكيل في حالته اللدنة وسرعة التصلب بعد الجفاف وخفة وزنه نسبيا مقارنة بالحجر والرخام فضلا عن قابليته العالية للنحت والتشكيل واظهار التفاصيل الدقيقة وقد ساعدت هذه الخصائص على انتشاره في العديد من مناطق العالم الاسلامي ولا سيما المناطق التي تتوافر فيها المواد الجبسية او تقل فيها الصخور الصلبة والرخام مثل بلاد الرافدين وايران واجزاء من اسيا الوسطى (Herzfeld، 1963، 14)

ولم يقتصر استخدام الجص في العمارة الاسلامية على الجانب الزخرفي وانما ارتبط في بداياته بوظائف معمارية وتقنية متعددة من بينها تسوية الاسطح وتغطيتها ومعالجة بعض العيوب وحماية الاسطح من المؤثرات البيئية ثم تطور استخدامه تدريجيا ليصبح عنصرا فنيا قائما بذاته يعبر عن مهارة الحرفيين وتطور تقنيات التنفيذ وقدرتهم على استثمار خصائص المادة في انتاج تكوينات

زخرفية متعددة المستويات من حيث البروز والعمق وقد اسهم هذا التنوع في خلق تأثيرات بصرية متباينة نتيجة تفاعل الضوء والظل مع الاسطح المزخرفة مما اكسب الجدران والاسقف والقباب والكوات والعناصر المعمارية الاخرى طابعا جماليا متحركا ومتغيرا تبعا لاتجاه الضوء وزاوية الرؤية

وترتبط الزخارف الجصية بالفكر الجمالي للعمارة الاسلامية القائم على تحقيق التوازن بين الوظيفة والجمال اذ لم تكن الزخرفة مجرد اضافة شكلية منفصلة عن البناء وانما ارتبطت بتكوين العنصر المعماري ومساحته ووظيفته وقد اعتمد الفنان المسلم على مجموعة من المبادئ الفنية التي تمثلت في التوازن والتناسق والتكرار والايقاع والتجريد والتنظيم الهندسي مما جعل الزخارف الجصية وسيلة للتعبير عن الخصائص الفنية والهوية الثقافية للعمارة الاسلامية(Herzfeld، 1963، 16)

- **اصول الزخارف الجصية**

يرتبط استخدام الجص في البناء والزخرفة بتاريخ قديم يعود الى حضارات الشرق الادنى ومناطق مختلفة من العالم القديم فقد استخدم في بلاد الرافدين ووادي النيل وبلاد فارس في معالجة الاسطح وتغطية الجدران وتنفيذ بعض العناصر الزخرفية والمعمارية وقد عرف سكان بلاد الرافدين استخدام المواد الجبسية في تغطية الاسطح وتزيينها بتكوينات بسيطة كما استخدم الجص في مصر القديمة في معالجة بعض الاسطح الداخلية وتزيين جدران المقابر والمنشات الدينية

وشهدت العمارة الفارسية القديمة تطورا ملحوظا في استخدام الجص ولا سيما خلال العصر الساساني حيث وظف في تزيين القصور وبعض المنشات الدينية والمعمارية ونفذت به تكوينات نباتية وهندسية متنوعة وقد شكلت هذه التقاليد الفنية احد المصادر التي تأثرت بها الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية خلال مراحلها الاولى(رزق، 2000، 120)

ومع ظهور العمارة الاسلامية وانتشارها في مناطق واسعة خلال القرن السابع الميلادي وجد المسلمون انفسهم امام بيئات حضارية متنوعة تمتلك تقاليد فنية ومعمارية متراكمة وقد استفاد الفنانون المسلمون من الخبرات السابقة في تقنيات البناء والزخرفة واعادوا صياغتها بما يتوافق مع الخصائص الجمالية والفكرية للفن الاسلامي فلم يكن انتقال العناصر الزخرفية مجرد عملية

تقليد مباشر وانما اتخذ صورة من التفاعل والانتقاء واعادة التكوين مما ادى تدريجيا الى ظهور اساليب زخرفية ذات خصائص اسلامية مميزة

وقد تطورت المفردات الزخرفية الجصية في هذا السياق لتشمل الزخارف النباتية والهندسية والكتابية والتكوينات التجريدية كما ظهرت اساليب متعددة في معالجة الوحدات الزخرفية من خلال التكرار والتناظر والتشابك والتحوير والتجريد وهو ما اسهم في تكوين لغة زخرفية مميزة اصبحت من السمات الاساسية للفنون والعمارة الاسلامية(رزق، 2000، 125)

4- مراحل التطور التاريخي للزخارف الجصية

- **مرحلة التأسيس في العصر الاموي**

تمثل المرحلة الاموية مرحلة مبكرة في تطور الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية حيث استمرت فيها بعض التقاليد الفنية التي كانت سائدة في البيئات البيزنطية والساسانية مع بداية ظهور ملامح فنية جديدة ارتبطت بالعمارة الاسلامية وقد شهدت هذه المرحلة توظيف العناصر النباتية والهندسية والحيوانية في عدد من المنشات المعمارية ومن ابرز شواهدها قصور بلاد الشام مثل قصر خربة المفجر وقصر المشتى حيث تظهر مجموعة من العناصر الزخرفية التي تعكس التفاعل بين التقاليد الفنية السابقة والتوجهات الجديدة في الفن الاسلامي

وتكتسب هذه المرحلة اهميتها من كونها مثلت مرحلة انتقالية اسهمت في تهيئة الظروف الفنية والتقنية لظهور اساليب اكثر استقلالا وتطورا في الزخرفة الجصية خلال العصور الاسلامية اللاحقة (هجلس، 2025، 32)

- **مرحلة النضج في العصر العباسي**

شهد العصر العباسي تطورا واضحا في مجال الزخرفة الجصية وبرزت مدينة سامراء بوصفها احد اهم المراكز الفنية والمعمارية التي شهدت تطورا كبيرا في هذا المجال وقد ارتبط هذا التطور بالنشاط العمراني الواسع الذي شهدته المدينة خلال فترة اتخاذها عاصمة للخلافة العباسية وما نتج عن ذلك من حاجة الى تقنيات زخرفية قادرة على معالجة المساحات المعمارية الكبيرة بكفاءة وسرعة

وتميزت زخارف سامراء بتطور اساليب تنفيذها وظهور مجموعة من التكوينات الزخرفية التي عرفت بالانماط السامرائية الثلاثة اذ يمثل النمط الاول اتجاها اقرب الى الاشكال النباتية الطبيعية بينما اتجه النمط الثاني نحو مزيد من التحوير والتجريد في حين بلغ التجريد ذروته في النمط الثالث الذي اعتمد على تكوينات مائلة ومتكررة ذات طابع تجريدي وقد مثلت هذه الاساليب مرحلة مهمة في تطور الزخرفة الاسلامية وانتقالها من محاكاة الاشكال الطبيعية الى بناء وحدات زخرفية اكثر تجريدا وتنظيما

كما ساعدت تقنيات القولبة في انتاج الوحدات الزخرفية وتكرارها ومعالجة المساحات الواسعة مما اسهم في تحقيق قدر من السرعة والدقة في التنفيذ وقد انتقلت بعض التأثيرات الفنية المرتبطة بمدرسة سامراء الى مناطق اخرى من العالم الاسلامي نتيجة التواصل الحضاري والتجاري وحركة الحرفيين والفنانين(Herzfeld، 1963، 18)

- **مرحلة التنوع الاقليمي**

شهدت الزخارف الجصية خلال العصور الاسلامية اللاحقة تنوعا واضحا نتيجة تعدد الدول والمراكز الحضارية وتباين البيئات الجغرافية والثقافية وقد ظهرت اتجاهات فنية متميزة في مصر وبلاد الشام وايران واسيا الوسطى والمغرب والاندلس

وفي مصر ظهرت تأثيرات واضحة للزخارف السامرائية في بعض المنشات ولا سيما مسجد ابن طولون مع تطورها وفقا للظروف المحلية كما شهدت ايران واسيا الوسطى تطورا متزامنا في استخدام الزخرفة الجصية مع تقنيات البناء بالطابوق المزخرف وظهرت تكوينات زخرفية تجمع بين الجص والعناصر المعمارية الاخرى

وفي الاندلس والمغرب الاسلامي تطورت الزخارف الجصية ضمن سياقات فنية ومعمارية خاصة واصبحت جزءا مهما من معالجة الجدران والاقواس والقباب والعناصر الداخلية وقد اسهمت المراحل السياسية المتعاقبة في ظهور تنوع واضح في المفردات الزخرفية واساليب تنفيذها(Ettinghausen ، 1952، 72)

• مرحلة النضج والازدهار الفني

بلغت الزخارف الجصية درجة عالية من النضج الفني خلال العصور الاسلامية المتأخرة وظهرت في العديد من المنشات المعمارية التي تميزت بغنى التكوينات ودقة التنفيذ ومن ابرز الامثلة على ذلك زخارف قصر الحمراء في غرناطة التي تمثل نموذجا متقدما في معالجة الاسطح الداخلية باستخدام الجص وما يتضمنه من زخارف كتابية ونباتية وهندسية وتكوينات مقرنصة

كما شهدت العمارة المملوكية في مصر وبلاد الشام استخداما متنوعا للزخارف الجصية في القباب والكوات والمقرنصات وبعض العناصر الداخلية وقد اتسمت هذه المرحلة بارتفاع مستوى الدقة والتنظيم وتكامل الزخرفة مع التكوين المعماري(Ettinghausen ، 1952، 74)

• مرحلة الاستمرارية والتحول في العصر العثماني وما بعده

استمر استخدام الجص في العمارة الاسلامية خلال العصر العثماني وما بعده مع حدوث تغير نسبي في موقعه ضمن منظومة الفنون الزخرفية نتيجة انتشار تقنيات ومواد زخرفية اخرى مثل البلاطات الخزفية الملونة والزخارف الخشبية وغيرها ومع ذلك ظل الجص مستخدما في عدد من العناصر المعمارية والزخرفية ولا سيما المقرنصات والاسقف وبعض المعالجات الداخلية

ويكشف هذا التطور التاريخي عن قدرة الزخارف الجصية على التكيف مع التحولات الفنية والمعمارية التي شهدتها الحضارة الاسلامية اذ حافظت على حضورها بوصفها عنصرا زخرفيا ومعماريا مهما مع تغير اشكالها وتقنياتها ومفرداتها وفقا للبيئة والعصر والمدرسة الفنية وقد اسهم هذا التراكم التاريخي في تشكيل ثراء كبير في نماذج الزخارف الجصية التي تمثل اليوم جزءا مهما من القيمة الفنية والحضارية للمباني الاثرية الاسلامية(Ettinghausen ، 1952، 78)

5- انواع الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية

تعددت انواع الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية نتيجة تنوع مصادر الالهام واختلاف البيئات الجغرافية والثقافية وتطور المدارس الفنية عبر العصور وقد استطاع الفنان المسلم توظيف الجص في تنفيذ مجموعة واسعة من المفردات والتكوينات الزخرفية التي اسهمت في تشكيل الهوية الفنية والجمالية للمباني الاسلامية وتنوعت هذه الزخارف بين العناصر النباتية والهندسية والكتابية فضلا عن التكوينات المركبة وبعض العناصر الحيوانية والانسانية التي ظهرت في

سياقات محددة ولا سيما في بعض المنشات المدنية والقصور ويمكن تصنيف اهم انواع الزخارف الجصية على النحو الاتي (القريشي، 2014، 20)

اولاً: الزخارف النباتية والتوريقية

تعد الزخارف النباتية من اكثر انواع الزخارف شيوعا في العمارة الاسلامية وقد قامت على استلهام عناصر من البيئة الطبيعية مثل الاوراق والسيقان والاغصان والازهار والثمار ثم اعادة صياغتها من خلال التحوير والتبسيط والتجريد بما يتلاءم مع طبيعة التكوين الزخرفي والمساحة المعمارية

وقد مرت الزخارف النباتية بمراحل متعددة من التطور اذ ظهرت في بعض النماذج المبكرة بصورة اقرب الى الاشكال الطبيعية ثم اتجهت تدريجيا نحو التحوير والتجريد وبرز ذلك بصورة واضحة في الزخارف الجصية في مدينة سامراء حيث تطورت الوحدات النباتية من الاشكال الاقرب الى الطبيعة الى تكوينات اكثر تجريدا وتنظيما(القريشي، 2014، 23)

ومن اهم صور الزخارف النباتية التوريق الذي يقوم على معالجة الاغصان والاوراق وتكرارها ضمن تكوينات مترابطة تسمح بامتداد الوحدة الزخرفية وتكرارها في مساحات واسعة وقد اتسمت هذه التكوينات بالتشابك والتكرار والتوازن مما منحها قدرة كبيرة على ملاءمة المساحات المعمارية المختلفة وتحقيق الاستمرارية البصرية في التكوين الزخرفي(القريشي، 2014، 25)

ثانيا :الزخارف الهندسية

تمثل الزخارف الهندسية احد الانماط البارزة في الفنون الاسلامية وقد اعتمدت على توظيف الاشكال الهندسية الاساسية مثل الدوائر والمربعات والمثلثات والمعينات والمضلعات والنجوم المختلفة ثم تنظيمها ضمن تكوينات تقوم على التكرار والتناظر والتداخل والتشابك

وقد تطلب تنفيذ بعض التكوينات الهندسية درجة عالية من الدقة في تحديد النسب والمسافات وتقسيم المساحات ولذلك ارتبطت الزخارف الهندسية بمهارات الرسم الهندسي واستخدام الادوات المناسبة في تحديد الاشكال وبناء الوحدات الزخرفية وقد اتاحت هذه الخصائص للفنان انتاج تكوينات متماسكة يمكن تكرارها وامتدادها لتغطية مساحات واسعة كما اسهمت الزخارف الهندسية في تحقيق التوازن والايقاع والتنظيم داخل الفضاء المعماري وذلك من خلال العلاقات الدقيقة بين

الخطوط والاشكال والوحدات المتكررة وقد تنوعت تطبيقاتها في الجدران والقباب والافاريز والكوات والعناصر المعمارية المختلفة مما جعلها من العناصر المهمة في تشكيل المظهر الجمالي للعمارة الاسلامية(الباشا، 1989، 60)

ثالثا: الزخارف الكتابية

احتلت الزخارف الكتابية مكانة مهمة في العمارة الاسلامية حيث تحولت الكتابة العربية من وسيلة للقراءة ونقل المعنى الى عنصر فني يشارك في تشكيل التكوين الزخرفي وقد استخدمت انواع متعددة من الخطوط في تنفيذ الزخارف الجصية وكان من ابرزها الخط الكوفي بمختلف اشكاله فضلا عن خطوط عربية اخرى ظهرت وتطورت بحسب العصر والمنطقة وطبيعة المبنى

وقد نفذت الكتابات على الشرائط والافاريز وحول المداخل والمحاريب والقباب والنوافذ والكوات وغيرها من العناصر المعمارية وتضمنت في بعض المباني نصوصا قرانية وعبارات دينية كما تضمنت في مبان اخرى نصوصا تذكارية وتاريخية تضمنت اسماء الحكام او تواريخ البناء او عبارات مرتبطة بالمبنى ووظيفته

وتتميز الزخارف الكتابية بقدرتها على الجمع بين القيمة الدلالية والقيمة الجمالية اذ يرتبط شكل الحروف وتكوين الكلمات وتنظيمها ضمن المساحة المعمارية بالتكوين العام للزخرفة وقد ساعد ذلك على تحقيق التكامل بين المعنى المكتوب والشكل الفني للعنصر المعماري(الباشا، 1989، 64)

رابعا: الزخارف المركبة

يقصد بالزخارف المركبة التكوينات التي تجمع بين نوعين او اكثر من المفردات الزخرفية ضمن تصميم واحد متكامل فقد تتداخل العناصر النباتية مع الاشكال الهندسية او الكتابات مع العناصر النباتية والهندسية في تكوين زخرفي موحد

ويتطلب هذا النوع من الزخارف مهارة عالية في تنظيم العناصر وتوزيعها داخل المساحة المعمارية بحيث تتحقق العلاقة المناسبة بين المفردات المختلفة دون حدوث ازدحام بصري او فقدان لوضوح التكوين وقد اسهمت الزخارف المركبة في اثراء الاسطح المعمارية وزيادة تنوعها وتحقيق التكامل بين المفردات الزخرفية المختلفة

وتظهر اهمية هذا النوع في قدرته على الجمع بين الخصائص الفنية لكل نوع من انواع الزخارف ضمن تكوين واحد مما يمنح السطح المعماري غنى بصريا ويعكس قدرة الفنان على تحقيق الوحدة ضمن التنوع(الباشا، 2014، 68)

خامسا: الزخارف الحيوانية والانسانية

ظهرت العناصر الحيوانية والانسانية في بعض نماذج الفن الاسلامي والزخرفة الجصية ولا سيما في بعض المنشات المدنية والقصور والمباني ذات الطابع غير الديني وقد ظهرت بعض النماذج المبكرة خلال العصر الاموي متأثرة بالتقاليد الفنية السابقة في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي

وتنوعت هذه العناصر بين تصوير الطيور والحيوانات وبعض الشخصيات الانسانية وقد عولجت في بعض النماذج بطريقة واقعية نسبيا بينما اتجهت نماذج اخرى نحو الاختزال والتحوير والتبسيط بما يتناسب مع طبيعة التكوين الزخرفي

ولم يكن استخدام العناصر الحيوانية والانسانية بالانتشار نفسه الذي حظيت به الزخارف النباتية والهندسية والكتابية كما اختلف حضورها باختلاف وظيفة المبنى وسياقه الثقافي والفني ولذلك ينبغي النظر اليها ضمن السياقات المعمارية والفنية التي ظهرت فيها دون اعتبارها سمة عامة لجميع الزخارف الاسلامية

وبذلك يتضح ان تنوع الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية نتج عن تفاعل مجموعة من العوامل الفنية والتقنية والمعمارية والثقافية وقد اسهم هذا التنوع في منح المباني الاسلامية ثراء بصريا واضحا كما اتاح للفنان المسلم توظيف الجص في تكوين انماط متعددة تجمع بين التجريد والتكرار والتوازن والتداخل والتكامل مع العناصر المعمارية وهو ما جعل الزخارف الجصية من اهم الوسائل الفنية التي اسهمت في تشكيل الهوية الجمالية للمباني الاثرية الاسلامية(محمد، 2024، 80)

6- تقنيات تنفيذ الديكورات الجصية وخاماتها

ارتبط تطور الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية بتطور المواد المستخدمة في تحضير الجص وتنوع التقنيات المعتمدة في تشكيله وتنفيذه وقد اتاحت الخصائص الفيزيائية للجص للحرفيين والفنانين امكانية توظيفه في معالجة الاسطح والعناصر المعمارية المختلفة وتنفيذ

تكوينات زخرفية ذات مستويات متعددة من الدقة والبروز والعمق كما ساعد تنوع تقنيات التنفيذ على ملاءمة الزخارف مع طبيعة التصميم والوظيفة المعمارية للعنصر الذي تطبق عليه مما اسهم في انتاج اعمال تجمع بين القيمة الفنية والكفاءة التقنية والتكامل مع البناء(محمد، 2024، 83)

اولا: الخامات والمواد المستخدمة في تحضير الجص

يستخرج الجص من خام الجبس الطبيعي الذي يتكون اساسا من كبريتات الكالسيوم المائية وتتم معالجة الخام من خلال عمليات تشمل التكسير والطحن والحرق بدرجات حرارة مناسبة بهدف ازالة جزء من الماء المرتبط كيميائيا وتحويله الى مادة قابلة لاعادة التصلب عند خلطها بالماء ويختلف اسلوب التحضير ودرجة الحرق بحسب نوع الخام وطبيعة الاستخدام والخصائص المطلوبة للمادة النهائية

وبعد اتمام عملية الحرق والطحن يتحول الجبس الى مسحوق ناعم يخلط بالماء لتكوين عجينة قابلة للتشكيل وتتميز هذه العجينة بسرعة تصلبها الامر الذي يتطلب تحضيرها واستخدامها ضمن فترة زمنية مناسبة وقد تضاف الى الخلطة في بعض التطبيقات مواد مساعدة بهدف تحسين بعض خصائصها مثل التماسك وقابلية التشغيل او التحكم في زمن التصلب وذلك وفقا للمواد المتاحة والتقنيات المتبعة لدى الحرفيين

وقد استخدمت مواد مختلفة في معالجة الجص عبر البيئات والعصور التاريخية ويمكن ان تشمل بعض المواد العضوية او الالياف الطبيعية التي تساعد في تحسين تماسك الخلطة او خصائصها الميكانيكية ولذلك فان دراسة مكونات الجص التاريخي تعد من الجوانب المهمة في فهم تقنيات التنفيذ الاصلية وطرق صيانة الزخارف الجصية الاثرية (رزق، 2000، 126)

ثانيا : تقنيات تنفيذ الزخارف الجصية

1- النقش المباشر

تعتمد هذه التقنية على تطبيق طبقة من الجص على السطح المعماري ثم تنفيذ التصميم الزخرفي مباشرة على الطبقة قبل اكتمال تصلبها وذلك باستخدام ادوات مناسبة للنحت والحفر والتشكيل وتتيح هذه الطريقة للحرفي حرية كبيرة في معالجة التفاصيل وتعديلها وفقا لمساحة العنصر

المعماري وشكل التصميم الا انها تتطلب مهارة عالية ودقة في العمل بسبب سرعة تغير خصائص الجص خلال مراحل التصلب

2- القولبة والصب

تقوم تقنية القولبة على اعداد قالب يحمل الوحدة الزخرفية المراد انتاجها ثم استخدامه لتشكيل وحدات متكررة من الجص وقد اسهمت هذه التقنية في زيادة سرعة التنفيذ وتحقيق درجة عالية من التشابه بين الوحدات الزخرفية ولا سيما عند معالجة المساحات الواسعة

وتكتسب تقنية القولبة اهمية خاصة في دراسة الزخارف الجصية في مدينة سامراء خلال العصر العباسي حيث ارتبطت بظهور وحدات زخرفية قابلة للتكرار مما ساعد على معالجة المساحات الكبيرة في المباني والمنشات المعمارية التي شهدت توسعا عمرانيا واضحا(القريشي، 2014، 26)

3- الاضافة والتركيب

تعتمد هذه التقنية على تشكيل وحدات او عناصر زخرفية منفصلة ثم تثبيتها او تركيبها على السطح المعماري لتكوين التصميم النهائي وتتيح هذه الطريقة تنفيذ تكوينات ذات تفاصيل متعددة يصعب انجازها بصورة مباشرة على السطح وقد استخدمت في معالجة بعض العناصر المعمارية والزخرفية التي تتطلب بناء تكوينات مركبة او متعددة المستويات(طيان، 2008، 55)

4- الحفر والتجويف

تقوم هذه التقنية على ازالة اجزاء محددة من طبقة الجص للحصول على مستويات مختلفة من العمق او تكوين فتحات ضمن التصميم الزخرفي ويسهم اختلاف مستويات السطح في اظهار التباين بين المناطق البارزة والغائرة كما يؤدي الى تكوين تأثيرات ضوئية وظلية تزيد من وضوح التفاصيل الزخرفية

وقد استخدمت بعض اشكال التجويف والتثقيب في العناصر التي تتطلب نفاذا للضوء او الهواء حيث يمكن ان تجمع الفتحات الزخرفية بين الوظيفة المعمارية والقيمة الجمالية كما تظهر اهميتها في بعض النوافذ والعناصر المشبكة والمعالجات الجدارية(طيان، 2008، 61)

5- التلوين والتذهيب

يمكن ان تخضع الاسطح الجصية بعد تنفيذ الزخرفة الى عمليات تلوين او معالجة لونية بهدف تعزيز المظهر الجمالي واظهار بعض التفاصيل وقد استخدمت الالوان في عدد من البيئات الاسلامية التاريخية بدرجات واساليب مختلفة بحسب طبيعة المبنى والعصر والمواد المتاحة كما يمكن استخدام التذهيب في بعض العناصر ذات الاهمية الخاصة

ومع ذلك لا يمكن اعتبار التلوين والتذهيب جزءا ثابتا من جميع الزخارف الجصية اذ تختلف درجة استخدامهما من مبنى الى اخر ومن عصر الى اخر كما ان كثيرا من النماذج الجصية اعتمدت بصورة اساسية على التشكيل والبروز والعمق والتفاعل بين الضوء والظل في اظهار قيمتها الجمالية(طيان، 2008، 70)

6- التثقيب والزخرفة الشبكية

تقوم هذه التقنية على احداث فتحات دقيقة ومنظمة داخل طبقة الجص وفقا لتصميم زخرفي محدد مما يؤدي الى تكوين اشكال شبكية تسمح بنفاذ الضوء والهواء بدرجات متفاوتة وقد حققت هذه الطريقة تكاملا بين الوظيفة والزخرفة حيث يمكن ان تسهم الفتحات في تحسين التهوية والاضاءة الى جانب دورها في تشكيل المظهر الجمالي للعنصر المعماري

وتتميز الزخارف الجصية المثقبة بقدرتها على انتاج تأثيرات ضوئية متغيرة نتيجة مرور الضوء من خلال الفتحات وسقوط الظلال على الاسطح المحيطة مما يضيف بعدا بصريا متحركا الى الفضاء الداخلي

وبذلك يتضح ان تقنيات تنفيذ الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية قامت على مجموعة متنوعة من الاساليب التي استفادت من الخصائص الفيزيائية والكيميائية للجص وقد ادى التنوع بين النقش المباشر والقولبة والاضافة والتركيب والحفر والتجويف والتثقيب والمعالجات اللونية الى اتاحة مجالات واسعة للابداع الفني والتقني كما ساعد ذلك على تحقيق التكامل بين الزخرفة والعنصر المعماري من خلال الجمع بين الدقة في التنفيذ والقيمة الجمالية والوظيفة المعمارية وهو ما يفسر استمرار حضور الزخارف الجصية بوصفها احد العناصر المهمة في التراث المعماري الاسلامي(Creswll، 1940، 280)

7- اهمية الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية

تتجلى اهمية الزخارف الجصية في العمارة الاسلامية من خلال تعدد وظائفها وتنوع قيمها الفنية والمعمارية والثقافية والتاريخية فلم تكن هذه الزخارف مجرد وسيلة لتزيين الاسطح والعناصر المعمارية وانما ارتبطت بالتكوين العام للمبنى واسهمت في ابراز خصائصه الجمالية والتعبير عن السمات الفنية والثقافية للعصر والبيئة التي نشات فيها وقد جعلها هذا الدور من العناصر المهمة في دراسة العمارة والفنون الاسلامية

وتبرز اهمية الجص ايضا في ملاءمته للظروف المادية والبيئية في العديد من مناطق العالم الاسلامي اذ اتاحت خصائصه وقابليته للتشكيل استخدامه في معالجة مساحات واسعة من المباني وتنفيذ تكوينات زخرفية متنوعة دون الحاجة الى الاعتماد الكامل على المواد الحجرية او الرخامية التي قد تكون محدودة التوافر او اكثر كلفة وقد اسهم ذلك في انتشار الزخرفة الجصية في مبان مختلفة من حيث الوظيفة والحجم والمكانة الاجتماعية

ومن الناحية المعمارية ارتبطت الزخارف الجصية بالعناصر المختلفة للمبنى فقد استخدمت في معالجة الجدران والواجهات والاقواس والقباب والمحاريب والكوات والمداخل وغيرها من العناصر واسهمت في ابراز بعض الاجزاء المعمارية وتنظيم المساحات بصريا وتحقيق الانتقال بين العناصر المختلفة كما ساعدت طبيعة الجص على معالجة الاسطح وتسوية بعض اجزائها وتغطيتها مما جمع في بعض التطبيقات بين المعالجة الوظيفية والقيمة الزخرفية

ومن الناحية الفنية تمثل الزخارف الجصية مظهرا من مظاهر الابداع والمهارة الحرفية في العمارة الاسلامية فقد استطاع الفنان توظيف الخصائص الخاصة بالمادة وتنفيذ الزخارف النباتية والهندسية والكتابية والمركبة بدرجات مختلفة من العمق والبروز كما تمكن من تحقيق علاقات دقيقة بين الوحدة الزخرفية والمساحة المعمارية من خلال التكرار والتوازن والتناظر والتداخل مما اسهم في تكوين اسطح غنية من الناحية البصرية (Creswll، 1940، 282)

اما من الناحية الثقافية فقد اسهمت الزخارف الجصية في التعبير عن الخصوصية الفنية للمجتمعات الاسلامية وتنوع مدارسها الاقليمية اذ اختلفت المفردات الزخرفية وطرق تنفيذها تبعا للبيئة والعصر والمواد المتاحة والتقاليد الفنية المحلية كما ساعدت الكتابات والعناصر الزخرفية المختلفة على نقل جوانب من الثقافة والقيم السائدة في المجتمع الذي انتجها

ومن الناحية الدينية والروحية ارتبطت الزخارف الجصية في عدد من المنشات الدينية بالفضاء المعماري الذي احتضنها وقد اسهم انتظام الوحدات وتكرارها وتوازنها في تشكيل بيئة بصرية تتلاءم مع طبيعة العمارة الدينية كما منحت الكتابات ذات المضامين الدينية هذه الزخارف بعدا دلاليا يجمع بين القيمة الفنية والمعنى المرتبط بوظيفة المبنى

كما يمكن ان تسهم دراسة الزخارف الجصية في الكشف عن جوانب من تاريخ المبنى وتطوره اذ قد تساعد طبيعة الوحدات الزخرفية واساليب تنفيذها وطرق توزيعها في المقارنة بين المنشات وتحديد اوجه التشابه والاختلاف بينها كما يمكن من خلالها التعرف على بعض مظاهر التواصل والتاثير الفني بين المراكز الحضارية المختلفة

وبذلك تمثل الزخارف الجصية مصدرا مهما لدراسة العمارة الاسلامية من جوانب متعددة فهي تجمع بين القيمة الفنية والوظيفة المعمارية والدلالة الثقافية والتاريخية مما يجعلها عنصرا اساسيا في فهم تطور الفنون والزخرفة في المباني الاسلامية الاثرية (Creswll، 1940، 283)

8- القيمة الثقافية للزخارف الجصية وطرق المحافظة عليها

لا تقتصر قيمة الزخارف الجصية في المباني الاثرية الاسلامية على الجانب الجمالي والمعماري وانما تمتد لتشمل ابعادا ثقافية وتاريخية ووثائقية وحرفية تجعل منها جزءا مهما من التراث المادي وقد اسهم استمرار هذه الزخارف في حفظ جانب من الخبرات الفنية والتقنية التي تراكمت عبر العصور ولذلك فان دراستها والمحافظة عليها يمثلان جزءا اساسيا من جهود حماية التراث المعماري الاسلامي وضمان استمراره للاجيال القادمة

اولا: القيمة الثقافية والتوثيقية

تمتلك الزخارف الجصية قيمة وثائقية مهمة ولا سيما عندما تتضمن كتابات او نقوشا ذات مضمون تاريخي فقد تحتوي بعض النماذج على اسماء الحكام او المنشئين او الرعاة او تواريخ البناء او عبارات مرتبطة بوظيفة المبنى الامر الذي يجعلها مصدرا مساعدا في دراسة تاريخ المنشات وتحديد مراحل بنائها او ترميمها وربطها بالسياق التاريخي الذي ظهرت فيه

كما تساعد دراسة الوحدات الزخرفية وطرق تنفيذها في التعرف على الخصائص الفنية لكل مرحلة تاريخية ومقارنة الاساليب بين المناطق والمراكز الحضارية المختلفة اذ يمكن من خلال

تحليل اشكال الزخارف وتقنياتها وموادها تتبع مظاهر التطور والتغير في الفن الاسلامي والكشف عن اوجه التاثير والتبادل الفني بين البيئات المختلفة (Creswll، 1940، 286)

ثانيا: القيمة الفنية والحرفية

تمثل الزخارف الجصية سجلا مهما للمهارات الحرفية والتقنيات التقليدية التي استخدمها الفنانون والحرفيون في العمارة الاسلامية فقد تكشف طريقة تنفيذ الزخرفة ومستويات الحفر والبروز والقولبة والتركيب عن مستوى الخبرة التقنية المتاحة في الفترة التاريخية التي انشئت فيها

وتزداد هذه القيمة اهمية في الحالات التي تبقى فيها الزخارف محتفظة بجزء كبير من تقنياتها الاصلية اذ يمكن ان تسهم دراستها في فهم طرق تحضير المواد واساليب تشكيلها وتنفيذها كما توفر اساسا علميا يمكن الاستفادة منه في عمليات الصيانة والترميم المستقبلية

ثالثا: القيمة التاريخية والحضارية

تعد الزخارف الجصية من الشواهد المادية التي تساعد على قراءة تاريخ العمارة الاسلامية وتطورها اذ ترتبط خصائصها الفنية والتقنية بالسياق التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي ظهرت فيه وقد تعكس اختلاف المدارس الفنية وتنوع المراكز الحضارية وتطور الذوق الفني عبر العصور

كما تسهم في تعزيز القيمة الحضارية للمباني الاثرية لانها تمثل جزءا من اصالتها التاريخية وتكاملها الفني ولذلك فان فقدان الزخارف الاصلية او استبدالها بمواد حديثة قد يؤدي الى فقدان جانب من المعلومات التاريخية والفنية المرتبطة بالمبنى(الريحاوي، 1979، 150)

رابعا : طرق المحافظة على الزخارف الجصية

تتطلب المحافظة على الزخارف الجصية الاثرية فهما دقيقا لطبيعة المادة وخصائصها ومظاهر تلفها والعوامل المؤثرة فيها ولذلك ينبغي ان تستند عمليات المحافظة الى الدراسة والتوثيق والفحص العلمي قبل اتخاذ اي اجراء علاجي او ترميمي

وتعد عملية التوثيق من الخطوات الاساسية في المحافظة على الزخارف الجصية وتشمل تسجيل الحالة الراهنة للزخرفة وتحديد مواقعها وتوثيق تفاصيلها بالصور والرسومات والقياسات والمسح

الرقمي عند توفره كما يمكن استخدام تقنيات التحليل العلمي لتحديد مكونات المادة والطبقات اللونية ومواد الترميم السابقة والعوامل المسؤولة عن التلف

كما ينبغي تحديد مظاهر التلف التي قد تشمل التشقق والانفصال وفقدان اجزاء من الزخرفة وتفتت المادة وتراكم الاتربة والاملاح وتغير اللون وغيرها من المظاهر التي تختلف بحسب طبيعة المبنى والبيئة المحيطة به ثم تحديد اسباب التلف قبل اختيار طريقة المعالجة المناسبة

وتقوم المحافظة الناجحة على مبدأ التدخل بالقدر الضروري مع الحفاظ على اكبر قدر ممكن من المادة الاصلية وتجنب الاستبدال غير الضروري للعناصر التاريخية كما ينبغي ان تكون المواد المستخدمة في الترميم متوافقة قدر الامكان مع المواد الاصلية من حيث الخصائص الفيزيائية والكيميائية وان تكون قابلة للمراقبة والصيانة المستقبلية

كما تمثل الصيانة الوقائية عاملا اساسيا في حماية الزخارف الجصية اذ تشمل مراقبة الظروف البيئية والسيطرة على مصادر الرطوبة وتسرب المياه وتقليل تراكم الاتربة ومعالجة المشكلات الانشائية التي قد تؤثر في الاسطح المزخرفة فضلا عن اجراء الفحوص الدورية للكشف المبكر عن مظاهر التلف(الريحاوي، 1979، 155)

وتتطلب المحافظة على الزخارف الجصية ايضا الاستفادة من التقنيات الحديثة في التوثيق والتحليل مثل التصوير عالي الدقة والمسح ثلاثي الابعاد وتقنيات التحليل المجهري والكيميائي عند الحاجة بما يساعد على دراسة حالة الزخرفة وتحديد مكوناتها واساليب تنفيذها ووضع خطط علمية مناسبة لصيانتها

وبذلك تمثل المحافظة على الزخارف الجصية عملية متكاملة لا تقتصر على اصلاح التلف الظاهر وانما تهدف الى حماية المادة الاصلية وقيمتها التاريخية والفنية والتقنية والحفاظ على اصالة المبنى وتكامله ومن ثم ضمان استمرار هذه الشواهد المادية بوصفها جزءا من التراث المعماري والفني الاسلامي (الريحاوي، 1979، 158)

ثانيا : العوامل التي تعرض الزخارف الجصية للتلف

تتعرض الزخارف الجصية في المباني الاثرية الاسلامية الى مجموعة من العوامل التي تؤثر في استقرارها المادي وتؤدي الى تغير خصائصها الفنية وفقدان اجزاء منها وتختلف هذه العوامل

بحسب طبيعة المبنى وموقعه والظروف البيئية المحيطة به وحالة المواد الاصلية ومن اهمها العوامل الطبيعية والبيئية والعوامل المرتبطة بخصائص مواد البناء والعوامل البشرية

وتعد الرطوبة من اكثر العوامل تاثيرا في الزخارف الجصية ولا سيما الرطوبة الصاعدة من التربة او الناتجة عن تسرب مياه الامطار والمياه الجوفية او ضعف شبكات تصريف المياه وقد تؤدي الرطوبة المستمرة الى اضعاف تماسك المادة وظهور الاملاح على سطحها وما يرافق ذلك من تفتت وتقشر وانفصال بعض الطبقات الزخرفية كما تؤثر التغيرات في درجات الحرارة والرطوبة النسبية في استقرار المواد الجصية نتيجة ما ينتج عنها من تغيرات متكررة في خصائص المادة وقد تؤدي هذه التغيرات مع مرور الزمن الى ظهور التشققات والانفصالات ولا سيما عندما تتزامن مع ضعف في البنية الانشائية او اختلاف في خصائص المواد المكونة للسطح (الريحاوي، 1979، 160)

وتسهم الاملاح الذائبة في تدهور الزخارف الجصية من خلال انتقالها مع الرطوبة الى مسام المادة ثم تبلورها عند تبخر الماء مما قد يؤدي الى ضغوط داخلية تسبب تفتت السطح او انفصال اجزاء منه كما يمكن للامطار والرياح والعوامل المناخية المختلفة ان تؤثر في الزخارف المعرضة للبيئة الخارجية بصورة مباشرة ويمثل التلوث البيئي عاملا اخر من عوامل التلف اذ يمكن للملوثات والاتربة والمواد العالقة في الهواء ان تتراكم على الاسطح الجصية وتؤثر في مظهرها وقد تتفاعل بعض الملوثات مع مكونات المادة او مع الرطوبة مما يزيد من احتمالية تدهور السطح

اما العوامل البشرية فتشمل الاهمال وعدم اجراء الصيانة الدورية والتدخلات غير الملائمة واعمال الترميم التي تستخدم مواد غير متوافقة مع المواد الاصلية او تغير شكل الزخرفة وابعادها كما يمكن ان تؤدي التعديلات الحديثة او الاستخدام غير المناسب للمبنى الى الحاق الضرر بالزخارف وفقدان جزء من قيمتها التاريخية والفنية(Wikinson ، 1986، 11)

الخاتمة:

يتضح من خلال دراسة الزخارف الجصية في المباني الاثرية الاسلامية انها تمثل احد العناصر المهمة في تكوين الهوية الفنية والجمالية للعمارة الاسلامية وان قيمتها لا تقتصر على الجانب الزخرفي وانما تمتد الى الجوانب المعمارية والتقنية والتاريخية والثقافية فقد استطاع الفنان المسلم

توظيف الخصائص المادية للجص في انتاج تكوينات متنوعة تجمع بين الدقة في التنفيذ والتوازن والتكرار والتجريد والتكامل مع العناصر المعمارية

كما اظهرت الدراسة ان الزخارف الجصية مرت بمراحل متعددة من التطور منذ المراحل المبكرة للعمارة الاسلامية وصولا الى تنوع الاساليب الفنية والتقنية في مختلف المراكز الحضارية وقد اسهمت الظروف الجغرافية والثقافية وتنوع المدارس الفنية وتطور تقنيات التنفيذ في ظهور نماذج متعددة من الزخارف النباتية والهندسية والكتابية والمركبة مع حضور محدود للعناصر الحيوانية والانسانية في بعض السياقات المعمارية

وتبين كذلك ان تطور تقنيات التنفيذ ارتبط بخصائص مادة الجص وقابليتها للتشكيل والحفر والقولبة والاضافة والتجويف والتثقيب مما منح الفنان مجالا واسعا لمعالجة الاسطح المعمارية وتحقيق مستويات مختلفة من البروز والعمق وقد اسهم تفاعل هذه التقنيات مع الضوء والظل في تعزيز القيمة البصرية للزخارف ومنحها تنوعا في المظهر تبعا للبيئة والاضاءة

وتتمتع الزخارف الجصية بقيمة تاريخية ووثائقية مهمة اذ يمكن لبعض الكتابات والعناصر الزخرفية والتقنيات المستخدمة ان توفر مؤشرات تساعد في دراسة تاريخ المباني وتطور اساليبها الفنية والتقنية كما تكشف عن جوانب من التفاعل الحضاري وانتقال المؤثرات الفنية بين مناطق العالم الاسلامي

وفي المقابل تواجه هذه الزخارف مجموعة من عوامل التلف الطبيعية والبيئية والبشرية وفي مقدمتها الرطوبة والاملاح والتغيرات البيئية والتلوث والاهمال والتدخلات غير المتخصصة مما يجعل المحافظة عليها ضرورة علمية وثقافية وتتطلب هذه المحافظة توثيق حالتها ودراسة اسباب التلف واختيار مواد متوافقة وتنفيذ التدخلات من قبل متخصصين الى جانب اعتماد الصيانة الوقائية والمتابعة الدورية

وعليه فان الحفاظ على الزخارف الجصية لا يمثل مجرد حماية لعنصر زخرفي وانما يعد حفاظا على جزء من المادة التاريخية للمبنى وعلى الذاكرة الفنية والتقنية للحضارة الاسلامية ولذلك ينبغي توظيف الدراسات العلمية والتقنيات الحديثة في توثيقها وتحليلها وصيانتها مع احترام

اصالتها وخصائصها التاريخية بما يضمن استمرارها بوصفها شاهدا ماديا على تطور العمارة والفنون الاسلامية ونقل قيمتها الى الاجيال القادمة

المصادر

اولا: المصادر العربية

1. ابن منظور، أ. ف. ج. ا. م. ب. ع. الأ. الإ. (1414ه). لسان العرب (ط. 3، ج. 2، مادة جصص). دار صادر.

2. الباشا، ح. (1989). الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار. الدار الفنية للنشر والتوزيع.

3. الريحاوي، ع. (1979). العمارة العربية الإسلامية وخصائصها وآثارها في سوريا. منشورات وزارة الثقافة.

4. رزق، ع. م. (1984). المحاريب الفاطمية في جوامع القاهرة ومساجدها. مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

5. رزق، ع. م. (2000). معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية (ط. 1). مكتبة مدبولي.

6. سارم، و. (2021). الزخرفة الجصية في العمارة العربية الإسلامية بداياتها تطورها تكويناتها. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، 43(4).

7. طيان، ش. (2008). الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني [أطروحة دكتوراه غير منشورة]. جامعة الجزائر.

8. القريشي، ن. ع. (2014). جماليات خط الثلث بتنوع أساليبه في عمارة المساجد. مجلة كلية التربية للبنات، 25(1).

9. محمد، ف. س. ص. (2024). الزخارف الجصية في ضريح المؤيد بالله محمد بن القاسم بشهارة دراسة أثرية فنية. مجلة الفن والتصميم، 2(4).

10. هجلس، إ. (2025). الزخارف الجصية النجمية في قلعة القطيف قراءة معمارية وفنية. موقع علوم القطيف الإلكتروني.

11. النتشة، ي. (د.ت.). الزخارف الجبصية في العمارة الإسلامية. المركز الفلسطيني للإعلام.

ثانياً: المصادر الانكليزية

12. Creswell, K. A. C. (1940). Early Muslim architecture (Vol. 2). Oxford University Press.

13. Ettinghausen, R. (1952). The beveled style in the post-Samarra period. In G. C. Miles (Ed.), Archaeologica orientalia in memoriam Ernst Herzfeld (pp. 72–83). J. J. Augustin.

14. Herzfeld, E. (1923). Der Wandschmuck der Bauten von Samarra und seine Ornamentik (Ausgrabungen von Samarra I). Dietrich Reimer.

15. Milwright, M. (2017). Samarra and Abbasid ornament. In F. B. Flood & G. Necipoğlu (Eds.), A companion to Islamic art and architecture (pp. 177–196). Wiley-Blackwell. https://doi.org/10.1002/9781119069218.c

16. Wilkinson, C. K. (1986). Nishapur: Some early Islamic buildings and their decoration. The Metropolitan Museum

الفصل التاسع

المعايير الدولية في حماية وصون المباني الأثرية الإسلامية

م.م. رغدة رافد يحيى السامرائي
جامعة سامراء - رئاسة الجامعة - العراق
Email: raghda.r.y@uosamarra.edu.iq

الملخص

يتناول هذا الفصل المعايير الدولية في حماية وصون المباني الأثرية الإسلامية، من خلال عرض تطور الاهتمام بالتراث المعماري والمبادئ التي تنظم حفظه وصيانته وترميمه. ويناقش قيمة المباني الأثرية بوصفها شواهد تاريخية وفنية وثقافية، وما تتعرض له من أخطار بيئية وعمرانية ومن إهمال وتدخلات غير مناسبة. ويعرض المفاهيم المرتبطة بالاتفاقيات والمواثيق الدولية، مع التمييز بين طبيعتها القانونية وأدوارها المرجعية والمهنية كما يعالجها المتن. ثم يتناول الوثائق والمعايير ذات الصلة بحماية الممتلكات الثقافية وصون المواقع والمباني، ومبادئ احترام الأصالة والمواد التاريخية والتوثيق والاستناد إلى الدليل عند اتخاذ قرارات التدخل. كما يناقش اتساع مفهوم الحماية ليشمل البيئة المحيطة والنسيج العمراني والقيم الاجتماعية والثقافية، بدل الاقتصار على المبنى منفردًا. ويعرض الفصل ما يورده البحث عن العراق وتطبيق مبادئ الحماية على التراث المعماري الإسلامي، مع مراعاة خصوصيته ووظائفه وقيمته المجتمعية. وتستند المعالجة إلى العرض والتحليل للمراجع والوثائق المذكورة في النص، وتربط المبادئ العامة بمشكلات الصيانة والإدارة والوقاية من المخاطر. وتبرز أهمية التنسيق بين المعرفة الأثرية والتخطيط والإدارة والمؤسسات المعنية، لضمان ألا تؤدي أعمال الحماية نفسها إلى تشويه الشاهد التاريخي أو فقدان عناصره الأصلية. وبذلك يقدم الفصل إطارًا لفهم مرجعيات الصون الدولي ودورها في توجيه التعامل مع المباني الأثرية الإسلامية، ويؤكد أن استمرارية التراث تتطلب حماية قيمه ومادته وسياقه، لا المحافظة على مظهره الخارجي وحده. ويتيح ترتيب المعايير ومجالاتها فهم العلاقة بين التوثيق والوقاية والتدخل، وتحديد سبب اختلاف أساليب الصون باختلاف حالة المبنى

ومواده واستخدامه. كما تبرز المعالجة أهمية النظر إلى الحماية باعتبارها مسؤولية مستمرة، لا عملية ترميم محدودة تنتهي بانتهاء الأعمال الإنشائية.

الكلمات المفتاحية: المباني الأثرية؛ المعايير الدولية؛ الصون؛ الأصالة؛ التراث الإسلامي

Abstract

This chapter examines international standards for the protection and conservation of Islamic historic buildings. It reviews the development of concern for architectural heritage and the principles used to guide preservation, maintenance, and restoration. Historic buildings are considered as historical, artistic, and cultural evidence exposed to environmental pressures, urban change, neglect, and inappropriate intervention. The chapter introduces conventions and charters and distinguishes their legal and professional functions as discussed in the supplied study. It then considers documents relevant to cultural property and architectural conservation, including principles of authenticity, respect for historic materials, documentation, and evidence-based intervention. The discussion also addresses the expansion of conservation concerns beyond individual monuments to their surroundings, urban fabric, and social and cultural values. The material concerning Iraq is presented in relation to the protection of Islamic architectural heritage and its particular functions and significance. Drawing on the references and documents cited in the chapter, the analysis connects general principles with questions of maintenance, management, and risk prevention. Coordination among archaeological knowledge,

planning, administration, and relevant institutions is emphasized so that protective work does not itself erase or distort historical evidence. The chapter offers a framework for understanding the role of international conservation references and highlights the need to preserve material, meaning, and context rather than a building's outward appearance alone.

Keywords: Historic buildings; International standards; Conservation; Authenticity; Islamic heritage

مقدمة الفصل:

تمثل المباني الاثرية والتراثية الاسلامية احد اهم مظاهر التراث الثقافي والحضاري لما تجسده من تطور في العمارة والفنون واساليب البناء على امتداد العصور الاسلامية ولا تقتصر قيمة هذه المباني على خصائصها المعمارية والزخرفية فحسب بل تمتد لتشمل ابعادا تاريخية وثقافية واجتماعية ودينية جعلت منها جزءا اساسيا من الذاكرة الثقافية للمجتمعات الاسلامية وشاهدا ماديا على المراحل الحضارية التي مرت بها هذه المجتمعات وما شهدته من تطور في الفكر المعماري والتقنيات الانشائية والفنون المرتبطة بها

هذا وبقيت هذه المباني والمواقع عرضة لمخاطر متعددة تهدد بقاءها واصالتها وقيمتها التاريخية والمعمارية ومن ابرز هذه المخاطر العوامل الطبيعية والبيئية والاهمال والتوسع العمراني والتدخلات غير المناسبة في اعمال الصيانة والترميم فضلا عن السرقة والاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية والاضرار الناجمة عن النزاعات المسلحة وقد اسهم تزايد هذه المخاطر في اتساع الاهتمام الدولي بحماية التراث الثقافي والانتقال تدريجيا من الجهود المحلية المحدودة الى وضع مجموعة من المواثيق والاتفاقيات الدولية التي ارست مبادئ وقواعد عامة للحفاظ على الممتلكات الثقافية وصون قيمتها التاريخية والحضارية

ومع تطور الفكر الدولي في مجال حماية التراث الثقافي اتسع مفهوم الحماية تدريجيا فلم يعد مقتصرا على الحفاظ على المعالم التاريخية ذاتها بل امتد ليشمل البيئة المحيطة بها والنسيج

العمراني المرتبط بها كما شمل حماية الممتلكات الثقافية اثناء النزاعات المسلحة ومكافحة الاتجار غير المشروع بها وتعزيز التعاون الدولي في مجال صون التراث وقد ادى هذا التطور الى ترسيخ مفهوم القيمة العالمية الاستثنائية لبعض المواقع والمباني الثقافية والتأكيد على اهمية الاصالة والخصوصية الثقافية وضرورة مراعاتهما عند وضع سياسات الحماية والصيانة والترميم

وتبرز اهمية المعايير والمواثيق الدولية في كونها توفر اطارا مرجعيا لتنظيم اساليب التعامل مع المباني الاثرية والتراثية وتحديد المبادئ التي ينبغي مراعاتها في عمليات الحماية والصيانة والترميم بما يسهم في الحد من التدخلات التي قد تؤدي الى فقدان اصالة المبنى او تشويه قيمته التاريخية والمعمارية كما تسهم هذه المعايير في تعزيز المسؤولية المشتركة تجاه التراث الثقافي وتدعم جهود الدول في تطوير التشريعات والسياسات والاليات اللازمة لحمايته بما يتلاءم مع خصوصية كل موقع وقيمته الثقافية

وعليه يتناول هذا المبحث مفهوم الاتفاقيات والمعايير الدولية واهميتها في حماية التراث المعماري ونشوء وتطور الاهتمام الدولي بحمايته ثم يستعرض اهم الاتفاقيات والمواثيق الدولية ذات الصلة بالمباني الاثرية والتراثية الاسلامية مع بيان المبادئ التي ارستها في مجال الحماية والصون والترميم كما يتناول موقف العراق من هذه الاتفاقيات واليات تطبيق مبادئها في حماية التراث المعماري الاسلامي بما ينسجم مع خصوصية هذا التراث وقيمته التاريخية والحضارية

مفهوم الاتفاقيات الدولية واهميتها في حماية التراث المعماري

اولا: مفهوم الاتفاقيات الدولية

يقصد بالاتفاقيات الدولية في مجال التراث الثقافي مجموعة المبادئ والقواعد والالتزامات التي اقرتها الدول والمنظمات الدولية بهدف تنظيم اساليب التعامل مع الممتلكات والمباني والمواقع ذات القيمة التاريخية او الثقافية او الفنية ووضع اطار عام لحمايتها والحفاظ على قيمها واصالتها وضمان استمراريتها بوصفها جزءا من التراث الثقافي المشترك للانسانية(عبد الرحمن، 2006، 270)

وقد اسهم تطور الاهتمام الدولي بالتراث الثقافي في ظهور مجموعة من الاتفاقيات والمواثيق والوثائق التي تناولت جوانب متعددة من حماية التراث ولم تعد هذه الوثائق تركز على المبنى

الاثري بوصفه كيانا منفردا فحسب بل امتدت لتشمل البيئة المحيطة به والنسيج العمراني المرتبط به والقيم التاريخية والثقافية التي يحملها كما تناولت اساليب الحفظ والصيانة والترميم والتوثيق والادارة والوقاية من المخاطر

وتشمل الاتفاقيات والمواثيق الدولية كذلك عددا من المبادئ المتعلقة بالحفاظ على اصالة الممتلكات الثقافية واحترام موادها وعناصرها التاريخية والاستناد الى الادلة التاريخية والعلمية عند اتخاذ قرارات التدخل وتجنب المعالجات القائمة على التخمين فضلا عن حماية الممتلكات الثقافية من الاخطار التي قد تتعرض لها نتيجة النزاعات المسلحة او الاهمال او التغيرات العمرانية او الاتجار غير المشروع بها(عبد الرحمن، 2006، 275)

1- طبيعة الاتفاقيات والمواثيق الدولية

تختلف وثائق التراث الثقافي الدولي من حيث طبيعتها القانونية ومدى الزام الدول بها فالاتفاقيات الدولية التي تعتمدها الدول وتصدق عليها او تنضم اليها تنشئ التزامات قانونية وفقا لاحكامها ومن ابرزها اتفاقية لاهاي لعام 1954 الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح واتفاقية اليونسكو لعام 1972 المتعلقة بحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي

وفي مقابل الاتفاقيات ذات الطبيعة القانونية الملزمة توجد مواثيق ووثائق مهنية وفنية لا تتمتع بالدرجة نفسها من الالزام القانوني لكنها اكتسبت اهمية كبيرة بوصفها مرجعيات اساسية في تطوير الفكر والممارسة المهنية في مجال الحفاظ على التراث ومن ابرزها ميثاق اثينا لعام 1931 وميثاق البندقية لعام 1964 ووثيقة نارا بشأن الاصالة لعام 1994

وقد اسهم هذا التنوع في وثائق التراث الدولي في تشكيل منظومة متكاملة تجمع بين الالتزامات القانونية والمبادئ المهنية والفنية بحيث اصبحت عملية حماية التراث تستند الى اطار متعدد المستويات يحدد مسؤوليات الدول ويوجه الممارسات المهنية ويعزز التعاون الدولي في مجال الحفاظ على الممتلكات الثقافية(الحبشي، 2020، 4 -10)

2- اهمية الاتفاقيات الدولية في حماية التراث المعماري

تتمثل اهمية الاتفاقيات والمواثيق الدولية في توفير مرجعية مشتركة تستند اليها الدول والمؤسسات والجهات المختصة في وضع سياسات حماية التراث المعماري وتنفيذ اعمال الحفظ والصيانة

والترميم كما اسهمت في تطوير المفاهيم والممارسات العلمية المتعلقة بالتعامل مع المباني والمواقع التاريخية وترسيخ مجموعة من المبادئ التي تهدف الى المحافظة على قيمتها واصالتها واستمراريتها

ومن اهم المبادئ التي اكدتها المواثيق الدولية احترام القيمة التاريخية والمعمارية للمبنى والمحافظة على عناصره ومواده الاصلية والاستناد الى الادلة التاريخية والعلمية في اتخاذ قرارات التدخل وتجنب الترميم القائم على التخمين والتمييز بين العناصر الاصلية والاضافات الحديثة عند الحاجة الى التدخل فضلا عن ضرورة توثيق حالة المبنى قبل اعمال الحفظ والصيانة والترميم واثناء تنفيذها وبعد الانتهاء منها

كما ساهم تطور الفكر الدولي في الانتقال من مفهوم الحماية التقليدي الذي كان يركز بصورة اساسية على معالجة مظاهر التلف بعد حدوثها الى مفهوم اكثر شمولا يقوم على الوقاية من عوامل التدهور وادارة المخاطر والصيانة الدورية والتوثيق المستمر ومتابعة حالة المبنى بصورة منتظمة ويعكس هذا التحول ادراكا متزايدا بان حماية التراث لا تتحقق من خلال التدخل الترميمي وحده بل من خلال منظومة متكاملة من الاجراءات الوقائية والعلمية والادارية التي تضمن المحافظة على القيم التاريخية والمعمارية للمباني واستمرارها للاجيال القادمة (الحبشي، 2020، 14)

3- اهمية الاتفاقيات الدولية للتراث المعماري الاسلامي

تحظى الاتفاقيات الدولية بأهمية خاصة في حماية المباني الاثرية الاسلامية نظرا لما تتميز به من تنوع كبير في اشكالها ووظائفها وموادها وتقنياتها الانشائية والزخرفية اذ تشمل المساجد والمدارس والاضرحة والقصور والخانات والاسواق التاريخية وغيرها من المنشآت التي تتكامل فيها العناصر المعمارية والفنية مثل القباب والمآذن والايوانات والمقرنصات والزخارف الجصية والكتابات العربية والبلاطات الخزفية(سعيدي، 2024، 46)

وتسهم مبادئ الحفظ المعتمدة دوليا في حماية هذه العناصر والمحافظة على اصالتها وقيمتها التاريخية والفنية مع مراعاة الخصائص المميزة لكل مبنى وسياقه التاريخي والثقافي وتزداد اهمية تطبيق هذه المبادئ في المواقع التي تواجه مخاطر النزاعات المسلحة والكوارث الطبيعية

والعوامل البيئية والتدخلات العمرانية غير الملائمة بما يضمن الحد من فقدان عناصرها الاصلية والحفاظ على قيمتها التراثية(سعيدي، 47،2024-52)

ثانياً: نشوء وتطور الاهتمام الدولي بحماية التراث المعماري

بدأ الاهتمام الدولي المنظم بحماية التراث المعماري بصورة واضحة خلال النصف الاول من القرن العشرين نتيجة تزايد الحاجة الى وضع اسس علمية للتعامل مع المباني التاريخية ولا سيما في ظل انتشار بعض ممارسات الترميم التي اعتمدت على الاجتهاد الشخصي واعادة بناء العناصر المفقودة دون الاستناد الى ادلة تاريخية وعلمية كافية وقد اسهم ذلك في ظهور توجهات جديدة تدعو الى دراسة المبنى وتوثيقه واحترام مواده وعناصره الاصلية قبل اجراء اي تدخل

وشهدت هذه المرحلة تطورا في مفهوم الحفاظ على التراث فلم يعد الاهتمام موجها الى المبنى الاثري بصورة منفردة بل بدأ يرتبط بسياقه التاريخي والبيئي والعمراني كما اسهمت المؤتمرات والمواثيق الدولية المتخصصة في وضع مبادئ مهنية شكلت اساسا لتطور الفكر الحديث في مجال الحفظ والصيانة والترميم(ايكورم، الشارقة، 2023)

وازداد الاهتمام الدولي بحماية الممتلكات الثقافية بصورة ملحوظة نتيجة ما تعرضت له المواقع والمباني التاريخية من اضرار خلال النزاعات المسلحة ولا سيما الحربين العالميتين مما ابرز الحاجة الى وضع قواعد دولية واضحة لحماية الممتلكات الثقافية في اوقات النزاع وتعزيز التعاون بين الدول في هذا المجال وقد شكل انشاء منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة اليونسكو مرحلة مهمة في تطوير الجهود الدولية الرامية الى حماية التراث الثقافي من خلال اعتماد عدد من الاتفاقيات والبرامج التي تناولت حماية الممتلكات الثقافية وتعزيز التعاون الدولي بشأنها

ومع تطور مفهوم التراث اتسعت دائرة الحماية لتشمل المدن والمناطق التاريخية والنسيج العمراني والبيئة المحيطة بالمباني التراثية واصبحت القيمة الثقافية لا تقاس بالمبنى منفردا فحسب بل بالعلاقات التي تربطه بالعناصر العمرانية المحيطة به ويتضح ذلك بصورة خاصة في المدن الاسلامية التاريخية التي تقوم قيمتها على تكامل مجموعة من العناصر المعمارية والعمرانية مثل المساجد والمدارس والاسواق والخانات والحمامات والبيوت والازقة والميادين وما تشكله هذه

العناصر مجتمعة من نسيج حضري يعكس الخصائص التاريخية والثقافية للمجتمع(البغدادي، 2019، 332)

وبذلك تطورت منظومة الحماية الدولية بصورة تدريجية من مواثيق مهنية ارست المبادئ الاولى للحفظ العلمي الى قواعد واتفاقيات دولية تعنى بحماية الممتلكات الثقافية في النزاعات المسلحة ومكافحة الاتجار غير المشروع بها ثم الى مفاهيم اكثر شمولا ترتبط بالتراث العالمي والاصالة والقيمة الثقافية والحماية المستدامة بما عزز دور المعايير الدولية في المحافظة على التراث المعماري بمختلف اشكاله وخصوصياته

1- توصيات مؤتمر مدريد 1904

تمثل توصيات مؤتمر مدريد لعام 1904 احدى المحاولات المبكرة لوضع مبادئ دولية للتعامل مع المباني والمعالم التاريخية وقد اسهمت في توجيه الاهتمام نحو ضرورة الحفاظ على القيمة التاريخية والمعمارية للمباني والحد من التدخلات التي قد تؤدي الى تشويه خصائصها الاصلية كما شجعت على الاستناد الى المعرفة الفنية والتاريخية عند اجراء اعمال الصيانة والترميم ومراعاة طبيعة المبنى وخصائصه عند اختيار اساليب التدخل وقد شكلت هذه التوصيات خطوة مبكرة في تطور الفكر الدولي للحفاظ على التراث ومهدت لظهور مواثيق اكثر تنظيما كان من ابرزها ميثاق اثينا لعام 1931 (عبد الرحمن، 2006، 277)-

2- ميثاق اثينا 1931م

شكل تطور الاهتمام الدولي بحماية التراث المعماري خلال النصف الاول من القرن العشرين بداية لمرحلة جديدة انتقلت فيها عملية الحفاظ على المباني والمواقع التاريخية من الممارسات الفردية الى اعتماد مبادئ اكثر تنظيما تستند الى الاسس العلمية والمهنية وقد كان ميثاق اثينا لعام 1931م من ابرز الوثائق الدولية التي اسهمت في ترسيخ هذا الاتجاه ووضع مجموعة من المبادئ المتعلقة بالحفاظ على الاثار التاريخية وترميمها(Rosa , 2021، 114)

ويعد ميثاق اثينا من الوثائق المهمة في تاريخ الحفاظ على التراث المعماري اذ صدر في اطار المؤتمر الدولي للمهندسين المعماريين والفنيين المتخصصين في الحفاظ على المباني التاريخية الذي عقد في اثينا عام 1931م وقد اسهم الميثاق في تعزيز الاتجاه نحو اخضاع عمليات الحفاظ

والصيانة والترميم للدراسة العلمية والاستناد الى المعرفة المتخصصة بدلا من الاعتماد على الاجتهادات الفردية التي قد تفتقر الى الاسس التاريخية والفنية

واكد الميثاق اهمية احترام القيمة التاريخية والفنية للمباني والمحافظة على خصائصها الاصلية وتجنب التدخلات التي يمكن ان تؤدي الى تشويه طابعها كما دعا الى مراعاة البيئة المحيطة بالمعالم التاريخية وعدم التعامل معها بوصفها عناصر منفصلة عن سياقها العمراني مما شكل خطوة مبكرة نحو توسيع مفهوم الحماية ليشمل العلاقة بين المبنى ومحيطه

ومن المبادئ المهمة التي ارتبطت بميثاق اثينا التأكيد على الاستفادة من العلوم والتقنيات الحديثة في دراسة المباني التاريخية وتشخيص حالتها ومعالجة ما تتعرض له من مشكلات وقد ساعد هذا التوجه على تعزيز الطابع العلمي لاعمال الحفاظ واتخاذ قرارات تستند الى الدراسة والتحليل بدلا من المعالجات العشوائية او الافتراضات غير المدعومة بالادلة

وتكتسب هذه المبادئ اهمية خاصة عند تطبيقها على التراث المعماري الاسلامي لما تتميز به مبانيه من تكامل بين العناصر المعمارية والفنية والانشائية اذ ينبغي التعامل مع القباب والمآذن والايوانات والمقرنصات والزخارف والواجهات وغيرها بوصفها اجزاء مترابطة ضمن منظومة معمارية واحدة كما تتطلب حمايتها مراعاة الساحات والشوارع والمباني التاريخية المحيطة بها والحفاظ على العلاقة التي تربط المبنى بسياقه العمراني والتاريخي

وبذلك اسهم ميثاق اثينا في وضع اساس مهم لتطور الفكر الحديث في مجال الحفاظ على التراث المعماري من خلال التأكيد على الدراسة العلمية واحترام القيمة التاريخية والفنية للمباني ومراعاة سياقها العمراني والاستفادة من العلوم والتقنيات الحديثة وقد مهدت هذه المبادئ لظهور مواثيق ووثائق دولية اكثر تفصيلا في العقود اللاحقة وتطور المفاهيم المرتبطة بالحماية والصيانة والترميم(Rosa ، 2021، 118- 120)

ثالثاً: اتفاقية لاهاي لعام 1954 وميثاق البندقية لعام 1964

بعد ان اسهمت المواثيق الاولى في وضع الاسس العامة للحفاظ على المعالم التاريخية اتجه الاهتمام الدولي نحو معالجة جوانب اكثر تحديدا تتعلق بحماية الممتلكات الثقافية من الاخطار التي تهددها وتنظيم اساليب الحفاظ عليها وصيانتها وترميمها بما يضمن المحافظة على قيمتها

التاريخية والمعمارية وقد تجسد هذا الاتجاه في عدد من الوثائق الدولية التي ظهرت خلال هذه المرحلة وكان من ابرزها اتفاقية لاهاي لعام 1954 وميثاق البندقية لعام 1964

1- اتفاقية لاهاي لعام 1954م

نتيجة للاضرار الجسيمة التي لحقت بالممتلكات الثقافية خلال النزاعات المسلحة ولا سيما ما تعرض له التراث الثقافي من خسائر واسعة اثناء الحرب العالمية الثانية برزت الحاجة الى وضع اطار دولي واضح يوفر حماية قانونية للممتلكات الثقافية اثناء النزاعات المسلحة وفي هذا السياق اعتمدت اتفاقية لاهاي بشأن حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح في لاهاي بتاريخ 14 مايو 1954م تحت اشراف منظمة اليونسكو لتشكل احدى اهم الخطوات في تطوير الحماية الدولية للتراث الثقافي

هدفت الاتفاقية الى توفير حماية للممتلكات الثقافية من الاخطار التي قد تتعرض لها اثناء النزاعات المسلحة واكدت اهمية اتخاذ التدابير الوقائية اللازمة لحمايتها في زمن السلم والاستعداد لمواجهة المخاطر المحتملة كما شملت الحماية الممتلكات الثقافية المنقولة وغير المنقولة ودعت الى اتخاذ الاجراءات المناسبة للحد من اخطار الحريق والانهيار وغيرها من الاضرار التي يمكن ان تلحق بها

كما اكدت الاتفاقية ضرورة احترام الممتلكات الثقافية والامتناع عن استهدافها او استخدامها على نحو يعرضها للتدمير او الضرر وبذلك اسهمت في نقل حماية التراث الثقافي من نطاق المبادئ العامة الى نطاق الحماية القانونية الدولية اثناء النزاعات المسلحة

وتكتسب الاتفاقية اهمية خاصة بالنسبة للمباني التاريخية الاسلامية مثل المساجد والمدارس والاضرحة والقصور والخانات ولا سيما الواقعة في المناطق المعرضة للنزاعات المسلحة كما توفر مبادئها اساسا يمكن الاستناد اليه في اعداد خطط الحماية والطوارئ واتخاذ التدابير الوقائية اللازمة قبل وقوع الاخطار(سعيدي، 2024، 82)

2- البروتوكول الاول الملحق باتفاقية لاهاي لعام 1954م

ارتبط البروتوكول الاول باتفاقية لاهاي لعام 1954 وجاء لمعالجة جانب يتعلق بالممتلكات الثقافية التي يمكن ان تتعرض للنهب او النقل غير المشروع من الاراضي المحتلة خلال النزاعات

المسلحة وقد ركز على منع اخراج الممتلكات الثقافية من الاراضي المحتلة بصورة مخالفة للقواعد الدولية والعمل على اعادتها في الحالات التي يتم فيها نقلها بصورة غير مشروعة

وتبرز اهمية البروتوكول في حماية الممتلكات الثقافية المنقولة المرتبطة بالمباني والمواقع التاريخية الاسلامية مثل المخطوطات والمنابر والابواب والنقوش والتحف والعناصر الزخرفية التي قد تتعرض للنهب او التهريب اثناء النزاعات المسلحة وبذلك امتدت الحماية الدولية الى جانب مهم من التراث الثقافي المنقول المرتبط بالمباني والمواقع التاريخية(سعيدي، 2024، 84)

3- ميثاق البندقية لعام 1964م

مع تطور الاهتمام الدولي من مجرد حماية الممتلكات الثقافية من اخطار النزاعات المسلحة الى تطوير الاساليب العلمية للحفاظ عليها وترميمها برز ميثاق البندقية لعام 1964م بوصفه مرحلة مهمة في تطور الفكر الدولي للحفاظ على المعالم والمواقع التاريخية

ووسع الميثاق مفهوم المعلم التاريخي بحيث لا يقتصر على المبنى منفردا بل يشمل البيئة التي يرتبط بها وسياقه التاريخي والعمراني كما اكد ضرورة احترام المواد الاصلية والعناصر التاريخية للمبنى والمحافظة على قيمته المعمارية والتاريخية

وشدد الميثاق على اهمية الاعتماد على الاساليب العلمية والتقنيات المناسبة في اعمال الحفظ والترميم وتجنب التدخلات التي تقوم على التخمين او تؤدي الى تشويه او تزييف القيمة التاريخية للمبنى كما اكد ضرورة توثيق اعمال الحفظ والترميم وما يجرى من تدخلات بما يتيح متابعة حالة المبنى والرجوع الى مراحل العمل التي اجريت عليه

وتتجلى اهمية هذه المبادئ في التعامل مع المباني الاسلامية التي فقدت بعض اجزائها المعمارية او الزخرفية اذ ينبغي قبل اعادة بناء اي جزء مفقود الرجوع الى الوثائق والصور والمخططات والادلة التاريخية المتاحة وعدم اللجوء الى اعادة البناء على اساس التخمين او الافتراض غير المدعوم بالادلة

كما تكتسب مبادئ الميثاق اهمية في التعامل مع التنوع الاقليمي للعمارة الاسلامية اذ ان تطبيق مبادئ الحفظ لا يعني توحيد اساليب الترميم وانما يتطلب مراعاة الخصائص المعمارية والانشائية والفنية لكل بيئة تاريخية بما في ذلك العمارة الاسلامية في العراق وفارس ومصر والمغرب

والاندلس وغيرها من البيئات التي اسهمت في تشكيل التنوع الحضاري للعمارة الاسلامية (القاضي، شيبان، 2021، 166- 170)

رابعاً: اتفاقية اليونسكو لعام 1970 واتفاقية التراث العالمي لعام 1972

بعد ان تناولت الاتفاقيات والمواثيق السابقة حماية الممتلكات الثقافية من اخطار النزاعات المسلحة ووضع المبادئ العلمية للحفاظ عليها وترميمها اتجه الاهتمام الدولي الى معالجة جوانب اخرى من حماية التراث الثقافي ولا سيما مكافحة الاستيراد والتصدير والنقل غير المشروع للممتلكات الثقافية ثم توسيع نطاق الحماية ليشمل الممتلكات والمواقع التي تتمتع بقيمة عالمية استثنائية وقد تجسد هذا الاتجاه في اتفاقية اليونسكو لعام 1970 واتفاقية حماية التراث العالمي لعام 1972

1- اتفاقية اليونسكو لعام 1970م

ادى تزايد عمليات سرقة الممتلكات الثقافية وتهريبها والاتجار غير المشروع بها الى تهديد جانب مهم من التراث الثقافي العالمي مما استلزم تعزيز التعاون الدولي ووضع قواعد واضحة للحد من هذه الممارسات وحماية الممتلكات الثقافية من الضياع او النقل غير المشروع وفي هذا السياق اعتمدت اليونسكو عام 1970 اتفاقية بشأن الوسائل الواجب استخدامها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة

وهدفت الاتفاقية الى الحد من الاستغلال غير المشروع للممتلكات الثقافية وتعزيز مسؤولية الدول في اتخاذ التدابير اللازمة لمنع استيرادها او تصديرها بصورة غير قانونية فضلا عن دعم التعاون الدولي في استرداد الممتلكات الثقافية التي نقلت بصورة مخالفة للقواعد المعمول بها

وتشمل اهمية هذه الحماية الممتلكات المرتبطة بالتراث الاسلامي مثل المخطوطات والمنابر والابواب والنقوش والتحف والعناصر المعمارية والزخرفية التي قد تتعرض للسرقة او التهريب والاتجار غير المشروع ولا سيما في المناطق التي تعاني من النزاعات المسلحة او ضعف وسائل الحماية والرقابة(اوكيف، واخرون، 2017، 78)

2- اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام 1972م

مع تطور مفهوم الحماية الدولية اتجه المجتمع الدولي الى الاعتراف بان بعض الممتلكات الثقافية والطبيعية تتمتع بقيمة تتجاوز حدود الدولة التي تقع فيها وتمثل اهمية استثنائية للانسانية جمعاء

وفي هذا السياق اعتمدت اليونسكو اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي في باريس بتاريخ 16 نوفمبر 1972م ودخلت حيز التنفيذ في 17 ديسمبر 1975م

مثل اعتماد الاتفاقية تحولا مهما في مفهوم الحماية الدولية اذ اقرت مبدأ القيمة العالمية الاستثنائية للممتلكات الثقافية والطبيعية ووضعت اطارا دوليا لتعزيز حمايتها والمحافظة عليها بوصفها جزءا من التراث ذي الاهمية للبشرية جمعاء وتشمل الممتلكات الثقافية التي تتناولها الاتفاقية الاثار والمجموعات المعمارية والمواقع ذات القيمة التاريخية او الفنية او العلمية او الجمالية او الاثرية(ICOMOS and ICCROM ، 2024)

كما اكدت الاتفاقية مسؤولية الدول في تحديد الممتلكات ذات القيمة التراثية الموجودة في اقاليمها والعمل على حمايتها والحفاظ عليها ونقل قيمتها الى الاجيال القادمة مع تعزيز التعاون الدولي في مجال صون التراث العالمي

وتتجلى اهمية الاتفاقية بصورة خاصة في المدن الاسلامية التاريخية التي لا ترتبط قيمتها بمبنى منفرد وانما تقوم على تكامل نسيج عمراني يضم المساجد والمدارس والاسواق والخانات والحمامات والمنازل والازقة والميادين وما بينها من علاقات تاريخية وعمرانية وبصرية ووظيفية ولذلك فان حماية المدن التاريخية تتطلب الحفاظ على هذا التكامل وعدم التعامل مع المباني بصورة منفصلة عن محيطها

ولا يمثل ادراج الموقع على قائمة التراث العالمي نهاية عملية الحماية وانما يشكل بداية لمسؤولية مستمرة تتطلب الادارة والمتابعة والصيانة والتوثيق ورصد التغيرات التي يمكن ان تؤثر في قيمته العالمية الاستثنائية وضمان استمرار هذه القيمة والمحافظة عليها للاجيال القادمة (Petzet , 2024 ، 14)

خامساً: وثيقة نارا لعام 1994 والبروتوكول الثاني لعام 1999

مع تطور منظومة الحماية الدولية للتراث الثقافي واتساع نطاقها لتشمل الممتلكات الثقافية والمدن والمناطق التاريخية برزت الحاجة الى تطوير المفاهيم المرتبطة بقيم التراث ولا سيما مفهوم الاصالة وطرق تقييمها كما استمر الاهتمام بتعزيز الحماية القانونية للممتلكات الثقافية اثناء النزاعات المسلحة وقد تجسد هذا التطور في وثيقة نارا بشأن الاصالة لعام 1994 والبروتوكول

الثاني الملحق باتفاقية لاهاي لعام 1999(المواثيق الدولية لحفظ وترميم المعالم والمواقع الاثرية، 2023،36)

1- وثيقة نارا بشأن الاصالة لعام 1994م

جاءت وثيقة نارا بشأن الاصالة لعام 1994 لتطوير النقاش الدولي حول مفهوم الاصالة في التراث الثقافي واكدت ان تقييم اصالة الممتلكات الثقافية ينبغي ان يراعي الخصائص الثقافية والتاريخية لكل مجتمع والا يعتمد على معيار واحد يطبق بصورة متماثلة على مختلف الثقافات والبيئات التراثية

وتتعدد مظاهر الاصالة في المباني الاسلامية فقد ترتبط بمواد البناء الاصلية وتقنيات الانشاء التقليدية والتصميم المعماري والتكوين والعناصر الزخرفية والكتابات العربية فضلا عن علاقة المبنى بموقعه ووظيفته التاريخية والاجتماعية ولذلك لا يمكن تقييم اصالة المبنى من خلال مظهره الخارجي وحده بل ينبغي النظر الى مجموع القيم والعناصر التي تشكل هويته التاريخية والثقافية (المواثيق الدولية لحفظ وترميم المعالم والمواقع الاثرية، 2023،39)

ومن هذا المنطلق فان استبدال المواد الاصلية بمواد حديثة دون دراسة علمية او اعادة انتاج العناصر والزخارف المفقودة اعتمادا على التخمين قد يؤدي الى اضعاف اصالة المبنى حتى في حال المحافظة على مظهره الخارجي ولذلك ينبغي ان تستند اعمال الحفظ والترميم الى الادلة والوثائق المتاحة وان تراعي الخصائص المميزة لكل مبنى وسياقه الثقافي والتاريخي

2- الاستدامة واعادة الاستخدام المناسب

ارتبط التطور الحديث في مجال الحفاظ على التراث بفكرة استمرار المباني التاريخية في اداء وظائف مناسبة تتلاءم مع قيمتها وخصائصها المعمارية والثقافية سواء كانت وظائف ثقافية او تعليمية او مجتمعية او سياحية على ان يتم ذلك دون الاضرار بالقيم التاريخية والمعمارية للمبنى او احداث تغييرات تفقده اصالته

وتكتسب اعادة الاستخدام اهمية خاصة في المباني الاسلامية التي ما زالت تؤدي وظائفها الاصلية مثل المساجد وبعض المدارس والمباني الدينية اذ يتطلب التعامل معها تحقيق التوازن بين استمرار

استخدامها والمحافظة على عناصرها التاريخية والمعمارية وعدم اخضاعها لتغييرات تتعارض مع طبيعتها او قيمتها التراثية

كما تسهم الصيانة المستمرة والاستخدام الملائم في استدامة المباني التاريخية والحد من تدهورها شريطة ان تستند عمليات التكيف مع الوظائف الحديثة الى دراسة دقيقة لخصائص المبنى وقدرته على استيعاب التغييرات المطلوبة (Foster , G، 2021، 9-12)

3- البروتوكول الثاني الملحق باتفاقية لاهاي لعام 1999م

مع استمرار الحاجة الى تعزيز الحماية الدولية للممتلكات الثقافية اثناء النزاعات المسلحة اعتمد البروتوكول الثاني الملحق باتفاقية لاهاي في 26 مارس 1999م ودخل حيز التنفيذ في 9 مارس 2004م وجاء لتعزيز نظام الحماية الذي اقرته اتفاقية لاهاي والبروتوكول الاول من خلال تطوير قواعد اكثر تفصيلا لحماية الممتلكات الثقافية اثناء النزاعات المسلحة

ومن ابرز ما جاء به البروتوكول تعزيز الحماية للممتلكات الثقافية ذات الاهمية الكبرى للانسانية ووضع احكام تتعلق بالحماية المعززة للممتلكات التي تستوفي الشروط المحددة في البروتوكول كما عزز قواعد احترام الممتلكات الثقافية والتدابير الوقائية اللازمة لحمايتها

واولى البروتوكول اهمية للاجراءات الوقائية والتخطيط المسبق لمواجهة الاخطار من خلال التوثيق واعداد خطط الطوارئ وتحديد المخاطر ونقاط الضعف واتخاذ التدابير اللازمة للحد من الاضرار المحتملة (UNESCO ، 1999، 11)

وتكتسب هذه المبادئ اهمية خاصة في حماية المواقع والمباني الاسلامية ذات القيمة التاريخية ولا سيما الواقعة في المناطق المعرضة للنزاعات المسلحة اذ ان الحماية الفعالة لا تبدأ عند وقوع الخطر وانما تتطلب استعدادا مسبقا يقوم على توثيق حالة المبنى وتحديد عناصره وقيمه ونقاط ضعفه واعداد خطط للاستجابة والطوارئ بما يسهم في الحد من الخسائر والمحافظة على التراث للاجيال القادمة (UNESCO ، 1999، 15)

سادساً: آليات تنفيذ الاتفاقيات الدولية لحماية المباني الاثرية والتراثية الاسلامية

لا تكتمل فعالية الاتفاقيات والمواثيق الدولية بمجرد اعتمادها او الانضمام اليها وانما تتوقف اهميتها العملية على مدى ترجمة مبادئها الى اجراءات واقعية قابلة للتطبيق داخل المواقع والمباني

الاثرية والتراثية ولذلك يتطلب تنفيذها منظومة متكاملة من الاليات العلمية والادارية والقانونية والمجتمعية التي تسهم في حماية المباني والمحافظة على قيمها التاريخية والمعمارية والثقافية

1- التوثيق الشامل

يمثل التوثيق الاساس الاول لاي عملية حماية او صيانة او ترميم ويشمل تسجيل الحالة المعمارية والانشائية والزخرفية للمبنى واعداد المخططات والرسومات والصور وقواعد البيانات التي تتضمن المعلومات التاريخية والفنية والتقنية المتعلقة به ويساعد التوثيق الدقيق على متابعة التغيرات التي تطرأ على المبنى وتحديد مظاهر التدهور والرجوع الى المعلومات الموثقة عند اتخاذ قرارات الحفظ والترميم (Aman ، 2028، 45)

2- الصيانة الوقائية

تعد الصيانة الوقائية من اهم وسائل حماية المباني التاريخية لانها تركز على اكتشاف مظاهر التلف في مراحلها المبكرة والحد من تطورها قبل تحولها الى اضرار جسيمة وتشمل الفحص الدوري للاسقف والجدران والعناصر المعمارية والزخرفية ومعالجة مشكلات الرطوبة والتشققات وتصريف مياه الامطار وغيرها من عوامل التدهور مع اختيار المواد وطرق المعالجة المتوافقة مع المواد الاصلية للمبنى (Aman، 2018، 50)

اعداد خطط الطوارئ

تحتاج المواقع الاثرية ولا سيما الواقعة في المناطق المعرضة للنزاعات المسلحة او الكوارث الطبيعية الى خطط واضحة للاستجابة لحالات الطوارئ وتتضمن هذه الخطط تحديد مصادر الخطر وتقييم نقاط الضعف وتحديد العناصر ذات الاهمية وتوثيقها وتحديد الجهات المسؤولة عن التدخل ووضع الاجراءات اللازمة لحماية العناصر المنقولة ونقلها او اخلائها عند الضرورة بما يسهم في الحد من الخسائر والحفاظ على الممتلكات الثقافية (Aman ، 2018، 52)

3- تشكيل فرق متعددة التخصصات

تتطلب حماية المباني الاسلامية التاريخية تكامل عدد من التخصصات العلمية والمهنية ومنها الهندسة المعمارية وعلم الاثار والترميم والتاريخ وهندسة المواد والهندسة الانشائية الى جانب الحرفيين المتخصصين في تقنيات البناء التقليدية ويسهم هذا التكامل في فهم المبنى بصورة شاملة

واتخاذ قرارات اكثر دقة وتجنب المعالجات الاحادية التي قد تؤثر في قيمته التاريخية او المعمارية(Aman، 2018،58)

4- الحفاظ على القيمة الاجتماعية والدينية

لا تقتصر قيمة العديد من المباني الاسلامية على خصائصها المادية والمعمارية بل ترتبط بوظائفها الدينية والاجتماعية المستمرة ولذلك ينبغي عند وضع خطط الحماية مراعاة استمرار الاستخدام المشروع للمبنى ولا سيما المساجد والمباني الدينية مع ضمان عدم تعارض هذا الاستخدام مع متطلبات الحفاظ على العناصر التاريخية والاثرية وعدم اجراء تغييرات تؤثر في اصالتها وقيمتها (Alfatlawi ، 2025، 10)

5- تنظيم السياحة وادارة حركة الزوار

يمكن للسياحة الثقافية ان تسهم في دعم حماية التراث من خلال توفير الموارد وتعزيز الوعي بقيمته التاريخية والثقافية الا ان الزيادة غير المنظمة في اعداد الزوار قد تؤدي الى الضغط على المباني والمواقع التاريخية ولذلك تتطلب ادارة المواقع تنظيم حركة الزوار وتحديد المسارات المناسبة ومراقبة الطاقة الاستيعابية للموقع وتوفير الخدمات الضرورية بما لا يؤثر في قيمته التاريخية والمعمارية (Alfatlawi ، 2025، 11)

6- استخدام التوثيق الرقمي والتقنيات الحديثة

اصبحت التقنيات الرقمية من الادوات المهمة في توثيق التراث وحمايته ومن ابرزها التصوير الرقمي والمسح الضوئي ثلاثي الابعاد ونظم المعلومات الجغرافية وقواعد البيانات الرقمية وتساعد هذه التقنيات في انشاء سجلات دقيقة للمباني ومراقبة حالتها وتوثيق عناصرها وتوفير نسخ رقمية من المعلومات التي يمكن الرجوع اليها عند تعرض المبنى للتلف او التدمير كما تسهم في دعم الدراسات العلمية ومتابعة اعمال الصيانة والترميم (Sumaidaee، 2025، 12)

7- التشريع والتمويل والمشاركة المجتمعية

يتطلب التنفيذ الفعال للاتفاقيات الدولية وجود تشريعات وطنية واضحة توفر الحماية القانونية للمباني والمواقع التاريخية وتحدد مسؤوليات الجهات المختصة فضلا عن توفير التمويل المستمر لاعمال الصيانة والترميم والتوثيق كما تعد المشاركة المجتمعية عاملا مهما في استدامة حماية

التراث اذ يسهم السكان المحليون واصحاب الخبرات والحرفيون في المحافظة على المعارف والتقنيات التقليدية المرتبطة بالمباني التاريخية ويمثلون جزءا من البيئة الثقافية والاجتماعية التي نشأ فيها هذا التراث (Sumaidaee، 2025، 15)

وعليه فان قيمة الاتفاقيات والمواثيق الدولية لا تقتصر على الجانب القانوني وانما تتمثل اهميتها في توفير مرجعية متكاملة يمكن ترجمة مبادئها من خلال اليات علمية وادارية وقانونية ومجتمعية تسهم في حماية المباني الاثرية والتراثية الاسلامية من التدمير والاهمال والتدخلات غير الملائمة وتحافظ على اصالتها وقيمتها التاريخية والمعمارية والثقافية وتضمن استمرارها للاجيال القادمة

سابعاً: موقف العراق من الاتفاقيات الدولية لحماية التراث المعماري

يمتلك العراق رصيدا غنيا من المواقع والمباني الاثرية والتراثية التي تمثل امتدادا لتاريخ حضاري طويل وتنوعا في الموروث المعماري والثقافي ولذلك اكتسبت حماية هذا التراث اهمية خاصة في ظل ما تعرضت له بعض المواقع من اخطار مختلفة وقد انخرط العراق في منظومة الحماية الدولية من خلال انضمامه الى عدد من الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالممتلكات الثقافية والتراث العالمي

فقد انضم العراق الى اتفاقية لاهاي لعام 1954 الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح والبروتوكول الاول الملحق بها في 21 ديسمبر 1967 كما قبل اتفاقية اليونسكو لعام 1970 المتعلقة بمكافحة الاستيراد والتصدير والنقل غير المشروع للممتلكات الثقافية في 12 فبراير 1973 وقبل اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام 1972 في 5 مارس 1974 (اميرة، 2024، 154)

وقد انعكس هذا الالتزام الدولي على جهود العراق في حماية تراثه الثقافي من خلال اعتماد اليات وطنية للتسجيل والصيانة والحماية وتطوير التشريعات الخاصة بالاثار والتراث اذ يحدد قانون الاثار والتراث العراقي رقم 55 لسنة 2002 جملة من الاجراءات المتعلقة بتعيين المواقع الاثرية والتراثية وصيانتها وحمايتها واجراء المسوحات والجرد وتطوير قدرات المختصين في مجال الاثار والتراث

كما ظهر ارتباط العراق بمنظومة التراث العالمي بصورة واضحة من خلال ادراج عدد من المواقع العراقية على قائمة التراث العالمي ومن بينها مدينة سامراء الاثرية التي ادرجت عام 2007 فضلا عن الحضر وقلعة اربيل وبابل واشور والاهوار وغيرها مما يعكس اتساع مسؤولية العراق في المحافظة على المواقع ذات القيمة العالمية الاستثنائية وادارتها وحمايتها وفقا لمبادئ اتفاقية التراث العالمي

وفي اطار التطور المستمر للحماية الدولية انضم العراق ايضا الى البروتوكول الثاني لاتفاقية لاهاي لعام 1999 في 6 ابريل 2022 وهو ما يعزز التزامه الدولي بحماية الممتلكات الثقافية اثناء النزاعات المسلحة ويوفر اطارا اكثر تطورا للحماية المعززة للممتلكات ذات الاهمية الكبرى للانسانية (اميرة، 2024، 157)

ومن ثم فان الاستفادة الفعلية من هذه الاتفاقيات لا تتوقف عند الانضمام اليها وانما تتطلب تفعيل مبادئها ضمن السياسات والتشريعات والممارسات الوطنية وتعزيز التنسيق بين الجهات المعنية وتوفير الموارد المالية والفنية وتطوير عمليات التوثيق والصيانة الوقائية وادارة المواقع التاريخية بما يضمن حماية المباني الاثرية والتراثية الاسلامية والمحافظة على اصالتها وقيمتها التاريخية والمعمارية والثقافية (اميرة، 2024، 158-160)

الخاتمة

يتضح مما تقدم ان حماية المباني الاثرية والتراثية الاسلامية شهدت تطورا تدريجيا في الفكر والممارسة الدولية انتقل من وضع المبادئ الاولى للحفاظ على المعالم التاريخية الى بناء منظومة متكاملة من القواعد والمعايير والاليات القانونية والعلمية والمهنية وقد شكلت توصيات مؤتمر مدريد لعام 1904 وميثاق اثينا لعام 1931 مراحل مبكرة في ترسيخ مبادئ الحفظ العلمي والتعامل مع المباني التاريخية على اساس الدراسة والمعرفة المتخصصة

ثم تطورت الحماية الدولية بصورة اكثر وضوحا مع اتفاقية لاهاي لعام 1954 التي ارست اطارا قانونيا لحماية الممتلكات الثقافية اثناء النزاعات المسلحة والبروتوكول الاول الملحق بها الذي عزز حماية الممتلكات الثقافية من النقل غير المشروع من الاراضي المحتلة ثم جاء ميثاق البندقية

لعام 1964 ليعزز المبادئ المهنية للحفظ والترميم ويؤكد احترام المواد والعناصر الاصلية والقيمة التاريخية والمعمارية للمبنى وضرورة الحفاظ على علاقته بسياقه التاريخي والعمراني

واستمر هذا التطور من خلال اتفاقية اليونسكو لعام 1970 التي ركزت على مكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية وتعزيز التعاون الدولي في استرداد الممتلكات المنقولة بصورة غير مشروعة ثم جاءت اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام 1972 لتكرس مفهوم القيمة العالمية الاستثنائية وتعزز مسؤولية الدول في حماية المواقع ذات الاهمية العالمية والمحافظة عليها ونقل قيمتها الى الاجيال القادمة كما اسهمت وثيقة نارا لعام 1994 في تطوير مفهوم الاصالة والتأكيد على ارتباطها بالخصوصية الثقافية والتاريخية لكل مجتمع بينما عزز البروتوكول الثاني لعام 1999 نظام الحماية المعززة للممتلكات الثقافية ذات الاهمية الكبرى للانسانية وركز على التدابير الوقائية والاستعداد لمواجهة الاخطار

ويكشف هذا التسلسل التاريخي عن انتقال واضح في مفهوم حماية التراث من التدخل لمعالجة الاضرار بعد وقوعها الى اعتماد منهج وقائي اكثر شمولا يقوم على التوثيق والجرد والصيانة المستمرة وادارة المخاطر والتخطيط للطوارئ والاستفادة من التقنيات الحديثة كما يؤكد ان حماية المبنى الاثري لا يمكن فصلها عن حماية بيئته وسياقه العمراني وقيمه التاريخية والثقافية والاجتماعية

كما يتضح ان تطبيق المعايير الدولية على التراث المعماري الاسلامي يتطلب مراعاة خصوصية هذا التراث وتنوع مواده وتقنياته وعناصره المعمارية والزخرفية واختلاف البيئات التي نشأ فيها ولذلك لا ينبغي ان تكون الحماية قائمة على حلول موحدة وانما على دراسة دقيقة لكل مبنى وتحديد قيمه وخصائصه ودرجة اصالته واختيار التدخلات التي تحقق التوازن بين متطلبات الحماية واستمرار الاستخدام الملائم للمبنى

وفي السياق العراقي تكتسب هذه المبادئ اهمية خاصة لما يمتلكه العراق من رصيد واسع من المباني والمواقع الاثرية والتراثية وما تعرض له بعضها من اخطار نتيجة النزاعات المسلحة والاهمال والتغيرات العمرانية والتدخلات غير المناسبة مما يجعل تفعيل الالتزامات الدولية ضمن التشريعات والممارسات الوطنية ضرورة اساسية لحماية هذا التراث وضمان استمراريته

وعليه فان الحماية الفعالة للمباني الاثرية والتراثية الاسلامية لا تتحقق بالترميم وحده ولا بمجرد الانضمام الى الاتفاقيات الدولية وانما تتطلب منظومة متكاملة تبدأ بالتشريع والجرد والتوثيق العلمي وتمتد الى الصيانة الوقائية وادارة المواقع واعداد خطط الطوارئ واستخدام التقنيات الحديثة وتنظيم السياحة والحفاظ على الوظائف والقيم الاجتماعية والدينية وتعزيز المشاركة المجتمعية والتعاون الدولي

وبذلك يمكن ضمان المحافظة على اصالة المباني الاسلامية وقيمها التاريخية والمعمارية والثقافية وتحقيق استدامة حمايتها بما يكفل استمرارها بوصفها شواهد مادية على تطور الحضارة الاسلامية وذاكرة ثقافية وحضارية للاجيال الحاضرة والقادمة.

المصادر:

اولا: المصادر العربية

1. الباحثون السوريون. (د.ت.). ميثاق البندقية، حجر الأساس للمعماريين في تعاملهم مع المنشآت الأثرية. تم الاسترجاع من موقع الباحثون السوريون: syrres.com

2. حسن، أميرة حمود. (2024). دور الاتفاقيات الدولية في حماية المواقع الأثرية والممتلكات الثقافية. مجلة الإدارة والاقتصاد، 49(143)، 154–164. doi.org

3. ديوان المعماريين. (2024، 11 يوليو). ميثاق حفظ وترميم المباني والمواقع الأثرية والتراثية. ديوان المعماريين. diwanarch.com

4. ريس، أماني السيد عبد الرحمن. (2006). المواثيق والتوصيات الدولية للتعامل مع التراث المعماري والعمراني (ط. 1). دائرة الثقافة والإعلام.

5. سعيدي، كريم. (2024). الحماية الدولية للتراث الثقافي زمن السلم والحرب (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة الحاج خضر، الجزائر.

6. عمر، دعاء أحمد. (2023). دور المعماري في مشروعات الحفاظ على التراث: قراءة في المواثيق العالمية. Arabian Researchers Database, 2(2). doi.org

7. المجلس الدولي للمعالم والمواقع (إيكوموس). (2023). المواثيق الدولية لحفظ وترميم المعالم والمواقع التاريخية. (المكتب الإقليمي لحفظ التراث الثقافي في الوطن العربي - إيكروم-الشارقة، مترجم). إيكروم-الشارقة؛ إيكوموس.

8. الهياجي، ياسر هاشم عماد. (2016). دور المنظمات الدولية والإقليمية في حماية التراث الثقافي وإدارته وتعزيزه. مجلة أدوماتو، (34)، 87–110.

9. اليونسكو. (2023). وثيقة نارا حول الأصالة 1994. (الهيئة الملكية لمحافظة العلا والآيكوموس السعودي، مترجم). الهيئة الملكية لمحافظة العلا.

ثانيا: المصادر الانجليزية

10. Alfatlawi, A. A. (2025, March). Erasing memory, rebuilding law: The case of Iraq and the evolution of cultural heritage protection (Lecture). International Conference “Protection of Cultural Heritage in a Turbulent World, Sciences Po—CERI & International Heritage Institute, Paris, France. https://www.researchgate.net/

11. Aman, M. S., & Sulaiman, A. (2018). Issues in the protection of cultural heritage in Iraq. Journal of Asian and African Social Science, 7(2), 45–58.

12. Blake, J. E. (2015). International cultural heritage law. Oxford University Press.

13. Genovese, R. A. (2021). The Congress of Athens of 1931: Methodological and technical contributions for the conservation of architectural and environmental heritage. Protection of Cultural Heritage, 12, 113–121.

14. Jokilehto, J. (2018). A history of architectural conservation (2nd ed.). Routledge. https://www.routledge.com/

15. Petzet, M. (2004). Principles of preservation: An introduction to the international charters for conservation and restoration 40 years after the Venice Charter. In International charters for conservation and restoration: Monuments and sites (Vol. 1, pp. 7–29). ICOMOS. https://openarchive.icomos.org/

16. Selim, G., Bachagha, N., Alobaydi, D., Farhan, S. L., & Tarabeih, A. (2025). Integrated surveying for architectural heritage documentation in Iraq: From LiDAR scanner to GIS applications. Remote Sensing, 17(21), 3632.

17. ثالثاً: مستندات المنظمات والمواثيق الدولية

18. ICOMOS, & ICCROM. (2024). International charters for the conservation and restoration of monuments and sites. ICOMOS Open Archive. https://openarchive.icomos.org/

19. International Conference on Restoration. (1931). The Athens Charter for the restoration of historic monuments. ICOMOS. https://landscapes.icomos.org/

20. Second International Congress of Architects and Technicians of Historic Monuments. (1964). International charter for the conservation and restoration of monuments and sites (The Venice Charter). ICOMOS https://www.icomos.org/charters-and-doctrinal-texts/

21. UNESCO. (1999, March 26). Second protocol to the Hague Convention of 1954 for the protection of cultural property in the event of armed conflict. UNESCO. https://www.icomos.org/charters-and-doctrinal-texts/

22. UNESCO World Heritage Centre. (1994). The Nara document on authenticity. UNESCO. https://whc.unesco.org/document/116018

الفصل العاشر

الموسيقى العسكرية العراقية: جذورها التاريخية وتطورها ووظائفها وتأثيرها النفسي

الباحث فيصل عباس جميل
جامعة صفاقس - تونس

الملخص

يتناول هذا الفصل الموسيقى العسكرية العراقية من حيث جذورها التاريخية وتطورها المؤسسي ووظائفها الفنية والاجتماعية والنفسية. وينطلق من حضور الموسيقى في حضارات العراق القديمة، مع التمييز بين الشواهد التاريخية على العلاقة بين الموسيقى والسلطة والجيش وبين مفهوم المؤسسة الموسيقية العسكرية الحديثة. ويتتبع تطور التشكيلات والأجواق الموسيقية في العراق الحديث، والعوامل التي أسهمت في تنظيمها وارتباطها بنشوء الدولة والمؤسسة العسكرية. كما يناقش وظائف الموسيقى في المراسم والاستعراضات والمسير والتدريب والتعبير عن الانتماء، وصلتها بالإيقاع والتنظيم والسلوك الجماعي. ويضم الفصل جانبًا تحليليًا لخمسة نماذج موسيقية، يعرضها من حيث سياقها وتكوينها الشعري والموسيقي والغنائي، ويقارن بعض خصائصها المشتركة. وتستند المعالجة إلى المادة التاريخية والمراجع والنماذج والجداول والمدونات الموسيقية الواردة في المتن، بحيث تتكامل قراءة التطور المؤسسي مع التحليل الفني. وتظهر أهمية التمييز بين وصف الوظائف النفسية والاجتماعية للموسيقى وبين القياس التجريبي المباشر لأثرها، إذ يعالج الفصل هذه الوظائف في إطار مادته التاريخية والتحليلية. ويبرز العرض كيف يمكن للموسيقى أن تصبح جزءًا من الذاكرة المؤسسية والتعبير الرمزي، مع احتفاظها بخصائصها الفنية وأساليب أدائها. وبذلك يقدم الفصل قراءة تجمع بين التاريخ الموسيقي وتحليل النماذج، وتوضح أن دراسة الموسيقى العسكرية تتطلب فهم بنائها الفني وظروف استخدامها معًا، بدل اختزالها في المراسم وحدها أو فصلها عن سياقها الاجتماعي والمؤسسي. وتسمح المقارنة بين النماذج بتتبع أوجه التشابه والاختلاف في المعالجة الفنية، وربطها بوظائف الأداء والظروف التي

تقدم فيها. كما تساعد قراءة المدونات الموسيقية إلى جانب النصوص على إظهار تفاصيل لا يكشفها العرض التاريخي وحده، وتؤكد استقلال البعد الفني في الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الموسيقى العسكرية؛ العراق؛ التاريخ الموسيقي؛ التحليل الموسيقي؛ الوظائف النفسية

Abstract

This chapter examines Iraqi military music through its historical roots, institutional development, artistic functions, and social and psychological dimensions. It begins with evidence of music in ancient Iraqi civilizations while distinguishing historical connections among music, authority, and warfare from the modern concept of an organized military music institution. The discussion follows the development of bands and musical organizations in modern Iraq and considers their relationship to the formation of state and military institutions. Musical functions in ceremonies, parades, marching, training, and expressions of belonging are examined alongside rhythm, coordination, and collective conduct. The chapter also includes an analytical treatment of five musical examples, considering their contexts and their poetic, musical, and vocal structures. Historical material, references, tables, and musical notation in the supplied study support the combination of institutional history and artistic analysis. The discussion of psychological and social functions is situated within that historical and analytical material rather than presented as a new controlled measurement of musical effects. Attention is given to the ways music can become

part of institutional memory and symbolic expression while retaining distinctive artistic and performance characteristics. The chapter's contribution lies in bringing historical development together with detailed consideration of musical examples. It therefore presents military music as requiring an understanding of both artistic structure and conditions of use, rather than reducing the subject to ceremonial practice alone.

Keywords: Military music; Iraq; Music history; Musical analysis; Psychological functions

المقدمة

تحتل الموسيقى مكانة بارزة في حياة المجتمعات الإنسانية، إذ لم تكن عبر تاريخها مجرد وسيلة للتعبير الجمالي أو الترفيه، وإنما ارتبطت بمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية والعسكرية. وقد استطاعت الموسيقى أن تؤدي وظائف تتجاوز حدود اللغة المنطوقة، فأصبحت وسيلة للتعبير عن المشاعر، وتنظيم الجماعة، وإحياء المناسبات، وإبراز مظاهر السلطة والهيبة، فضلاً عن قدرتها على التأثير المباشر في الحالة النفسية للإنسان.

وتكتسب الموسيقى أهمية خاصة حين ترتبط بالمؤسسة العسكرية؛ لأن الجيش يقوم في جانب أساسي من وظائفه على الانضباط والتنظيم والعمل الجماعي. ومن هنا وجدت الموسيقى العسكرية لنفسها مكاناً داخل المؤسسة العسكرية، ليس باعتبارها نشاطاً فنياً مستقلاً فحسب، بل بوصفها جزءاً من منظومة المراسم والانضباط والتدريب والتواصل والتعبئة المعنوية. وقد ارتبطت الموسيقى بالجيوش منذ عصور قديمة، واستُعملت الآلات الإيقاعية والنفخية في تنظيم الحركة وإثارة الحماس وإظهار القوة ومرافقة المواكب والانتصارات.

ويكتسب العراق أهمية استثنائية في دراسة هذا الموضوع؛ لأنه يمثل واحداً من أقدم المراكز الحضارية التي عرفت الموسيقى المنظمة. فقد كشفت آثار بلاد الرافدين ونصوصها عن تنوع الآلات الموسيقية ووجود الموسيقيين في المعبد والقصر والمناسبات العامة، كما قدمت المشاهد

الآشورية شواهد مهمة على حضور الموسيقى ضمن بعض السياقات العسكرية والاحتفالية. وقد تناول صبحي أنور رشيد تاريخ الموسيقى في العراق القديم، موضحاً تعدد وظائفها وتنوع آلاتها ومكانتها في الحياة الحضارية لبلاد الرافدين (رشيد، 1988).

ولا يعني الحديث عن الموسيقى العسكرية في العراق القديم إسقاط مفهوم المؤسسة الموسيقية العسكرية الحديثة على المجتمعات القديمة، وإنما المقصود الكشف عن الجذور التاريخية والوظيفية للعلاقة بين الموسيقى والسلطة والجيش والحرب. فقد كانت الموسيقى حاضرة في المشاهد المرتبطة بالملوك والجيوش والمواكب والانتصارات، الأمر الذي يكشف عن قدرة الصوت الموسيقي على الاندماج في المجال العسكري منذ عصور مبكرة.

ومع تطور المجتمعات ونشوء الدولة الحديثة، تطورت هذه العلاقة بصورة أكثر تنظيماً، وانتقلت الموسيقى العسكرية من مجرد حضور موسيقي في بعض المناسبات والحروب إلى مؤسسة لها تشكيلاتها وأجواقها وقادتها وواجباتها وأنظمتها. وفي العراق الحديث ارتبط هذا التطور بتأسيس الدولة العراقية والجيش العراقي في بداية القرن العشرين، ثم بتشكيل أولى الأجواق العسكرية وتأسيس مديرية الموسيقى العسكرية.

وقد ارتبط تطور الموسيقى العسكرية العراقية الحديثة بعوامل متعددة، منها وجود موسيقيين عراقيين سبق لهم الخدمة في الجيش العثماني، ونشاط فرق الكشافة، ثم الاستعانة بالخبرات الموسيقية الأجنبية في مرحلة تأسيس الجيش العراقي. وأسهمت هذه العناصر مجتمعة في تشكيل النواة الأولى للجوق العسكري العراقي، قبل أن تتطور هذه النواة إلى مؤسسة عسكرية فنية أكثر تنظيماً.

ولم تقتصر وظائف الموسيقى العسكرية العراقية على المراسم الرسمية، فقد أدت دوراً في استقبال رؤساء الدول والملوك والأمراء، وعزف السلام الملكي والوطني، ومرافقة الاستعراضات العسكرية، وتدريب العسكريين على المسير المنتظم، فضلاً عن تقديم الحفلات الموسيقية والمشاركة في المناسبات الوطنية. كما أسهمت المؤسسة الموسيقية العسكرية في رفد الحركة الموسيقية العراقية بعازفين وموسيقيين شارك عدد منهم لاحقاً في الفرق والمؤسسات الموسيقية الوطنية.

ومن هنا تبرز أهمية دراسة الموسيقى العسكرية العراقية باعتبارها ظاهرة تجمع بين التاريخ والفن والمؤسسة العسكرية وعلم النفس الاجتماعي. فهي من جهة تعكس تطور الدولة العراقية ومؤسساتها، ومن جهة أخرى تكشف عن طبيعة العلاقة بين الموسيقى والسلوك الجماعي، كما تمثل وثيقة فنية وثقافية تعكس تحولات المجتمع العراقي ومؤسساته الرسمية.

وتنطلق هذه الدراسة من مجموعة من التساؤلات الأساسية، في مقدمتها: كيف نشأت العلاقة بين الموسيقى والمجال العسكري في العراق؟ وكيف تطورت من مظاهرها القديمة إلى المؤسسة العسكرية الحديثة؟ وما الظروف التي أسهمت في تأسيس الجوق العسكري العراقي ومديرية الموسيقى العسكرية؟ وما الوظائف التي أدتها الموسيقى العسكرية داخل المؤسسة العسكرية وخارجها؟ وكيف استطاعت الموسيقى أن تؤثر في الحالة النفسية للجنود والجمهور؟ وهل حافظت الموسيقى العسكرية على وظيفتها في ظل التطور الكبير الذي شهدته وسائل الاتصال والحرب؟

وتنبع أهمية هذا الكتاب من محاولة الجمع بين البعد التاريخي والبعد الفني والوظيفي والنفسي للموسيقى العسكرية العراقية. كما يسعى إلى تقديم صورة متكاملة عن تطورها، بعيداً عن النظر إليها باعتبارها مجرد جوق يؤدي المارشات والأناشيد في المناسبات الرسمية.

وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ الموسيقى في العراق والموسيقى العسكرية العراقية، ومن بينها كتاب صبحي أنور رشيد *الموسيقى في العراق القديم*، ودراسات زينب صبحي البياتي حول الجوق العسكري العراقي، وما كتبه مهيمن الجزراوي عن الجذور التاريخية للموسيقى العسكرية العراقية، فضلاً عن مؤلفات طارق حسون فريد وحبيب ظاهر العباس وحسام الدين الأنصاري وغيرها من المصادر التي وردت في المادة الأصلية للبحث.

وقد روعي في إعداد هذه الدراسة الانتقال من العام إلى الخاص؛ فبدأ الكتاب بالجذور التاريخية للموسيقى العسكرية، ثم تناول نشأة الموسيقى العسكرية العراقية الحديثة وتطور مؤسساتها، قبل الانتقال إلى دراسة التأثير النفسي للموسيقى العسكرية ووظائفها الفنية والاجتماعية والعسكرية.

المبحث الأول

المطلب الأول: الجذور التاريخية للموسيقى العسكرية

الموسيقى والحرب في الحضارات القديمة

ارتبطت الموسيقى منذ العصور القديمة بمختلف مظاهر الحياة الإنسانية، ولم يكن المجال العسكري استثناءً من ذلك. فقد أدركت المجتمعات القديمة أن الصوت الموسيقي يمتلك قدرة على تنظيم الحركة الجماعية وإثارة الحماس والتأثير في الحالة النفسية، الأمر الذي جعله قابلاً للتوظيف في المجال العسكري إلى جانب وظائفه الدينية والاجتماعية والاحتفالية.

وتكشف المعطيات التاريخية والأثرية المتعلقة بحضارات بلاد الرافدين عن مكانة متقدمة للموسيقى في المجتمع العراقي القديم. فقد عُرفت مجموعة متنوعة من الآلات الوترية والإيقاعية والنفخية، وظهر الموسيقيون في المشاهد المرتبطة بالمعبد والقصر والاحتفالات والمواكب. ويشير رشيد إلى أن استعمال الموسيقى في العراق القديم كان متنوعاً، وأن الآلات الموسيقية ارتبطت بعدد من الممارسات والوظائف التي تعكس مستوى التطور الحضاري الذي بلغته بلاد الرافدين (رشيد، 1988).

ولا يمكن فصل هذا التطور الموسيقي عن طبيعة الدولة القديمة التي اعتمدت على مؤسسات دينية وملكية وعسكرية متداخلة. فالملك لم يكن قائداً سياسياً فحسب، بل كان يمثل مركزاً رمزياً للدولة، وكانت المظاهر الصوتية والاحتفالية جزءاً من عملية إظهار سلطته وهيبته.

ومن بين الحضارات العراقية القديمة التي تقدم شواهد مهمة على العلاقة بين الموسيقى والمجال العسكري الحضارة الآشورية. فقد اهتم الفن الآشوري بتسجيل مشاهد الحروب والانتصارات والمواكب، وظهرت ضمن عدد من هذه المشاهد آلات موسيقية وعازفون يرافقون الأحداث العسكرية أو الاحتفالية.

وتكتسب هذه الشواهد أهمية خاصة؛ لأنها تقدم صورة بصرية عن وجود الموسيقيين في سياقات عسكرية، وتساعد على فهم الوظائف التي كان يمكن أن تؤديها الموسيقى في ذلك المجال. وقد أشار رشيد إلى وجود شواهد مسمارية وفنية تؤكد استعمال الموسيقى في الحرب، ومن بينها ما

يرتبط بالطبول والآلات الأخرى التي كان لها دور في المجال العسكري (رشيد، 1988، ص. 64).

ولا ينبغي تفسير هذه الشواهد على أنها تمثل فرقة عسكرية بالمعنى المؤسسي الحديث، إذ إن ذلك سيكون إسقاطاً لمفهوم حديث على مجتمع قديم. والأدق هو القول إن الموسيقى كانت تؤدي وظائف عسكرية ضمن المنظومة العامة للدولة والجيش، وأن هذه الوظائف شكلت أحد الجذور التي ستتطور في مراحل تاريخية لاحقة إلى الموسيقى العسكرية المنظمة.

الآلات الإيقاعية وأهميتها في الحرب

احتلت الآلات الإيقاعية مكانة مهمة في الممارسات الموسيقية القديمة، ويعود ذلك إلى طبيعتها الصوتية وقدرتها على إنتاج إيقاع واضح ومتكرر يمكن أن تسمعه الجماعات الكبيرة في الأماكن المفتوحة.

ويأتي الطبل في مقدمة هذه الآلات، إذ إن الإيقاع المنتظم يمكن أن يسهم في توحيد الحركة وتنظيم المسير، كما يمكن أن يؤدي وظيفة نفسية تتمثل في رفع الحماس وإضفاء شعور بالقوة الجماعية. ولذلك ارتبط الطبل في مراحل تاريخية مختلفة بالمواكب والاحتفالات والحروب.

وتوضح دراسة الآلات الموسيقية العراقية القديمة أن الإيقاع لم يكن عنصراً ثانوياً في البناء الموسيقي، بل كان جزءاً من النظام الموسيقي الذي عرفته حضارات بلاد الرافدين. ويعرض رشيد نماذج متعددة من الآلات الموسيقية واستخداماتها، بما يؤكد تنوع البيئة الموسيقية العراقية القديمة وتطورها (رشيد، 1988).

ومن هنا يمكن فهم سبب استمرار الآلات الإيقاعية في الموسيقى العسكرية عبر العصور؛ فهي تجمع بين القيمة الموسيقية والقدرة العملية على ضبط الحركة الجماعية. وهذا ما سيظهر لاحقاً بصورة أكثر وضوحاً في الموسيقى العسكرية الحديثة التي اعتمدت المارش والإيقاع المنتظم أساساً من أسس الأداء.

الموسيقى في الجيش الآشوري

تمثل المشاهد الآشورية مصدراً مهماً لدراسة توظيف الموسيقى في المجال العسكري. فقد أظهرت المنحوتات الجدارية مشاهد تجمع بين الجنود والأسلحة والمواكب والعازفين، بما يشير إلى وجود علاقة بين النشاط الموسيقي وبعض مظاهر الحياة العسكرية.

وكانت الموسيقى في هذه السياقات تؤدي أكثر من وظيفة؛ فهي ترافق الحركة، وتشارك في المراسم، وتضفي على المشهد العسكري طابعاً احتفالياً ورمزياً. كما أن حضورها في مشاهد الانتصار يعكس علاقتها بإظهار قوة الملك والجيش.

وتشير بعض المصادر التي اعتمد عليها البحث الأصلي إلى أن استعمال الموسيقى في الحرب كان مرتبطاً أيضاً بالإشارات الصوتية بين أفراد الجيش، وهي وظيفة مهمة في زمن كانت فيه وسائل الاتصال محدودة. فالصوت العالي للطبول والأبواق كان يسمح بإيصال الإشارات إلى مسافات لا تستطيع اللغة المنطوقة الوصول إليها في ظروف الضجيج والحركة.

وهذه الوظيفة الاتصالية تمثل واحدة من أهم الحلقات التي تربط الموسيقى القديمة بالموسيقى العسكرية الحديثة، إذ ظلت الإشارة الموسيقية حاضرة في المؤسسات العسكرية حتى بعد ظهور وسائل الاتصال الحديثة، وإن تغيرت طبيعتها ووظيفتها (فريد، 1990، ص. 342).

الموسيقى عند اليونان والرومان

لم تقتصر الوظائف العسكرية للموسيقى على حضارات العراق القديم، فقد عرفتها حضارات أخرى مثل اليونان والرومان. فقد أدرك اليونانيون أهمية الموسيقى في إعداد المحاربين ورفع معنوياتهم، واستعملوا عدداً من الآلات النفخية والإيقاعية في سياقات عسكرية.

أما الرومان فقد طوروا استعمال الأبواق والآلات النفخية، وجعلوا لها وظائف تتصل بالإشارة والتنظيم والحركة العسكرية. وكانت الأصوات الموسيقية تساعد في نقل الأوامر والإشارات، فضلاً عن مرافقة الجنود في المسير والمناسبات والانتصارات.

ولا تكمن أهمية هذه التجارب في كونها نموذجاً مباشراً للموسيقى العسكرية العراقية، وإنما في أنها تؤكد أن توظيف الموسيقى في المجال العسكري كان ظاهرة عرفتها حضارات متعددة، وأن

الوظائف الأساسية للموسيقى العسكرية مثل التنظيم والإشارة والتأثير النفسي والمراسم ظهرت بأشكال مختلفة في الحضارات القديمة (السعداوي، 2007).

الموسيقى العسكرية في العصور الإسلامية

استمرت العلاقة بين الموسيقى والسلطة والجيوش في العصور الإسلامية، وإن اتخذت أشكالاً ومصطلحات مختلفة. ومن أبرز المظاهر التي ظهرت في هذا السياق ما عُرف ب"الطبلخانة"، وهي تشكيل موسيقي ارتبط بالسلطة، وكان يضم الطبول والأبواق والمزامير وغيرها من الآلات.

وكانت الطبلخانة تؤدي في أوقات ومناسبات محددة، كما كانت ترافق الحاكم في بعض مواكبه، الأمر الذي جعلها جزءاً من المظاهر الرسمية للسلطة. ويذكر الجزراوي أن الطبلخانة ارتبطت بالقصور والحصون والمواكب، وأدت وظيفة رمزية في إظهار حضور الحاكم وهيبته (الجزراوي، 2011).

وهكذا انتقلت الموسيقى من وظيفتها العسكرية المباشرة إلى وظيفة أوسع تتمثل في التعبير عن السلطة وتنظيم المراسم. وهذه الوظيفة ستصبح لاحقاً من أهم وظائف الموسيقى العسكرية الحديثة، ولا سيما في مراسم استقبال رؤساء الدول والملوك والقادة.

الموسيقى والمواكب السلطانية

شهدت العصور اللاحقة استمرار حضور الموسيقى في المواكب السلطانية والعسكرية. وكانت الفرق الموسيقية تتقدم المواكب أو ترافقها، وتؤدي ألحاناً تتناسب مع طبيعة المناسبة.

وتشير المصادر التاريخية إلى حضور الأبواق والطبول في المواكب العسكرية التي شهدتها بغداد خلال العهد العثماني. وينقل الرحالة الإيطالي جوزيبه دي سانتا ماريا الكرملي وصفاً لأحد الاستعراضات العسكرية في بغداد، حيث رافقت الأبواق والطبول المواكب العسكرية والخيالة (حداد، د.ت، ص. 30).

وتكشف هذه الإشارات عن استمرار حضور الموسيقى في المجال العسكري العراقي حتى قبل تأسيس الدولة العراقية الحديثة. ولم تكن هذه الممارسة منفصلة عن السياق العثماني الأوسع الذي عرفت فيه الجيوش فرقاً موسيقية منظمة.

ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى وتسريح عدد من أفراد الجيش العثماني، انتقلت خبرات موسيقية إلى المجتمع العراقي، وأسهم بعض هؤلاء الموسيقيين لاحقاً في الحياة الموسيقية المحلية وفي تشكيل النواة الأولى للموسيقى العسكرية العراقية الحديثة.

وبذلك تمثل المرحلة العثمانية حلقة مهمة في تاريخ الموسيقى العسكرية العراقية؛ لأنها أسهمت في انتقال الخبرة الموسيقية العسكرية إلى العراق الحديث، سواء من خلال الموسيقيين أنفسهم أو من خلال التقاليد والآلات وأساليب الأداء.

من الموسيقى العثمانية إلى البدايات الحديثة

عند تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام 1921 كان العراق يمتلك إرثاً موسيقياً متنوعاً، كما كان بين سكانه عدد من الموسيقيين الذين اكتسبوا خبرة سابقة في الجيش العثماني. وإلى جانب هؤلاء ظهرت فرق الكشافة التي أسهمت في نشر الموسيقى الجماعية بين الشباب، ولا سيما في الموصل.

وتشير البياتي إلى أهمية فرق الكشافة في إعداد عدد من العناصر التي استفيد منها لاحقاً في تأسيس الجوق العسكري العراقي، كما تذكر الدور الذي أداه عدد من الموسيقيين الذين سبق لهم العمل في الجيش العثماني (البياتي، 2016، ص. 251–262).

ومن هنا يمكن القول إن الموسيقى العسكرية العراقية الحديثة لم تنشأ من فراغ، وإنما تضافرت في تكوينها ثلاثة روافد أساسية: الإرث الموسيقي العراقي القديم، والتقاليد الموسيقية العسكرية التي عرفها العراق في العهد العثماني، والخبرة التنظيمية الحديثة التي رافقت تأسيس الدولة العراقية والجيش العراقي.

وبهذه النتيجة ينتهي الجانب التاريخي الذي يخص **الجذور والمقدمات**، لننتقل في المطلب التالي إلى نشأة المؤسسة الموسيقية العسكرية العراقية الحديثة وتطورها.

المطلب الثاني: نشأة الموسيقى العسكرية العراقية الحديثة وتطورها المؤسسي

تأسيس الجيش العراقي والحاجة إلى الموسيقى العسكرية

ارتبط ظهور الموسيقى العسكرية العراقية الحديثة ارتباطاً وثيقاً بتأسيس الدولة العراقية الحديثة والجيش العراقي. فمع تأسيس الدولة سنة 1921 بدأت مؤسساتها العسكرية والإدارية تتشكل وفق

نظام جديد، وأصبح من الضروري إنشاء تشكيلات قادرة على أداء الوظائف الرسمية والمراسم العسكرية.

وكانت الموسيقى إحدى هذه التشكيلات؛ لأن الجيش الحديث لا يقتصر على الوظائف القتالية، وإنما يحتاج أيضاً إلى منظومة من المراسم والاحتفالات والاستقبالات والاستعراضات التي تعكس تنظيم الدولة وهيبتها.

وتشير المصادر إلى أن فكرة تشكيل أول جوق عسكري عراقي ظهرت في السنوات الأولى من تأسيس الجيش، إلا أن الظروف الاقتصادية والإدارية حالت دون استكمال التنظيم المؤسسي بصورة سريعة. وقد بدأت الخطوات العملية الأكثر وضوحاً في الموصل، مستفيدة من وجود موسيقيين سابقين في الجيش العثماني ومن نشاط الحركة الكشفية.

وقد كان للموصل دور بارز في هذه المرحلة؛ إذ كانت تضم عدداً من الموسيقيين الذين امتلكوا خبرة سابقة في الفرق العسكرية العثمانية، فضلاً عن نشاط الكشافة. ومن بين الشخصيات المهمة في هذه المرحلة حنا بطرس، الذي درس الموسيقى على يد أحد الضباط العثمانيين، ثم عمل في مجال الموسيقى الكشفية، وأسهم لاحقاً في تأسيس الجوق العسكري العراقي (البياتي، 2016، ص. 251–262).

كولد فيلد وتأسيس الجوق العسكري

تمثل سنة 1923 نقطة تحول مهمة في تاريخ الموسيقى العسكرية العراقية، إذ ارتبطت بتشكيل أول جوق عسكري بصورة أكثر تنظيماً. وقد اضطلع الرائد البريطاني كولد فيلد بدور أساسي في هذه العملية بعد التحاقه بالخدمة في العراق.

وقد استفاد فيلد من العناصر الموسيقية المتاحة، ولا سيما الموسيقيين الذين سبق لهم العمل في الجيش العثماني، وأفراد فرق الكشافة في الموصل. وبذلك استطاع أن يؤسس نواة لجوق عسكري قادر على أداء عدد من المراسم الرسمية والعسكرية.

وتذكر المصادر أن يوم 23 آب 1923 يمثل تاريخ تأسيس أول جوق موسيقي عسكري بصورة منظمة، وأن الجوق بدأ نشاطه في الموصل قبل أن ينتقل لاحقاً إلى بغداد (البياتي، 2016، ص. 251–262).

وقد ركز التدريب الأول على تعليم أفراد الجوق قراءة النوتة الموسيقية والعزف على الآلات الهوائية والإيقاعية، كما تدرب العازفون على عدد من الألحان والمارشات التي كانت تستخدم في المراسم العسكرية.

وبعد فترة من التدريب أصبح الجوق قادراً على أداء السلام الملكي وبعض المقطوعات الموسيقية، ثم انتقل إلى بغداد سنة 1926، حيث بدأت مرحلة جديدة من تاريخه مرتبطة بالمؤسسة العسكرية المركزية في العاصمة.

تشكيل مديرية الموسيقى العسكرية

لم يعد الجوق العسكري بعد انتقاله إلى بغداد مجرد مجموعة من العازفين، بل بدأ يأخذ طابعاً مؤسسياً أكثر وضوحاً. وفي سنة 1926 تشكلت مديرية الموسيقى العسكرية برئاسة الرائد كولد فيلد، وأصبح للجوق ارتباط مباشر بالمؤسسة العسكرية.

ويمثل تأسيس المديرية خطوة أساسية في تاريخ الموسيقى العسكرية العراقية؛ لأنه نقلها من مرحلة المبادرة والتكوين الأولي إلى مرحلة التنظيم الإداري. وأصبحت الموسيقى العسكرية بذلك صنفاً له واجبات محددة وموقع داخل المؤسسة العسكرية.

وكانت واجبات الجوق في هذه المرحلة مرتبطة بصورة أساسية بالمراسم الرسمية، ومنها استقبال الملوك والرؤساء والوفود، وعزف السلام الملكي وسلامات الدول، والمشاركة في الاحتفالات الوطنية والمناسبات الرسمية، إلى جانب تقديم بعض الحفلات التي تخدم الجانب المعنوي والترفيهي للعسكريين.

وهكذا أخذت الموسيقى العسكرية تؤدي وظيفة مزدوجة: وظيفة رسمية بروتوكولية، ووظيفة معنوية وفنية (جميل، 2023، ص.40).

جوق الحرس الملكي

كان انتقال الجوق إلى بغداد نقطة تحول مهمة في مسيرته، ثم أصبح يعرف بجوق الحرس الملكي. وارتبطت مهمته بصورة وثيقة بالبلاط الملكي والمراسم الرسمية.

وكان الجوق يؤدي السلام الملكي وسلام الأمراء، ويشارك في استقبال الشخصيات الرسمية والوفود الأجنبية. كما كان يعزف في المناسبات الوطنية والأعياد والمراسم العسكرية.

وقد أسهم هذا الدور في ترسيخ مكانة الموسيقى العسكرية باعتبارها أحد مظاهر الدولة الرسمية. فلم تعد الموسيقى مجرد نشاط ترفيهي، بل أصبحت جزءاً من الصورة التي تقدمها الدولة عن نفسها أمام مواطنيها وضيوفها.

ويظهر ذلك بوضوح في المناسبات الرسمية الكبرى، ومنها الاحتفال الذي أقيم في البلاط الملكي سنة 1932 بمناسبة انضمام العراق إلى عصبة الأمم، حيث كان الجوق العسكري حاضراً في مراسم الاحتفال وعزف النشيد الوطني أمام المسؤولين والدبلوماسيين (عبد الرزاق، 2021).

السلام الملكي والمراسم الرسمية

كان السلام الملكي أحد أهم الأعمال التي ارتبطت بالجوق العسكري العراقي في العهد الملكي. وقد أدى الجوق دوراً أساسياً في تثبيت هذه الممارسة ضمن المراسم الرسمية، فأصبح عزف السلام جزءاً من طقوس استقبال الشخصيات المهمة وإقامة المناسبات الرسمية.

كما ارتبط الجوق بعزف سلام الأمراء والقادة والآمرين، وهي مقطوعات تؤدي وظيفة بروتوكولية تحدد المكانة الرسمية للشخصية التي تُستقبل.

وبذلك أصبحت الموسيقى وسيلة لإظهار التراتب العسكري والسياسي، إذ يحدد نوع السلام والمقطوعة والمناسبة طبيعة الشخصية التي يجري استقبالها أو تكريمها.

ألبير شفو وتطوير الموسيقى العسكرية

يمثل ألبير شفو مرحلة مهمة في تطور الموسيقى العسكرية العراقية. فقد تولى إدارة مديرية الموسيقى العسكرية سنة 1938 واستمر في هذا المنصب حتى سنة 1952، وأسهم في تطوير الجوق وتوسيع قدراته الفنية.

وكان من أهم ما ارتبط بمرحلة شفو الاهتمام بتدريب العازفين على المارشات العسكرية والأعمال الموسيقية الغربية، وتطوير المستوى الفني للأجواق. كما ارتبط اسمه بالحركة الموسيقية العراقية الأوسع، ولا سيما من خلال مساهمته في تشكيل الفرقة السيمفونية العراقية.

وقد ساعد هذا التداخل بين الموسيقى العسكرية والمؤسسات الموسيقية المدنية على انتقال الخبرة بين المجالين، إذ لم تعد المؤسسة العسكرية مجرد مستهلك للعازفين، وإنما أصبحت أيضاً مؤسسة تسهم في تكوينهم وتدريبهم.

وتظهر أهمية هذه المرحلة في أن الموسيقى العسكرية بدأت تتجاوز الوظيفة البروتوكولية الضيقة إلى مجال أكثر اتساعاً يرتبط بالتعليم والتدريب والتأليف والأداء الموسيقي (حرب،2022).

الموسيقى العسكرية والتعليم الموسيقي

أسهم تطور المؤسسات الموسيقية التعليمية في العراق في رفع المستوى الفني للعازفين العسكريين. وكان لمعهد الموسيقى الوطني ثم معهد الفنون الجميلة دور مهم في تكوين عدد من الموسيقيين الذين أصبح بعضهم مرتبطاً بالمؤسسة العسكرية.

ومن بين الشخصيات التي برزت في هذا السياق حنا بطرس ولويس زنبقة وسعيد شابو وألبير شفو، إذ أسهموا بدرجات مختلفة في تطوير الحياة الموسيقية العراقية، سواء في المجال العسكري أو المدني.

وهذا التداخل بين التعليم والمؤسسة العسكرية أدى إلى ظهور جيل من الموسيقيين يمتلك المعرفة النظرية والمهارة العملية، وهو ما ساعد لاحقاً على تطوير أداء الأجواق العسكرية.

الموسيقى العسكرية والفرقة السيمفونية العراقية

من أبرز مظاهر تأثير المؤسسة العسكرية في الحياة الموسيقية العراقية مساهمتها في رفد الفرقة السيمفونية بالعازفين.

وقد احتاجت الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية إلى عازفين متخصصين في الآلات الهوائية والإيقاعية، فاستفادت من خبرة موسيقيي الجيش. وأدى عدد من العازفين العسكريين دوراً في دعم أقسام الآلات النحاسية والخشبية والإيقاعية.

ويشير الأنصاري إلى أن موسيقيي الجيش أسهموا في دعم الفرقة السيمفونية، وأن التدريب الذي خضع له العازفون ساعدهم على الانتقال من طبيعة الأداء العسكري إلى الأداء السيمفوني (الأنصاري، 2012، ص. 162).

وهذا يدل على أن الموسيقى العسكرية لم تكن مؤسسة مغلقة على نفسها، بل كانت جزءاً من الحركة الموسيقية العراقية العامة، وأنها أسهمت في رفد المؤسسات الموسيقية الوطنية بالخبرات والعازفين.

مدرسة الموسيقى العسكرية والتطور المؤسسي

مع مرور الزمن لم تعد الخبرة الموسيقية العسكرية تعتمد فقط على الممارسة المباشرة، بل أصبح التدريب المتخصص ضرورة أساسية. ولذلك ظهرت مدرسة الموسيقى العسكرية لتتولى إعداد العازفين وتطوير قدراتهم الفنية.

وقد ساعد وجود مؤسسة تعليمية عسكرية متخصصة على تنظيم عملية اختيار العازفين وتدريبهم، وتعليمهم الآلات الموسيقية، وتأهيلهم لأداء المراسم والاحتفالات والاستعراضات العسكرية.

كما أسهمت المدرسة في المحافظة على تقاليد الموسيقى العسكرية ونقلها من جيل إلى آخر، وفي الوقت نفسه إدخال أساليب حديثة تتناسب مع تطور الأداء الموسيقي.

وبذلك أصبحت الموسيقى العسكرية تجمع بين ثلاثة عناصر أساسية: **التكوين العسكري، والتكوين الموسيقي، والوظيفة البروتوكولية**.

الموسيقى العسكرية في العراق المعاصر

واصلت الموسيقى العسكرية تطورها في العقود اللاحقة، وازدادت الحاجة إلى رفدها بالعناصر المتخصصة. وفي مرحلة لاحقة أُتيح لخريجي المؤسسات الأكاديمية الموسيقية الالتحاق بالمؤسسة العسكرية، وهو ما عزز المستوى العلمي والفني للصنف.

وأصبح العازف العسكري بحاجة إلى الجمع بين الانضباط العسكري والكفاءة الموسيقية، الأمر الذي أدى إلى تطوير برامج التدريب والتأهيل.

كما توسعت واجبات الأجواق العسكرية لتشمل المراسم الرسمية، وتدريب طلبة الكليات العسكرية على المسير، والمشاركة في الاحتفالات الوطنية، وتقديم الأعمال الموسيقية في المناسبات العامة.

وتنوعت الأعمال التي تقدمها الأجواق بين المارشات العسكرية والأناشيد الوطنية والموسيقى العربية والعراقية وبعض الأعمال العالمية، الأمر الذي جعل الجوق العسكري مؤسسة فنية تتجاوز وظيفتها العسكرية المباشرة.

كما دخلت الموسيقى العسكرية العراقية في علاقات تعاون وتبادل مع مؤسسات موسيقية عسكرية خارج العراق، وأسهمت هذه المشاركات في تطوير الخبرة الفنية للعازفين والضباط.

وظائف الموسيقى العسكرية العراقية

يمكن النظر إلى وظائف الموسيقى العسكرية العراقية من خلال مجموعة مترابطة من الأدوار، دون فصلها بصورة جامدة. فهي تؤدي وظيفة بروتوكولية تتمثل في استقبال رؤساء الدول والملوك والأمراء والقادة، وعزف السلام الوطني والسلامات العسكرية.

وتؤدي في الوقت نفسه وظيفة تنظيمية من خلال مرافقة المسير العسكري وتحديد إيقاعه، وتدريب طلبة الكليات العسكرية على الحركة المنتظمة.

كما تؤدي وظيفة معنوية وفنية من خلال الحفلات والأناشيد والمارشات، والمشاركة في المناسبات الوطنية، وإحياء ذكرى الشهداء والمناسبات العسكرية.

أما الوظيفة الرمزية فتتجلى في كون الجوق العسكري يمثل المؤسسة العسكرية والدولة في عدد من المناسبات الرسمية. ولهذا فإن الزي والانضباط وطريقة الوقوف والحركة والعزف جميعها تشكل جزءاً من الرسالة التي تقدمها الموسيقى العسكرية.

وهنا تتضح خصوصية هذا الصنف؛ فهو يجمع في أداء واحد بين الفن والانضباط والرمز والمراسم.

نشأت الموسيقى العسكرية العراقية الحديثة في سياق تأسيس الدولة العراقية والجيش الحديث، مستفيدة من إرث موسيقي سابق تمثل في خبرات الموسيقيين الذين خدموا في الجيش العثماني ونشاط فرق الكشافة، ثم استفادت من الخبرة التنظيمية الحديثة في مرحلة تأسيس الجوق العسكري.

وقد شكل عام 1923 محطة أساسية في هذا المسار مع تأسيس أول جوق عسكري منظم، ثم جاء انتقاله إلى بغداد وتأسيس مديرية الموسيقى العسكرية سنة 1926 ليؤسسا المرحلة المؤسسية للموسيقى العسكرية العراقية.

وتطورت الموسيقى العسكرية بعد ذلك من جوق يؤدي بعض المراسم إلى مؤسسة متخصصة لها قيادة وتدريب وأجواق ومدرسة وواجبات متنوعة. وأسهم عدد من الموسيقيين، وفي مقدمتهم ألبير شفو، في رفع مستواها الفني، كما أسهمت المؤسسة العسكرية في رفد الحركة الموسيقية العراقية بعازفين شاركوا في المؤسسات والفرق الموسيقية الوطنية.

وبهذا أصبحت الموسيقى العسكرية جزءاً من بنية الدولة العراقية الحديثة، وأخذت تؤدي وظائف تتجاوز المراسم إلى التدريب والتأثير المعنوي والمشاركة الثقافية والفنية.

المطلب الثالث: التذوق الفني والتأثير النفسي للموسيقى العسكرية العراقية

تمهيد

لا يمكن النظر إلى الموسيقى العسكرية بوصفها مجموعة من الأنغام والإيقاعات التي تؤدى في المناسبات الرسمية أو أثناء المسيرات والاستعراضات فحسب، إذ تتجاوز وظيفتها الجانب الصوتي والجمالي إلى أبعاد نفسية واتصالية واجتماعية ورمزية ترتبط بطبيعة المؤسسة العسكرية ومكانتها في المجتمع. فالموسيقى، باعتبارها فناً يقوم على الصوت والإيقاع واللحن، تخاطب الإنسان من خلال حاسة السمع، إلا أن أثرها لا يتوقف عند حدود الإدراك الحسي، بل يمتد إلى الذاكرة والانفعال والشعور والوعي الجمعي.

ومن هنا تكتسب الموسيقى العسكرية خصوصيتها؛ فهي تجمع بين القيمة الفنية والوظيفة العملية. وإذا كانت الموسيقى الفنية في بعض صورها تهدف أساساً إلى تحقيق المتعة الجمالية والتعبير عن التجربة الإنسانية، فإن الموسيقى العسكرية تضيف إلى ذلك وظيفة تنظيمية واتصالية ورمزية، تجعلها مرتبطة بالسلوك الجماعي والانضباط والحركة والمراسيم والاحتفال والهوية الوطنية. ولهذا فإن فهم أثرها في الفرد والجماعة يقتضي الوقوف أولاً على مفهوم التذوق الفني، ثم بيان العلاقة بين العمل الموسيقي والمتلقي، وصولاً إلى تحليل العناصر التي تجعل الموسيقى العسكرية قادرة على إحداث استجابة نفسية معينة.

ويكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة في الحالة العراقية، لأن الموسيقى العسكرية العراقية لم تنشأ بمعزل عن التاريخ الاجتماعي والسياسي والثقافي للبلاد، بل ارتبط تطورها بتكوين الدولة العراقية الحديثة ومؤسساتها العسكرية، وأصبحت حاضرة في المناسبات الرسمية والاستقبالات والاحتفالات الوطنية والعسكرية. ومن ثم فإن أثرها النفسي لا ينفصل عن الذاكرة التي تراكمت حولها وعن الرموز التي ارتبطت بها عبر الزمن.

أولاً: التذوق الفني والموسيقى العسكرية

يُعد الذوق من المفاهيم الأساسية في الدراسات الجمالية، لأنه يرتبط بالطريقة التي يستجيب بها الإنسان للأعمال الفنية وما تتضمنه من قيم ومعانٍ. وقد عُرّف الذوق بأنه «نظام الإيثار لمجموعة محددة من القيم الجمالية نتيجة لتفاعل الإنسان معها» (وهبة، د.ت، ص. 563). أما التذوق الفني على وجه الخصوص، فهو نشاط يتصل بالذات الإنسانية في علاقتها بالعمل الإبداعي، إذ يقوم على إدراك خصائص العمل والحكم عليها والتفاعل معها وجدانياً وفكرياً. ولذلك فإن التذوق لا يعني مجرد سماع العمل الموسيقي، وإنما يتضمن عملية داخلية تتفاعل فيها الخبرة السابقة والإدراك والحالة النفسية والقيم الجمالية التي يحملها المتلقي.

وقد ذهب زكريا إبراهيم إلى أن الفن يرتبط بمشكلة جمالية وفلسفية تتصل بعلاقة الإنسان بالإبداع وبالقيمة التي يكتسبها العمل الفني من خلال علاقته بالمتلقي (إبراهيم، د.ت، ص. 184). ومن هذا المنظور لا يمكن فصل العمل الفني عن التجربة الإنسانية التي ينشأ فيها أو عن الجمهور الذي يتلقاه؛ فالعمل الموسيقي لا يكتمل أثره بمجرد إنتاجه، وإنما يتحقق جزء مهم من قيمته من خلال عملية التلقي والتفاعل.

وتتضح هذه المسألة بصورة أكبر في الموسيقى العسكرية؛ لأن المتلقي فيها لا يكون دائماً مستمعاً فردياً يبحث عن تجربة جمالية منفصلة، وإنما قد يكون جزءاً من جماعة عسكرية أو جمهوراً مجتمعياً يشترك في مناسبة ذات دلالة وطنية أو رسمية. ولهذا تتداخل في التجربة الموسيقية العسكرية عناصر جمالية ونفسية واجتماعية ورمزية في آن واحد.

ومن هنا يمكن القول إن التذوق في الموسيقى العسكرية يقوم على مستويين متداخلين: أولهما المستوى الجمالي الذي يتعلق بجودة اللحن والإيقاع والأداء والتوزيع والانسجام بين الآلات، وثانيهما المستوى الوظيفي والنفسي الذي يتعلق بما تحدثه الموسيقى من استجابة لدى المستمع، كالشعور بالحماس أو الاعتزاز أو الهيبة أو الانضباط أو الحزن أو الفخر. وتزداد قوة هذا التداخل عندما تكون الموسيقى مرتبطة بمناسبة أو رمز وطني معروف لدى المتلقي.

ولا يعني ذلك أن جميع المستمعين يستجيبون للموسيقى العسكرية بالطريقة نفسها؛ فالتذوق الفني عملية نسبية تتأثر بالتجربة والثقافة والبيئة والحالة النفسية والخبرة السابقة. وقد أكدت دراسات

التذوق الفني أن الاستجابة للعمل الفني ترتبط بعوامل ذهنية وانفعالية وإدراكية، وأن الاستماع يمكن أن يتحول إلى نشاط واعٍ يسهم في تنمية الاستجابة للقيم الجمالية للموسيقى.

ثانياً: العمل الموسيقي بوصفه عملية اتصال

يكتسب العمل الفني قيمته الاتصالية من قدرته على نقل فكرة أو إحساس أو حالة من المبدع إلى المتلقي. وقد عُدّ الفن، في هذا السياق، إحدى وسائل الاتصال التي تقوم على وجود مرسل ورسالة ومستقبل. وينطبق هذا التصور بصورة واضحة على الموسيقى؛ فالمؤلف أو الملحن يمثل أحد أطراف العملية، والعمل الموسيقي يمثل الرسالة، في حين يمثل العازف والجوق وسيلة نقلها إلى المتلقي، الذي يستقبلها عن طريق السمع ويترجمها وفق خبرته وإدراكه وحالته النفسية(حكيمه،2021، ص.58،19).

وتتميز الموسيقى العسكرية بأن عملية الاتصال فيها لا تعتمد دائماً على الكلمات؛ فقد تكون الإشارة الموسيقية نفسها كافية لأداء وظيفة محددة. فالإيقاع المنتظم، وتكرار النبرات، واختلاف السرعة والشدة، كلها عناصر يمكن أن تحمل دلالات عملية داخل المؤسسة العسكرية. وهذا ما يفسر ارتباط الموسيقى العسكرية تاريخياً بالمسير والمراسيم والتنبيه وتنظيم الحركة، فضلاً عن دورها في الاحتفال والاستقبال.

وفي هذا الإطار يمكن إعادة قراءة بعض الشواهد التي ظهرت في تاريخ الموسيقى العسكرية العراقية، ومنها الحكاية التي ارتبطت بالملا عثمان الموصلي أثناء الاحتلال البريطاني للعراق، حين أدى بفمه لحن المارش العسكري البريطاني، فكانت استجابة الجنود لذلك اللحن مرتبطة بما يحمله من دلالة عسكرية مألوفة لديهم. وتكشف هذه الحادثة، بصرف النظر عن طابعها الحكائي، عن أهمية الرمز الموسيقي في استدعاء حالة ذهنية وانفعالية معينة لدى المستمع.

إن قوة الموسيقى في عملية الاتصال تكمن في أنها لا تحتاج بالضرورة إلى ترجمة لغوية حتى تصل إلى المتلقي. فالإيقاع الحماسي قد يستدعي الحركة، واللحن الجنائزي قد يستدعي الحزن والوقار، والنشيد الوطني قد يستحضر الذاكرة والانتماء. ولذلك فإن الموسيقى العسكرية تصبح في بعض المواقف لغة رمزية مشتركة بين أفراد الجماعة، ووسيلة للتعبير عن حالات يصعب أحياناً اختزالها في الكلام.

ثالثاً: الإدراك الحسي والتجربة الجمالية في الموسيقى العسكرية

تبدأ الاستجابة للموسيقى من خلال السمع، غير أن السماع في ذاته لا يمثل نهاية العملية، وإنما هو نقطة الانطلاق نحو الإدراك والتفسير والانفعال. فالإدراك عملية يتم من خلالها تنظيم المعطيات الحسية وتفسيرها بما يجعل الإنسان قادراً على بناء معنى لما يستقبله. ولهذا فإن الصوت الموسيقي الذي يصل إلى الأذن لا يبقى مجرد ذبذبات، بل يتحول لدى المتلقي إلى خبرة يمكن أن ترتبط بذكرى أو موقف أو قيمة أو انفعال.

ويبدو هذا الأمر أكثر وضوحاً في الموسيقى العسكرية بسبب تكرار ارتباط بعض الألحان والمارشات والأنغام بمواقف محددة. فعندما يسمع العسكري لحنًا سبق أن ارتبط لديه بالمسير أو التحية أو الاستعراض أو التدريب، فإن اللحن لا يُستقبل باعتباره مادة صوتية محايدة، وإنما يستدعي معه السلوك والخبرة المرتبطين به. وهنا تتكون علاقة بين الصوت والذاكرة والسلوك.

وهذا أحد أهم مصادر القوة النفسية للموسيقى العسكرية. فالموسيقى لا تفرض تأثيرها من خلال الصوت وحده، وإنما تستمد جانباً من تأثيرها من المعاني التي تراكمت حولها. وكلما تكرر اقتران اللحن بموقف معين أصبح أكثر قدرة على استدعاء الحالة النفسية المصاحبة لذلك الموقف.

وعليه، فإن التجربة الجمالية للموسيقى العسكرية لا تنحصر في جمال اللحن أو جودة الأداء، بل تشمل أيضاً السياق الذي تؤدى فيه. فالمارش الذي يعزف أثناء استعراض عسكري لا يحمل المعنى نفسه عندما يعزف في قاعة موسيقية، والنشيد الوطني أثناء مراسم رفع العلم لا يحمل المعنى ذاته إذا استمع إليه الفرد في سياق عادي. إن المكان والمناسبة والحركة والزي العسكري والرموز الوطنية والجمهور كلها عناصر تدخل في تشكيل التجربة الجمالية والنفسية.

وهنا تبرز خصوصية الموسيقى العسكرية العراقية؛ إذ أصبحت بعض ألحانها مرتبطة بمناسبات الدولة والجيش، الأمر الذي جعلها جزءاً من الذاكرة السمعية للمجتمع. ولذلك فإن المحافظة على هذه الألحان وتداولها لا تمثل مجرد استمرار لتقليد موسيقي، وإنما تمثل أيضاً استمراراً لجزء من الذاكرة الثقافية والمؤسساتية للعراق.

رابعاً: الإيقاع والسرعة والشدة وأثرها في الاستجابة النفسية

يحتل الإيقاع موقعاً أساسياً في بناء الموسيقى العسكرية، لأنه يرتبط بصورة مباشرة بالحركة والتنظيم والانضباط. وإذا كان اللحن يمنح العمل شخصيته التعبيرية، فإن الإيقاع يمنحه انتظامه الحركي والزمني. وقد عُرّف الإيقاع بأنه النظام والتناسب في المكان والزمان، وهو مفهوم يتجاوز الموسيقى إلى مختلف أشكال التنظيم والحركة في الفنون والحياة (بن حميدة، 2014، ص. 42).

وتبدو أهمية الإيقاع في الموسيقى العسكرية واضحة من خلال ارتباطه بالمسير. فالحركة الجماعية تحتاج إلى انتظام زمني يساعد أفراد المجموعة على توحيد خطواتهم، ولذلك لا يكون الإيقاع هنا عنصراً جمالياً فقط، بل يتحول إلى وسيلة عملية لتنظيم الحركة. ومن هذه الزاوية يمكن فهم العلاقة الوثيقة التي نشأت تاريخياً بين الموسيقى العسكرية والمسير.

كما أن السرعة تؤدي دوراً مهماً في تحديد طبيعة الاستجابة. فالإيقاعات السريعة يمكن أن ترتبط بالحركة والنشاط والحماس، في حين أن الإيقاعات الأبطأ قد ترتبط بالوقار والتأمل والمراسم الرسمية. ولذلك فإن اختيار سرعة المارش ليس مسألة فنية عشوائية، وإنما يرتبط بالوظيفة التي يؤديها العمل والمناسبة التي يستخدم فيها.

وتأتي الشدة الصوتية لتكمل هذا البناء؛ إذ يمكن للارتفاع والانخفاض في مستوى الصوت أن يساهما في تشكيل حالة الانتباه والتوتر والاسترخاء. ويستفيد الجوق العسكري من هذه العناصر مجتمعة في بناء أعمال موسيقية تتلاءم مع المسير والاستعراض والمراسم والاحتفالات.

ومن هنا يمكن القول إن التأثير النفسي للموسيقى العسكرية لا ينتج عن عنصر واحد، وإنما عن **تفاعل الإيقاع والسرعة والشدة واللحن والأداء الجماعي**. وهذا التفاعل هو الذي يمنح الجوق العسكري قدرته على إنتاج حالة صوتية تتوافق مع طبيعة الموقف.

خامساً: الموسيقى العسكرية والتأثير النفسي

إن التأثير النفسي للموسيقى العسكرية يمثل امتداداً طبيعياً لوظيفتها الاتصالية والجمالية. فهي تستطيع أن تؤثر في الحالة الوجدانية للإنسان من خلال تنظيم الصوت والحركة وتكرار الأنماط الموسيقية وربطها بمواقف محددة. وقد تناولت الأدبيات الموسيقية والجمالية أثر الموسيقى في الانفعالات الإنسانية، وربطت الاستماع بالمشاعر والحالات الداخلية للمتلقي. كما أن الدراسات

المتعلقة بالتذوق الموسيقي تؤكد أن الاستجابة للعمل الموسيقي لا تنفصل عن الخبرة النفسية والمعرفية للسامع.

وفي المجال العسكري، يأخذ هذا التأثير طابعاً أكثر تحديداً؛ لأن الموسيقى تعمل داخل منظومة منظمة تتطلب الانضباط والاستجابة الجماعية. ومن ثم يمكن أن تسهم في تعزيز الشعور بالانتماء إلى المجموعة، وفي دعم الروح المعنوية، وفي استحضار قيم التضحية والشجاعة والالتزام.

ولا ينبغي فهم رفع المعنويات هنا على أنه نتيجة آلية تحدث لدى كل فرد بمجرد سماع الموسيقى، وإنما هو نتيجة لتفاعل الموسيقى مع مجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية. فالمقاتل الذي يستمع إلى نشيد أو مارش مرتبط بتاريخ وحدته أو جيشه قد يستجيب له بصورة مختلفة عن شخص لا يمتلك الخلفية نفسها.

ولهذا فإن الموسيقى العسكرية العراقية تستمد جزءاً مهماً من تأثيرها النفسي من ارتباطها بالذاكرة الوطنية. فالألحان والمارشات والأناشيد التي ترافق المناسبات العسكرية لا تعمل بمعزل عن الأحداث التي ارتبطت بها، بل تصبح مع مرور الوقت حاملة لصور وذكريات وقيم مشتركة.

إن هذه الوظيفة تجعل الموسيقى العسكرية قادرة على الانتقال من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي؛ فحين يؤدي الجوق العسكري مقطوعة أمام مجموعة من الجنود أو الجمهور، فإن الاستجابة لا تحدث لدى كل فرد بمعزل عن الآخر، بل تتشكل حالة جماعية تتعزز فيها مشاعر الوحدة والانتماء والمشاركة.

وهنا يمكن فهم أحد أهم أسباب استمرار الموسيقى العسكرية حتى مع التطور الكبير في وسائل الاتصال والحرب. فقد تراجعت الحاجة إلى الموسيقى بوصفها وسيلة اتصال مباشرة في ميدان القتال الحديث، لكنها لم تفقد وظيفتها الرمزية والنفسية والمراسمية. بل إن وجودها في الاستقبالات الرسمية والاستعراضات والمناسبات الوطنية يدل على انتقال جزء من وظيفتها من الاتصال القتالي المباشر إلى الاتصال الرمزي والمؤسساتي.

وهذا التحول مهم في دراسة الموسيقى العسكرية العراقية، لأنه يفسر استمرار الجوق العسكري بوصفه جزءاً من بنية الدولة الحديثة، وليس مجرد بقايا لتقاليد عسكرية قديمة.

سادساً: الموسيقى العسكرية والهوية الوطنية العراقية

ترتبط الموسيقى بالهوية من خلال قدرتها على اختزال مجموعة من القيم والذكريات والانفعالات في بنية صوتية يمكن تداولها بين أفراد المجتمع. وفي الحالة العراقية، اكتسبت الموسيقى العسكرية بعداً خاصاً نتيجة ارتباطها بتاريخ الدولة والجيش والمناسبات الوطنية والرسمية.

فالهوية الموسيقية لا تتكون من اللحن وحده، وإنما من شبكة العلاقات التي تنشأ حوله. وعندما يتكرر أداء النشيد أو السلام الوطني في مراسم الدولة، يصبح اللحن جزءاً من الطقس الرسمي، ويكتسب بمرور الزمن قيمة رمزية تتجاوز بنيته الموسيقية. ولذلك فإن الوقوف عند سماع السلام الوطني ليس مجرد استجابة للصوت، بل هو تعبير عن احترام الرمز الذي يمثله.

ومن هذه الزاوية، يمكن النظر إلى الجوق العسكري العراقي بوصفه أحد الأجهزة الثقافية التي أسهمت في تجسيد حضور الدولة في المجال السمعي. فهو يؤدي الموسيقى في استقبال رؤساء الدول والملوك والأمراء، وفي المناسبات الوطنية والعسكرية، وفي مراسم التخرج والاستعراض، وبذلك يشارك في تقديم صورة الدولة وهيبتها وانضباطها.

وقد أشار صبحي أنور رشيد إلى المكانة التي احتلتها الموسيقى في تاريخ العراق القديم، وما ارتبط بها من وظائف دينية واحتفالية وعسكرية واجتماعية (أنور رشيد، 1988، ص. 64). وهذا الامتداد التاريخي لا يعني وجود تطابق بين الموسيقى القديمة والموسيقى العسكرية الحديثة، لكنه يكشف عن استمرار حضور الموسيقى في المجال العام العراقي بوصفها عنصراً مرتبطاً بالمناسبة والسلطة والتنظيم الجماعي.

ومن ثم فإن الموسيقى العسكرية العراقية الحديثة يمكن فهمها ضمن سياق أوسع من تاريخ استخدام الصوت الموسيقي في العراق، مع مراعاة التحولات الكبيرة التي طرأت على المجتمع والدولة والمؤسسة العسكرية. فالآلة الموسيقية تغيرت، والتوزيع الموسيقي تطور، والجوق أصبح أكثر تنظيماً، إلا أن العلاقة بين الموسيقى والمناسبة الرسمية والجماعة والرمز بقيت حاضرة.

سابعاً. واجبات وفعاليات الجوق الموسيقي العسكري والأزياء والصولجان

تتعدد واجبات وفعاليات الجوق الموسيقي العسكري العراقي تبعاً لطبيعة المناسبة والهدف الذي يؤديه، فهو لا يقتصر على تقديم الأعمال الموسيقية، وإنما يرتبط بالفعاليات والمراسيم العسكرية

الرسمية، وبما تقتضيه من دقة في الأداء وانتظام في الحركة والالتزام بالتقاليد العسكرية. ومن أبرز واجباته المشاركة في استقبال رؤساء الدول والملوك والأمراء والضيوف الرسميين، وأداء التحيات والمراسيم الموسيقية الخاصة بالقادة والآمرين في الوحدات العسكرية. كما يشارك في المناسبات العسكرية والوطنية، ولا سيما حفلات تخرج طلبة الكليات العسكرية، إذ ترافق موسيقاه حركة الطلبة أثناء المسير وتؤدي المارشات العسكرية التي تسهم في تنظيم الحركة وإضفاء الطابع الرسمي والمعنوي على المناسبة .

وتتولى مدرسة الموسيقى العسكرية إعداد العناصر الموسيقية اللازمة للوحدات العسكرية، إذ يخضع الجنود المرشحون للالتحاق بها إلى الفحص البدني والاختبار الموسيقي والفني، ثم يتلقون التدريب المتخصص على العزف، ولا سيما على آلات البوق المستخدمة في أداء الإشارات العسكرية. وبعد إكمال التدريب يُرسل العازف إلى وحدته لأداء عدد من الواجبات الموسيقية المرتبطة بالنظام العسكري، مثل سلام الأمراء، وإشارات النوم والنهوض والاجتماع، وتبديل الواجبات وحراسة باب النظام وتبديل الراية. كما تُسهم المدرسة في رفد الكليات والوحدات العسكرية بالعازفين المؤهلين لأداء هذه الواجبات وفق ما تقتضيه المراسيم والأنظمة العسكرية.

ولا تقتصر فعاليات الجوق على الجانب العسكري الرسمي، بل تمتد إلى الجانب الثقافي والترفيهي من خلال إقامة الحفلات الموسيقية وتقديم الأعمال السيمفونية والأوبرا والجاز والأناشيد والأغاني العراقية والعربية، فضلاً عن العزف المنفرد لبعض العازفين المتميزين. وبذلك يجمع الجوق بين الوظيفة العسكرية التي تقوم على الانضباط والمراسيم، والوظيفة الفنية التي تتيح تقديم الموسيقى للجمهور في المناسبات الوطنية والثقافية .

ويتميز الجوق الموسيقي العسكري كذلك بالدقة والتنظيم أثناء العزف والمسير، ويتقدمه حامل الصولجان الذي يؤدي حركات وإشارات منسقة تساعد في توجيه أفراد الجوق وضبط أدائهم أثناء الحركة والعزف، ولا سيما عند البدء والتوقف والانتقال بين فقرات الأداء. ولا يمثل الصولجان في هذا السياق مجرد عنصر شكلي، بل يرتبط بالنظام الحركي للجوق ويجسد الانضباط والتناسق الجماعي الذي يميز الأداء العسكري. كما يعزف الجوق في الهواء الطلق أثناء المسير والاستعراضات، ويقدم أعماله داخل القاعات وصالات العرض الموسيقي في الاحتفالات الوطنية والرسمية التي يحضرها القادة والآمرون والضباط والمراتب والجمهور، الأمر الذي يمنحه

حضوراً بصرياً وسمعياً يجمع بين الموسيقى والحركة والمشهد الاحتفالي . ومن العناصر التي تمنح الجوق الموسيقي العسكري خصوصيته الزي الرسمي الذي يميزه عن بقية صنوف الجيش، إذ يرتبط الزي بطبيعة الواجب والمناسبة التي يؤديها الجوق. ويتضمن الزي الشتوي قميصاً أبيض وسترة باللون الأزرق الغامق وبنطالاً باللون نفسه، مع الشرائط الصفراء، في حين يتكون الزي الصيفي من سترة وقميص أبيض وبنطال أسود مع الشرائط الصفراء. أما الزي الخاص بوحدة المراسيم العسكرية فيتميز بالسترة الحمراء مع البنطال الأسود والشرائط الصفراء. ويؤدي هذا الزي وظيفة تتجاوز الجانب التنظيمي؛ إذ يمنح أفراد الجوق مظهراً موحداً ومتناسقاً، ويعزز صورته بوصفه جزءاً من المراسم العسكرية الرسمية، كما يضيف إلى الأداء الموسيقي بعداً بصرياً يتكامل مع الحركة والصولجان والانضباط الجماعي ومن ثم فإن الجوق الموسيقي العسكري يمثل منظومة متكاملة تتفاعل فيها الموسيقى والحركة والزي والصولجان والمراسم، ولا يمكن النظر إلى أي عنصر منها بمعزل عن الآخر؛ فانتظام العزف وتزامنه مع حركة الأفراد، ووحدة الزي، والإشارات التي يؤديها حامل الصولجان، كلها عناصر تسهم في تشكيل الصورة السمعية والبصرية للجوق وتعزز أثره في المتلقي، ولا سيما في المناسبات العسكرية والوطنية التي تتطلب حضوراً جماعياً منظماً ومؤثراً. (مديرية صنف الموسيقى العسكرية)

خلاصة المطلب

يتضح مما تقدم أن الموسيقى العسكرية العراقية لا يمكن اختزالها في وظيفتها الترفيهية أو المراسمية، ولا في كونها مصاحبة للمسير والاستعراض. فهي بناء فني ووظيفي متكامل تتفاعل فيه العناصر الموسيقية مع الخبرة النفسية والاجتماعية للمتلقي. ويأتي الإيقاع والسرعة والشدة واللحن والأداء الجماعي في مقدمة العناصر التي تمنحها قدرتها على تنظيم الحركة وإثارة الانتباه وتشكيل الاستجابة الوجدانية.

كما يتبين أن التأثير النفسي للموسيقى العسكرية لا يحدث بمعزل عن السياق، وإنما يتشكل من خلال العلاقة بين العمل الموسيقي والمناسبة والذاكرة والخبرة السابقة. ولهذا ارتبطت الموسيقى العسكرية العراقية بمشاعر الانضباط والانتماء والاعتزاز والهيبة والروح المعنوية، وأصبحت في الوقت نفسه جزءاً من الذاكرة السمعية للمؤسسة العسكرية وللمجتمع العراقي.

الباب الثاني

دراسة تحليلية للخصائص الموسيقية والغنائية والفنية لبعض نماذج الموسيقى العسكرية العراقية

المطلب الأول: في خصائص الأناشيد الوطنية العسكرية

النشيد هو مجموع كلمات تُغنّى مع الموسيقى، ويصوغ لحنها الملحن الموسيقي. وهناك عدة أنواع وقوالب موسيقية للأناشيد، أما التي تخص مجال بحثنا فهي الأناشيد الوطنية التي تساعد على شحذ الهمم ورفع الروح المعنوية لأفراد الجيش والشعب. أما النص الشعري فكلماته ذات بُعد رمزي ودلالي، وصياغة اللحن تحمل الطابع الحماسي والثوري، وتؤدي موسيقاها فرق الجوق الموسيقي العسكري، فتُصوّر الواقع الاجتماعي والنفسي المرتبط بالمناسبة والحدث. وتختلف هذه الأناشيد من دولة إلى أخرى، ولا سيما في الدلالات الكلامية واللحنية، إلا أنها تشترك في موضوع أساسي هو تعزيز الشعور الوطني وترسيخ الانتماء لدى الفرد.

وقد ارتبطت الموسيقى العسكرية تاريخيًا بالوظيفة العسكرية والتنظيمية؛ فكانت الموسيقى والإيقاعات القارعة تؤدي أدوارًا في تنظيم الحركة وإثارة الحماس والتواصل والإشارة، ثم تطورت وظائفها مع تطور المؤسسة العسكرية لتصبح جزءًا من المراسم والاحتفالات والاستقبالات الرسمية، فضلًا عن وظيفتها الرمزية في التعبير عن هيبة الدولة والمؤسسة العسكرية. وفي السياق العراقي، ارتبط تطور الموسيقى العسكرية بتطور المؤسسة العسكرية الحديثة، وبالكوادر الموسيقية التي أسهمت في بناء تقاليد هذا الصنف وترسيخ حضوره داخل الجيش العراقي (جميل، 2023).

ومن هنا يمكن القول إن الموسيقى العسكرية لم تعد تؤدي وظيفة صوتية أو إيقاعية فحسب، وإنما أصبحت تمثل واجهة من واجهات المؤسسة العسكرية، ولا سيما في المناسبات الوطنية والمراسم الرسمية واستقبال ضيوف الدولة، بما تعكسه من مستوى التنظيم والانضباط والحضور الثقافي والفني للمؤسسة العسكرية.

1. الخصوصيات الشعرية والإيقاعية واللحنية

تمتاز الخصوصيات الشعرية بصورة عامة بالعديد من السمات تبعًا للمدارس والاتجاهات الشعرية، فضلًا عن ارتباطها بالأحداث السياسية والاجتماعية والوطنية التي مر بها العالم العربي.

فجاءت نصوص الأناشيد في كثير من الأحيان معبّرة عن تلك الأحداث، وتنتمي الكتابة الشعرية للأناشيد الوطنية إلى منظومتين أساسيتين: القصيدة الفصحى، والشعر العامي، وكلاهما يمكن أن يعبّر عن الوحدة والدفاع عن الوطن والدار والديار، بحسب طبيعة النص والمناسبة التي كتب من أجلها.

أما الخصوصيات الإيقاعية التي تخص الأناشيد الوطنية العسكرية، فترتبط بطبيعة الأداء العسكري وحركة المسير، وتختلف سرعة الأداء بحسب المناسبة والظرف الذي تؤدى فيه. ومن المهم هنا التمييز بين سرعة المسير العسكري وبين السرعة الموسيقية التي قد يختارها المؤلف أو المؤدي في صياغة المارش أو النشيد؛ فالأولى ترتبط بالضبط الحركي والتدريب العسكري، في حين ترتبط الثانية بالصياغة الموسيقية والأداء.

وتُعد البساطة والوضوح في البناء اللحني من الخصائص المهمة في الألحان الوطنية العسكرية، مع إمكانية توظيف القفزات اللحنية والانتقالات المقامية بما يتناسب مع طبيعة آلات الجوق العسكري وإمكاناتها الأدائية. كما تتأثر المساحة الصوتية والتوزيع اللحني بطبيعة التكوين الآلي للجوق، وبالقدرة على إبراز اللحن بصورة واضحة وقوية في الفضاء المفتوح والمناسبات الجماهيرية والعسكرية.

ولا ينبغي النظر إلى هذه الخصائص بوصفها قواعد ثابتة تنطبق على جميع النماذج، وإنما هي سمات عامة يمكن أن تتغير تبعًا لطبيعة العمل ومؤلفه ووظيفته والمناسبة التي يؤدى فيها.

2. خصوصية المارش العسكري

المارش العسكري قالب موسيقي له خصوصية تأليفية وأدائية، ويرتبط في وظيفته بالحركة المنظمة والمسير، إلا أن بنيته الموسيقية لا تختزل في وظيفته الحركية؛ إذ يقوم على صياغة لحنية وهيكل موسيقي يميزه عن النشيد الغنائي.

ويعتمد المارش العسكري في بنائه الموسيقي على خمس حركات أو أقسام أساسية يمكن عرضها على النحو الآتي:

الحركة الأولى: المقدمة. وتأتي لتهيئة العمل الموسيقي والدخول في فكرته الأساسية، وقد تتكون من عدد محدود من المازورات يختلف باختلاف المؤلف وطبيعة المارش.

الحركة الثانية: اللحن الأول. وهو اللحن الرئيس الذي تتأسس عليه الفكرة الموسيقية الأساسية، ويظهر فيه الطابع المميز للعمل، وقد تشترك في أدائه معظم آلات الجوق بحسب التوزيع الموسيقي.

الحركة الثالثة: اللحن الثاني. يمثل انتقالًا أو تطويرًا للفكرة الموسيقية، وقد تتولى بعض مجموعات الآلات تقديمه بصورة أكثر بروزًا، في حين تقوم بقية الآلات بإسناده هارمونيًا وإيقاعيًا.

الحركة الرابعة: جملة العبور أو الجسر. وهي مرحلة انتقالية تربط بين الأفكار السابقة والقسم اللاحق، وتؤدي وظيفة بنائية في الانتقال الموسيقي.

الحركة الخامسة: التريو (Trio). وهو القسم الذي يقدم فكرة لحنية مميزة، وقد يستمد بعض عناصره من المادة اللحنية السابقة مع إحداث تغير في المعالجة والتوزيع والطبقة الصوتية، بحسب طبيعة العمل.

وهذه الأقسام تمثل البناء الموسيقي للمارش، ولا ينبغي الخلط بينها وبين سرعة المسير العسكري؛ فالسرعة ليست عددًا ثابتًا يعرّف المارش بوصفه قالبًا موسيقيًا، وإنما تتحدد وفق الوظيفة العسكرية والمناسبة والأداء والتقاليد المعتمدة.

وفيما يتعلق بالممارسة العسكرية العراقية، فإن سرعة 116 خطوة في الدقيقة ترتبط بمسير وتدريب قوات الجيش العراقي، ولا سيما في الكلية العسكرية والقطعات المستعرضة في مناسبة ذكرى تأسيس الجيش العراقي، ومن ثم ينبغي إيرادها في هذا السياق بوصفها سرعة مرتبطة بالأداء الحركي العسكري، وليس بوصفها قاعدة بنائية عامة للمارش الموسيقي.

وهذا التمييز مهم في الدراسة؛ لأنه يفصل بين المارش بوصفه قالبًا موسيقيًا ذا بناء خاص وبين المسير بوصفه حركة عسكرية منظمة ذات سرعة محددة.

المطلب الثاني: في دراسة بعض نماذج الموسيقى العسكرية

سنعتمد في هذا المطلب للدراسة التحليلية عددًا من نماذج الموسيقى العسكرية العراقية والمصرية والأوروبية، وقد حُددت هذه النماذج واختيرت لعدد من الأسباب، أهمها القيمة الروحية والتاريخية والفنية والجمالية التي تختزنها، فضلًا عن كثرة تداولها وأدائها واستخدامها من قبل الأجواق العسكرية العراقية، وهي على التوالي:

نشيد الفتوة / نشيد الله أكبر / نشيد جندي بلادي / مارش توليدو / مارش سلام الأمراء.

وستعتمد خلال دراسة هذه النماذج وتحليلها منهجية موحدة، نختزلها في العناصر الآتية:

أولًا: التقديم العام للنموذج، ويحتوي أهم المعطيات المتعلقة به شعريًا وموسيقيًا وفنيًا وتاريخيًا.

ثانيًا: التحليل الهيكلي، من خلال عملية التقطيع الزمني والإطاري، وتحديد الأقسام والجمل والعبارات الموسيقية، بحسب طبيعة كل نموذج.

ثالثًا: تحليل النص الشعري، في النماذج الغنائية، والبحث في دلالاته المادية والمعنوية والسياقية، وعلاقته بالوظيفة الوطنية والعسكرية للنشيد.

رابعًا: التحليل الموسيقي، من خلال تتبع طرق ومسار عملية التلحين، ودراسة المقام أو السلم، والإيقاع، والميزان، والسرعة، والبناء اللحني، والتوزيع الآلي، ومسار الانتقالات الموسيقية، بما يتناسب مع طبيعة النموذج.

خامسًا: التحليل الغنائي والأدائي، وقوفًا عند إمكانات الأداء الغنائي ووظائفه وانتقالاته، وطبيعة العلاقة بين الصوت البشري والجوق الموسيقي العسكري.

سادسًا: الاستنتاج، وذلك بالوقوف على أهم النتائج التي يفضي إليها التحليل، وربط الخصائص الموسيقية والغنائية بالوظيفة الفنية والنفسية والوطنية والعسكرية للنموذج.

وبهذه المنهجية نسعى إلى الانتقال من الوصف العام للنماذج إلى تحليل مكوناتها الموسيقية والفنية، بما يسمح بالكشف عن الخصائص المشتركة والفروق بينها، وتحديد السمات التي تميز الموسيقى العسكرية العراقية ضمن سياقها العربي والدولي.

1. تحليل النموذج الأول: نشيد "الفتوة"

لاَحَتْ رُؤُوسُ الحِرَابِ... تَلْمَعُ بَيْنَ الرَّوَابِي
هَاكُمْ وُفُودُ الشَّبَابِ... هَيَّا فُتُوَّةُ لِلْجِهَادِ
هَيَّا هَيَّا هَيَّا هَيَّا... هَيَّا فُتُوَّةُ لِلْجِهَادِ
هَيَّا أُسُودُ البَوَادِي... هَيَّا حُماةُ البِلاَدِ
هَيَّا لِحفْظِ المبَادِي... هَيَّا فُتُوَّةُ لِلْجِهَادِ
هَيَّا هَيَّا هَيَّا هَيَّا... هَيَّا فُتُوَّةُ لِلْجِهَادِ

هَذِهِ أُسُودُ قُرَانَا... إِخْوَتُنَا فِي حِمَانَا
هَبَّتْ تُلَبِّي نِدَانَا... هَيَّا فُتُوَّةُ لِلْجِهَادِ
هَيَّا هَيَّا هَيَّا هَيَّا... هَيَّا فُتُوَّةُ لِلْجِهَادِ
يَا أُمَّنَا لَنْ نَحِيدَ... عَنْ دَرْبِنَا أَوْ نَعُودَ
فَإِنْ سَقَطْتُ شَهِيدًا... نَادِي فُتُوَّةَ لِلْجِهَادِ
هَيَّا هَيَّا هَيَّا هَيَّا... هَيَّا فُتُوَّةُ لِلْجِهَادِ
يَا أُمَّنَا كُفِّي الدُّمُوعَ... وانْتَظِرِي لِي الرُّجُوعَ
هَبَّتْ بِلاَدِي جَمِيعًا... هَيَّا فُتُوَّةُ لِلْجِهَادِ
هَيَّا هَيَّا هَيَّا هَيَّا... هَيَّا فُتُوَّةُ لِلْجِهَادِ



1.1 التقديم العام

اسم العمل: نشيد الفتوّة

القالب: قصيدة.

نوع التأليف: نشيد وطني.

كلمات النشيد: الشاعر الفلسطيني نور الدين محمد.

ألحان النشيد: الملحن العراقي سعيد شابو.

المقام: نهاوند "الراست".

غناء: فرقة الإذاعة والتلفزيون العراقية.

عزف: الجوق العسكري العراقي.

تاريخ النشر: 1939.

الأجناس الداخلية: جنس الحجاز على درجة " النوى "
نغمة الابتداء والانتهاء: النوى.

النغمة المركزية: الراست.

الصيغة: A-B.

الضرب والسرعة: الوحدة السائرة/125
الميزان: 2/4.

الآلات المستخدمة: الآلات النفخية الهوائية والإيقاعية
عدد الموازير: 40.

التكوين: مذهب + 5 مقاطع.

المدى اللحني: من درجة "النوى" إلى"السهم".

المدة الزمنية: 5 دقائق.

2.1 التحليل الهيكلي

الأجزاء الرئيسية	المازورة		التحليل
	من	إلى	
مقدمة موسيقية	م:1	م:16	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.

مذهب	م: 17	م:40	غناء المجموعة.
فاصل موسيقي	م:1	م:16	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
مقطع أول	م:17	م:40	غناء المجموعة.
فاصل "موسيقي 2	م:1	م:16	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
مقطع 2	م:17	م:40	غناء المجموعة.
فاصل موسيقي3	م:1	م:16	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
مقطع 3	م:17	م:40	غناء المجموعة.
فاصل موسيقي 4	م:1	م:16	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
مقطع 4	م: 17	م:40	غناء المجموعة.
فاصل موسيقي 5	م: 1	م: 16	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
مقطع 5	م: 17	م:40	غناء المجموعة.
فاصل موسيقي	م:1	م:16	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
قفله	م:17	م:40	الانتهاء بالرجوع إلى المذهب الأول.

جدول عدد 2

3.1 تحليل النص الشعري

إن دلالات النص تكمن في الوعي الوطني والقومي والجهاد في سبيل الوطن من أجل أن تبقى راية الحرية ترفرف عاليا. حيث تمّ التأكيد في مطلع القصيدة على وصول وفود الشباب التي جاءت للجهاد، وهم أسود البوادي وحماة البلاد وقد بدأت رؤوسهم تلمع بين الروابي وقد صاغ الشاعر جملة هذه المعاني على النحو التالي:

لاحت رؤوس الحراب تلمع بين الروابي *** هاكم وفود الشبابي هيا لفتوة للجهاد

وتلبي هذه الوفود نداء أخوتهم العرب للدفاع عن الأراضي الفلسطينية المحتلة، فإن سقط شهيد فهو في عليين. فهذا البطل يخاطب أمه لكفكفة الدموع وانتظار الرجوع وإن سقط شهيدا فتلك عنوان الرجولة حيث جسّد الشاعر هذه المعاني بقوله:

هَذهِ أسود قُرانا *** إخوتنا في حمانا

هبّت تلبي ندانا *** هيا لفتوة للجهاد

يا أمنا لن نحيد عن دربنا أو نعود*** فإن سقطت شهيدا نادي فتوة للجهاد

يا أمّنا كفي الدموع *** وانتظري للرجوع

هبّت بلادي جميعا *** هيا لفتوة للجهاد

لقد أكّد الشاعر بين طيات أبيات هذا النص الشعري على معاني وقيم الإيمان والتضحية والتشبث بمبادئ الحمى والدين، مؤكدا على أن سمة الفتوة والقوة رجالاً كانوا أو نساءً إنما السبيل إليها الجهاد والشهادة في سبيل الوطن.

4.1 التحليل الموسيقي

تبدأ المقدمة الموسيقية بدخول الآلات النفخية الهوائية وتعزف المقدمة الموسيقية بمحاكاة نغم مقام النهاوند على درجة "الراست" على هيئة سؤال وجواب مع التماس درجة "الكردان" لعمل عوارض لحنية تبدأ في المازورة (10) بالتماس درجة "ماهور" نزولا الى المازورة (11) حيث يرجع إلى الدرجة الأصلية "عجم" وبعدها بالمازورة (12) حيث يستخدم "الحسيني" نزولا إلى درجة "جهاركاه"، وفي المازورة (13) يعود إلى درجة "حصار" مستخدما درجات سلم "النهاوند" لباقي المازورات (16,15,14) تمهيدا للغناء. استخدم العازفون طريقة العزف الحماسي بدون التصرفات والإضافات لجميع المازورات. واستخدم العازفون المد والقطع في نهاية كل مازورة من المازورات التالية (6,5,4,2,1), وفي المازورات (9,13,11) استخدموا نفس التقنية وفي المازورات (16,15,14) استخدموا طريقة العزف المتواصل تمهيدا للغناء ولإيضاح سياق الجمل الموسيقية بالكيفية المطلوبة. كما استخدم العازفون أثناء الغناء آلية المد الواحد والقطع الواحد مع اللاّزمة الموسيقية.

5.1 التحليل الغنائي

عند دخول الغناء، لاحظنا انتقاله إلى مقام الحجاز على درجة "النوى" مستخدما انتقالات مقام الحجاز لإبراز هوية هذا المقام. حيث قام بالارتكاز على درجة "النوى" صعودا إلى جوابه أي "سهم". ثم بدأ ببناء مسار لحني جديد يعتمد على درجات السلم في بناء المقاطع الغنائية للنشيد. وبدأ باستعمال الدرجات الأربع الأولى لمقام الحجاز من درجة "النوى" وصولا إلى خامسة السلم "المحير" وهي أكثر الدرجات استخداما لأداء النشيد. ولقد لاحظنا كذلك استعمال درجة الأوكتاف

"السهم" في كلمة "هيا" واستعملت أيضا بشكل التريولة "الثلاثية" كلازمة موسيقية، وهكذا يعاد العمل على نفس الوتيرة في خمسة مقاطع.

لقد تمت ملاحظة أنّ المسار اللحني في مجمله لا يتعدى الخلية الأساسية وصولا إلى أعلى درجة "السهم" جواب "النوى" وهي نغمة الابتداء والانتهاء في الغناء ونزولا إلى درجة المقام الرئيسي "الراست" وبالتالي يكون المدى اللحني متماشيا مع إمكانية أداء الآلات المشاركة في العزف والإمكانيات الغنائية لفرقة الإنشاد. ولقد احتوى المسار النغمي على نغمات متنوعة أعطت نوعا من الثراء اللحني لاستخدامه نغمات كروماتيكية في مقدمة العمل.

6.1 الاستنتاجات

عديدة هي الاستنتاجات التي يمكننا رصدها من خلال هذا النموذج الأول ويمكننا حصرها في النقاط التالية:

• كانت الأنشودة العراقية حماسية من جهة المضمون والمحتوى اللحني ذلك أنّ اللحن لازم وناسب النص الشعري الغنائي.

• اعتمد العمل على سلم "النهاوند" على درجة "الراست".

• نغمة الابتداء هي درجة "النوى" ونغمة الانتهاء كانت "النوى" والنغمة المركزية كانت "الراست".

• المدى اللحني واسع وكان متزامنا مع إمكانية أداء الآلات المشاركة في العزف والتي توفّر لها مساحات صوتية واسعة.

• احتواء المسار النغمي على نغمات عديدة مما يعطي النشيد الثراء اللحني لاستخدامه لعدد من النغمات الكروماتيكية.

• ظهر جنس "الحجاز" على درجة "النوى" وذلك تماشيا مع السلم الأساسي وهو النهاوند وهو الذي يتميز بالطابع الحماسي والتأثيري.

• ارتفاع اللحن كان متعادلا.

• ظهور اتجاه الانعطاف اللحني بأشكال متنوعة يعطي اللحن صفة التنوع.

- **الضرب الإيقاعي تحدد بالوحدة السائرة المتناسبة مع مسير الجوق الموسيقي العسكري.**
- **الميزان 2/4 يشاع استخدامه للمسير العسكري نظرا لخاصيته وهي" الضربة الإيقاعية الواحدة".**
- استخدم في العمل خلايا إيقاعية بسيطة وهذا ما يدل على مناهج المدرسة الغربية.
- **تميز بالعزف المنضبط الذي يعتمد على الحماس بين الجوق الموسيقي العسكري.**
- تميز هذا النشيد بالأداء الحماسي الثوري واعتمد على أداء الكورال الرجالي.
- **اعتمد في بعض الجمل الموسيقية على القفزات اللحنية الرباعية والخماسية.**
- **الانعطافات اللّحنية بعدة أشكال تعطي للّحن صفة التنوع.**
- يعتمد النشيد على جملة لحنية متكررة بدون تصرفات و زخارف في الأداء وبالتالي يعكس روح الانضباط التي تتميز بها القوات المسلحة.
- **يعزف هذا النشيد الآن في الأجواق الموسيقية العسكرية العراقية بصيغة المارش بدون غناء.**

2. تحليل النموذج الثاني: نشيد "الله أكبر"

اللهُ أَكْبَرُ فَوْقَ كَيْدِ المُعْتَدِي

واللهُ لِلْمَظْلُومِ خَيْرُ مُؤَيِّدِ

أَنَا بِاليَقِينِ وبِالسِّلاَحِ سَأَفْتَدِي

بَلَدِي وَنُورُ الحقّ يَسْطَعُ فِي يَدِي

قُولُوا مَعِي

اللهُ اللهُ اللهُ أَكْبَرُ

اللهُ فَوقَ المُعْتَدِي

يَا هَذِهِ الدُّنْيَا أَطِلّي واسْمَعِي

جَيْشُ الأَعَادِي جَاءَ يَبْغِي مَصْرَعِي

بِالحَقّ سَوْفَ أُرْدِهِ وَبِمَدْفَعِي

فَإِذَا فَنِيتُ فَسَوْفَ أَفْنِيهِ مَعِي

قُولُوا مَعِي

اللهُ اللهُ اللهُ أَكْبَرُ

اللهُ فَوقَ المُعْتَدِي

قُولُوا مَعِي الوَيْلُ لِلْمُسْتَعْمِرِ

واللهُ فَوْقَ الغَادِرِ المُتَجَبّرِ

اللهُ أَكْبَرُ يَا بِلاَدِي كَبِّرِي

وَخُذِي بِنَاصِيَةِ المُغِيرِ وَدَمِّرِي

قُولُوا مَعِي

اللهُ اللهُ اللهُ أَكْبَرُ

اللهُ فَوقَ المُعْتَدِي

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ



1.2 التقديم العام

اسم العمل: نشيد الله أكبر

القالب: قصيدة.

نوع التأليف: نشيد وطني.

كلمات النشيد: الشاعر عبد الله شمس الدين

ألحان النشيد: الملحن محمود الشريف.

المقام: سلم مقام العجم على درجة الحصار.

غناء: فرقة الإذاعة والتلفزيون المصرية.

عزف: الجوق العسكري المصري.

تاريخ النشر: 1956.

الأجناس الداخلية: جنس صبا زمزم على درجة "الكردان".

نغمة الابتداء: "الكردان".

نغمة الانتهاء: "حصار".

النغمة المركزية: "حصار".

الصيغة: A-B.

الضرب والسرعة: الوحدة السائرة/130.

الميزان: 2/4.

الآلات المستخدمة: الآلات النفخية الهوائية والإيقاعية

عدد الموازير: 44.

التكوين: مذهب + 3 مقاطع.

المدى اللحني: من درجة "الكرد" إلى "الحصار".

المدة الزمنية: 3 دقائق.

الأجزاء الرئيسية	المازورة من	إلى	التحليل
مقدمة موسيقية	م:1	م:13	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
مذهب	م: 14	م:44	غناء المجموعة.

فاصل موسيقي	م:1	م:13	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
مقطع1	م:14	م:44	غناء المجموعة.
فاصل موسيقي 2	م:1	م:13	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
مقطع 2	م:14	م:44	غناء المجموعة.
فاصل موسيقي 3	م:1	م:13	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
مقطع 3	م:14	م:44	غناء المجموعة.
فاصل موسيقي	م:1	م:13	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
قفلة	م:14	م:15	غناء المجموعة وتكرار جملة الله أكبر.

2.2 التحليل الهيكلي

جدول عدد 3

3.2 تحليل النص الشعري

استعمل الشاعر قالب القصيدة، نص شعري، ليعبّر عن مشاعر الوعي الوطني والقومي والجهاد في سبيل الوطن من أجل أن تبقى راية الحرية ترفرف عاليا. حيث أكد في مطلع القصيدة أن الله عز وجلّ كان ولايزال فوق كيد المعتدي مهما كانت قوته، وأن الله تعالى خير مؤيد للمظلوم. وقد ركز الشاعر القول والدلالة بأنّ تملك الوسائل هو ما به يُفتدى البلد وقد صاغ الشاعر كل هذه المعاني بقوله:

الله أكبر فوق كيد المعتدي ***والله للمظلوم خير مؤيد

أنا باليقين و السلاح سأفتدي ***بلدي ونور الحق يسطع في يدي

قولوا معي الله أكبر فوق كيد المعتدي

وفي مطلع المقطع الأول جاءت كلمات الشاعر تنادي جميع الأمم أن ترى وتسمع وتعي بأن جيوش الأعداء يبقى هدفها الأول والوحيد هو القتل والتقتيل واحتلال الأراضي وسلب الحريات، لكن الحق يبقى لكلّ مظلوم، ولكل مظلوم الحق في الدفاع عن أرضه والاستشهاد في سبيلها وإن مات فالموت قبله للعدو الغاشم:

يا هذه الدنيا أطلي و اسمعي*** جيش الأعادي جاء يبغي مصرعي

بالحق سوف أرده و بمدفعي*** فإذا فنيت فسوف أفنيه معي

قولوا معي الله أكبر فوق كيد المعتدي

وفي مطلع المقطع الثاني جاءت كلمات الشاعر تنادي الجميع وتزلزل المشاعر الفياضة فالويل لكل مستعمر جبان وغادر ومتجبر فنداء "الله أكبر" هو نداء الحق وهو الكلمة العليا في وجه الغاشم المستعمر فكانت الصياغة كالتالي:

قولوا معي الويل للمستعمر *** الله فوق الغادر المتجبر

الله أكبر يا بلادي كبر ***خذي بناصية المغير و دمري

قولوا معي الله أكبر فوق كيد المعتدي

الله أكبر...الله أكبر...الله أكبر...الله أكبر

4.2 التحليل الموسيقي

تبدأ المقدمة الموسيقية بدخول الآلات الإيقاعية لمازورتين إيقاعيتين تمهيدا لدخول الآلات الهوائية وتبدأ المقدمة الموسيقية من درجة "الكردان" بمحاكاة نغم مقام "العجم" على درجة "الحصار" حيث استخدم في المازورة الرابعة درجات سلم "الكروماتك" صعودا من درجة "جواب الكرد" وصولا الى درجة "جواب الحصار" على هيئة سؤال وجواب مع التماس درجة "فا بيمول" يقابلها هارموني درجة "بوسلك" في المازورة (11) نزولا إلى درجة "الكرد" في المازورة (12) واستخدم القفزة الخماسية من درجة "الحصار" صعودا إلى درجة "جواب الكرد" في المازورة (14و15و16 و17) تمهيدا للغناء في المازورة التي تليها.

وقد استخدم العازفون طريقة العزف الحماسي بدون التصرفات والإضافات بجميع المازورات كما استخدموا من المازورة الأولى إلى المازورة (13) طريقة المد النغمي بالدرجات الموسيقية في داخل المازورة مع القطع الواضح بين كل مازورة وأخرى لإيضاح سياق الجمل الموسيقية. واستخدم العازفون أثناء الغناء آلية المدّ الواحد والقطع الواحد للازمة الموسيقية.

5.2 التحليل الغنائي

قامت المجموعة الغنائية بالغناء في مقام "العجم" على درجة "الحصار" مع جسّ درجاته الخمس الأولى من مقام "العجم" وإبرازه بصورة واضحة صعودا إلى رابعة و"خامسة السلم وهي أكثر الدرجات استخداما أثناء الغناء لأنها تعطي صبغة المقام. وانتقلت إلى حركة "الصبا" وهو التلوين المرصّع داخل مقام "العجم". حيث لامس الملحن درجة "فا بيمول" في المازورة (34 و35) ونزولا إلى الدرجة الرابعة وصعودا إلى درجة "صبا" وهي حركة "الصبا زمزم" على "درجة الكردان" ونزولا إلى درجة "حصار" وبالتالي أصبحت الجملة اللحنية لغناء المذهب وباقي المقاطع في مقام "العجم" على درجة "الحصار" وتتم إعادة باقي المقاطع بنفس الصياغة اللحنية والإيقاعية مع تغير الكلمات، ويتم إعادة المقدمة الموسيقية بنفس القالب. أما نهاية النشيد فتكون بإعادة جملة الله أكبر أربع مرات.

6.2 **الاستنتاجات**

يمكننا رصد جملة من الاستنتاجات بعد نهاية تقديم المعطيات السابقة المتعلقة بالنموذج الثاني ويمكننا حصرها في النقاط التالية:

- أنشودة حماسية مصرية بالمضمون و المحتوى اللحني.
- النص الغنائي ذو طابع حماسي وثوري.
- وضع اللحن يناسب النص الغنائي.
- تميز هذا النشيد بالأداء الحماسي الثوري واعتمد على أداء الكورال الرجالي.
- **اعتمد العمل على سلم مقام "العجم".**
- استخدم خلايا إيقاعية بسيطة وهذا ما يدل على مناهج المدرسة الغربية.
- تميز بالعزف المنضبط الذي يعتمد على قوة التجانس بين الجوق الموسيقي العسكري والكورال.
- **نغمة الابتداء هي درجة "الكردان" ونغمة الانتهاء هي ذاتها النغمة المركزية "حصار".**
- المدى اللحني كان واسعا ومتزامنا مع إمكانية أداء الآلات المشاركة في العزف والتي كانت تتمتع بمساحات صوتية واسعة.

• احتواء المسار النغمي على نغمات عديدة مما يعطي النشيد الثراء اللحني لاستخدامه لعدد من النغمات في السلم "الكروماتيكي".

• ظهور جنس "الصبا زمزم" وذلك تماشيا مع سلم "العجم" ذي الطابع الحماسي.

• **ارتفاع اللحن كان متعادلا.**

• **ظهور اتجاه الانعطاف اللحني بأشكال متنوعة يعطي اللحن صفة التنوع.**

• **الضرب الإيقاعي تحدد بالوحدة السائرة، فهو متناسب مع مسير الجوق الموسيقي.**

• الميزان هنا هو 2/4 وهو ميزان يشاع استخدامه للمسير العسكري نظرا لخاصيته وهي "الضربة الإيقاعية الواحدة".

• يعتمد النشيد على جملة لحنية متكررة بدون تصرفات و زخارف في الأداء تأكيدا لأهمية الجملة اللحنية التي تشير إلى روح الانضباط التي يمتاز بها عناصر القوات المسلحة.

• إن هذا النشيد يعزف الآن في الأجواق الموسيقية العسكرية العراقية بصيغة المارش العسكري للمسير الاعتيادي و بدون غناء.

3. تحليل النموذج الثالث: نشيد "جندي بلادي"

سَنَدِي يَا وَلَدِي يَا جُنْدِيّ بِلاَدِي

أَمَلِي يَا وَلَدِي يَا أَغْلَى أَوْلاَدِي

يَا جُنْدِيّ بِلاَدِي

يُنَصّرَكْ رَبَّكْ وَيَخَلّيكْ يُمَهّدْ دَرْبَكْ وَيُعَلّيكْ

يَا وَلَدِي يَا جُنْدِيّ بِلاَدِي

يَا جُنْدِي يَا خُويَا يَا أَغْلَى إِخْوَانِي

بَلَدَكْ نَادَاكْ وَنَادَانِي

تِتْخَاذِلْ مِنَّكْ عُدْوَانِي

وَتِفْخَرْ بِجْهُودِكْ أَحْفَادِي

يُنَصّرَكْ رَبَّكْ وَيَخَلِّيكْ يُمَهِّدْ دَرْبَكْ وَيُعَلّيكْ

يَا وَلَدِي يَا سَنَدِي يَا جُنْدِيُّ بِلاَدِي

يَا جُنْدِي يَا خُويَا الغَالِي وَابْنِي

اِحْمِي حُدُودِ بْلاَدَكْ وابْنِي

وَارْفَعْ بِيدَكْ رَايَةْ وَطَنِي وَعِيدْ لِوَطَنَكْ مَاضِي أَجْدَادِي

يُنَصّرَكْ رَبَّكْ وَيَخَلِّيكْ يُمَهِّدْ دَرْبَكْ وَيُعَلّيكْ

يَا وَلَدِي يَا سَنَدِي يَا جُنْدِيُّ بِلاَدِي



1.3 التقديم العام

اسم العمل: جندي بلادي

القالب: أغنية وطنية باللغة العامية.

كلمات النشيد: الشاعر كاظم عبد الجبار.

ألحان النشيد: عباس جميل.

المقام: سلم مقام الكرد.

أداء: عبّاس جميل وفرقة الإنشاد العراقية.

عزف: الجوق العسكري العراقي وفرقة الإذاعة والتلفزيون العراقي.

تاريخ النشر: 1948.

نغمة الابتداء: "الدوكاه".

نغمة الانتهاء: "المحير".

النغمة المركزية: "الدوكاه".

الصيغة: A-B.

الضرب والسرعة: الوحدة السائرة/116.

الميزان: 2/4.

الآلات المستخدمة: الآلات الوترية والإيقاعية.

عدد الموازير: 65.

التكوين: مذهب +2 مقاطع.

المدى اللحني: من "عشيران" إلى "الدوكاه".

المدة الزمنية: 3 دقائق ونصف.

2.3 التحليل الهيكلي

الأجزاء الرئيسية	المازورة من	إلى	التحليل
مقدمة موسيقية	م:1	م:4	عزف الآلات الوترية والإيقاعية.
مذهب	م: 5	م:37	محاورة غنائية بين المطرب والمجموعة.
فاصل موسيقي	م:38	م:48	عزف الآلات الوترية والإيقاعية.

مقطع1	م:49	م:65	غناء المطرب.
فاصل موسيقي 2	م:38	م:48	عزف الآلات الوترية والإيقاعية.
مقطع 2	م:49	م:65	غناء المطرب.
قفلة	م:19	م:37	غناء المطرب.

جدول عدد 4

3.3 تحليل النص الشعري

إنّ دلالات النص الشعري تكمن في الوعي الوطني وهو الدافع الأول للدفاع عن الأرض وحماية الحدود من الأعداء. حيث أكد الشاعر على أنّ الجندي هو الابن والأخ والسند، فهو يحمي أرض بلادهِ ويعيد أمجاد الماضي في حلا الحاضر. وجاء دعاء الأب والأمّ بالنصر وأن يجعل طريقه بدون عراقيل وأن يعلو وينتصر على من يريد أن يغتصب الحدود. والرسالة الواضحة لهذه الكلمات هي بيان الوقوف اللاّمشروط لكل الآباء والأمهات بل وكل فرد من أفراد الشعب العراقي والعربي وراء كلّ جندي يضع نصب عينيه حرية البلاد والعباد فهو منصور بإذن الله وستفتخر به الأجيال على الدوام.

4.3 التحليل الموسيقي

يمكننا تقسيم هذا العمل الفني، ونحن بصدد مباشرة التحليل الموسيقي، إلى جزئين رئيسيين:

• الجزء الأول، وفيه بدأ العمل بمقدمة موسيقية من درجة "الدوكاه" نزولا إلى درجة "العجم عشيران" وقد صاغها الملحن بشكل الثلاثيات "التريولة" مع التركيز على الدرجات المتقاربة بين درجة "الدوكاه" نزولا إلى درجة "العجم العشيران". ومنها ظهر سلّم "العجم" على درجة "العجم عشيران" وصعودا إلى درجة "الدوكاه". وبدأ الغناء في تمشّ لحنيّ بين درجات سلم مقام "الكرد" و"العجم عشيران" صعودا إلى النّوى ومن ثم إلى درجة "الحسيني" ومن ثم إلى درجة "جواب السلّم المحير" مع استعمال خلايا إيقاعية متكررة وكذلك خلايا لحنية إيقاعية متشابهة نسبيا.

• الجزء الثاني، وفيه جاء الفاصل الموسيقي من المازورة (38) إلى المازورة (48). وجاءت الفاصلة الموسيقية في مقام "سلم الكرد" على درجة "المحيّر" مستخدما القفزة الخماسية من درجة "الدوكاه" إلى درجة "الحسيني". وتمّ في المازورة (43) استخدام القفزة الرباعية صعودا من

درجة "النوى" إلى درجة "الكردان". وفي نفس المازورة تم استخدام القفزة الثلاثية مرتين نزولا من درجة "الكردان" إلى درجة "الحسيني" ومن درجة "الحسيني" إلى درجة "الجهاركاه" صعودا إلى درجة "النوى" في المازورة التي تليها نزولا إلى درجة "الجهاركاه" مع استخدام عرضية البوسليك في المازورة (45) ومنها انتقل إلى الثلاثية في استخدام لأبعاد سلم مقام "الكرد" كاملا في المازورات (46 و47 و48) تمهيدا للدخول بغناء المقطع الأول. وقد بدأ الغناء من نهاية المازورة (48) أي من درجة "الدوكاه" في استخدام للقفزة الخماسية صعودا إلى درجة "الحسيني". وفي نهاية المازورة (50) تمّ استخدام القفزة السداسية من درجة "الدوكاه" صعودا إلى درجة "العجم" في تمشّ لحنيّ يعتمد على الدرجات المتقاربة صعودا إلى درجة "المحير".

5.3 الاستنتاجات

نقف في هذا النموذج الثالث عند مجموعة من الاستنتاجات نحاول حصرها في النقاط التالية:

- النموذج عبارة عن أنشودة عراقية حماسية المضمون والمحتوى اللحني.
- وضع اللحن يناسب النص الغنائي إجمالا.
- يحمل العمل في معاني الكلمات حماسة وقوة واندفاعا ثوريا للدفاع عن الدار والديار.
- اعتماد العمل على سلم مقام "الكرد".
- درجة الابتداء الانتهاء والدرجة المركزية هي "الدوكاه".
- كان المدى اللحني واسعا ومتزامنا مع إمكانيات أداء الآلات المختلفة والمشاركة في العزف وكان لهذه الآلات مساحات صوتية واسعة.
- احتواء المسار النغمي على نغمات عديدة، مما يعطي النشيد الثراء اللحني لاستخدامه لعدد من النغمات الكروماتيكية.
- ظهور جنس "العجم" على درجة "العجم عشيران" وذلك تماشيا مع السلم الأساسي وهو "الكرد".
- ارتفاع اللحن كان متعادلا.
- ظهور اتجاه الانعطاف اللحني بأشكال متنوعة يعطي اللحن صفة التنوع.

- الضرب الإيقاعي تحدد بالوحدة السائرة.
- استخدام خلايا إيقاعية بسيطة وهذا ما يدل على الاعتماد على مناهج المدرسة الغربية والعربية ونخص بالذكر المدرسة العراقية.
- الاعتماد في بعض الجمل الموسيقية على القفزات اللحنية الثلاثية والرباعية والخماسيّة.
- الانعطافات اللّحنية باختلاف الأشكال أعطت للّحن صفة التنوّع.

4. تحليل النموذج الرابع:



1.4 التقديم العام

اسم العمل: مارش "سلام الأمراء"

كلمات النشيد: الملكة لويسيا فيكتوريا.

سنة التأليف: 1836.

عزف: الجوق العسكري العراقي.

نغمة الابتداء: "الحسيني".

نغمة الانتهاء: "المحير".

النغمة المركزية: "المحير".

الصيغة: A-B.

الضرب والسرعة: الوحدة السائرة/110.

الميزان: 4/4.

الآلات المستخدمة: الآلات الهوائية والإيقاعية.

عدد الموازير: 8.

التكوين: مقطعان موسيقيان.

المدى اللحني: من "الحصار" إلى "المحير".

المدة الزمنية: 18ثانية.

1.4 التحليل الهيكلي

الأجزاء الرئيسية	المازورة من	إلى	التحليل الهيكلي
A	م:1	م:4	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
B	م: 5	م:8	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.

جدول عدد 5

1.4 التحليل الموسيقي

يمكننا، ونحن بصدد تحليل هذا النموذج موسيقيا، تقسيم العمل إلى جزئيين:

• الجزء الأول، وفيه بدأ العمل في المازورة الأولى من درجة "الحسيني" وهي خامسة سلم "العجم" على درجة "الدوكاه" مع استعمال عرضية "الحصار" (صول دييز) وصولا إلى درجة "الماهور" والاستقرار على درجة "الحسيني". وهنا يظهر لنا سلّم "النهاوند" على درجة "الحسيني"، مع الانتقال بقفزة رباعية إلى درجة "المحير" في المازورة الثانية نزولا إلى درجة "النوى" في المازورة الثالثة مع تمشي لحني يعتمد على الدرجات المتقاربة. وفي المازورة الرابعة تمّ استعمال القفزة الرباعية من درجة "البوسلك" إلى درجة "الحسيني" التي استقر عليها.

• الجزء الثاني، حيث تماشى اللحن في المازورة الخامسة والسادسة بنفس التمشي في الجزء الأول. وانتقل في المازورة السابعة إلى درجة "الماهور" و تمّ استخدام القفزة الرباعية من درجة "الماهور" إلى درجة "البوسلك" نزولا إلى درجة "الكردان" والشاهيناز"(دو دييز) صعودا إلى درجة استقرار السلم "المحير" إلى غاية نهاية العمل الموسيقي.

5. تحليل النموذج الخامس: مارش "التوليدو"



1.5 التقديم العام

اسم العمل: مارش توليدو

كلمات النشيد: أحد الضباط الانكليز.

سنة التأليف: غير محدّدة.

النغم: سلّم النهاوند

عزف: الجوق الموسيقي العسكري العراقي.

السلالم المستخدمة في العمل: العجم، النوى، عجم الراست.

نغمة الابتداء: "السهم".

نغمة الانتهاء: "الراست".

النغمة المركزية: "النوى".

الصيغة: A-B-C.

الضرب والسرعة: الفالس/100.

الميزان: 3/4.

الآلات المستخدمة: الآلات الهوائية والإيقاعية.

عدد الموازير: 74.

التكوين: 3 مقاطع موسيقية.

المدى اللّحني: من "اليكاه" إلى "جواب المحير"

المدة الزمنية: 3دقائق.

2.5 التحليل الهيكلي

الأجزاء الرئيسية	المازورة من	إلى	التحليل الهيكلي
A	م:1	م:20	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.
B	م: 21	م:37	محاورة بين الآلات النفخية والإيقاعية.

C م:38 م:74 محاورة بين الآلات النفخية والايقاعية.

جدول عدد 6

3.5 التحليل الموسيقي

يمكننا في هذا المستوى من البحث ومن أجل دقة التحليل وإدراك الحدّ الأقصى من المعطيات والتفاصيل، تقسيم العمل إلى ثلاثة أجزاء:

• الجزء الأول: وفيه بدأ العمل من نهاية المازورة الأولى بدرجة "السهم". وفي المازورة الثانية كذلك بقي على نفس الدرجة. وشهدت نهاية المازورة الثالثة استخدام القفزة الرباعية النازلة إلى درجة "المحير" ومن ثمة الانتقال إلى "جواب المحير" مع التتابع النغمي لإظهار سلم "النهاوند" في المازورة الرابعة والخامسة والسادسة. وفي المازورة السابعة تمّ استخدام القفزة الثلاثية صعودا من "السهم" وصولا إلى "الجواب العجم". وشهدنا استخدام نفس القفزة في المازورة الثامنة وفي الحادية عشرة مع استخدام القفزة الخماسية نزولا من "جواب الحسيني" إلى درجة المحير. وفي نهاية المازورة تمّ الانتقال من درجة "المحير" إلى "جوابه" في بداية المازورة الثانية عشرة باستخدام القفزة الثمانية صعودا مستخدما التتابع النغمي في المازورة الثالثة عشرة والرابعة عشرة. وفي المازورة الخامسة عشرة شهدنا استخدام القفزة الثلاثية من درجة "السهم" صعودا إلى "جواب العجم". وفي المازورة السادسة عشرة تواصل التتابع النغمي إلى المازورة السابعة عشرة حيث تمّ استخدام القفزة الرباعية صعودا من درجة "جواب الحسيني" إلى "جواب المحير" مع الانتقال بالقفزة الخماسية نزولا إلى درجة "السهم" في المازورة الثامنة عشرة وصولا إلى المازورة التاسعة عشرة باستخدام نفس النغمة مع الانتقال بها بالقفزة الرباعية نزولا إلى درجة "المحير" ومنها الانتقال بالقفزة الرباعية إلى درجة "السهم" صعودا ونزولا بالقفزة الحادية عشرة إلى درجة "الدوكاه" في نهاية المازورة العشرين والأخيرة من الجزء الأول.

• الجزء الثاني، حيث بدأ العمل بالانتقال إلى سلّم العجم على درجة "النوى" منتقلا من درجة "الدوكاه" إلى درجة "الجواب المحير" في المازورة الواحدة والعشرين مع الانتقال في نهاية المازورة من درجة "الماهور" إلى درجة "المحير" مع استخدام القفزة الثلاثية والانتقال إلى المازورة الثانية والعشرين بالتتابع النغمي لإظهار سلم "العجم". وفي نهاية المازورة نفسها تم استخدام القفزة الثلاثية بنفس الدرجات النغمية للمازورة السابقة مع اعتماد عملية التتابع والتوالي

النغمي وصولا إلى المازورة الرابعة والعشرين باستخدام أسلوب التتابع النغمي صعودا. وفي المازورة الخامسة والعشرين تمّ القفز إلى درجة "جواب الحجاز" ومنها نزولا بالقفزة الرباعية إلى درجة "الكردان" باستخدام التتابع النغمي. وفي المازورة السادسة والعشرين شهدنا استخدام القفزة السداسية من درجة "جواب الحجاز" إلى درجة "الحسيني" بالاعتماد على التتابع النغمي. وفي نهاية المازورة السابعة والعشرين استخدمت القفزة السباعية نزولا إلى درجة "البوسليك". والملاحظ أنه من بداية المازورة الثامنة والعشرين إلى نهايتها نتوقف عند القفز من درجة "الدوكاه" إلى "جوابه المحير". وفي بداية المازورة التاسعة والعشرين استُخْدم التتابع النغمي، أما في المازورات الثلاثين والواحدة والثلاثين والثانية والثلاثين ونهاية المازورة الثالثة والثلاثين فقد استُخْدم القفزة السداسية من درجة "الكردان" نزولا إلى درجة "الكرد". وفي بداية المازورة الرابعة والثلاثين كما في نهايتها، تمّ استخدام القفزة الخامسة عشرة، أي تمّ الانتقال من درجة "الدوكاه" صعودا إلى درجة "جواب المحير" في المازورة الخامسة والثلاثين التي استُخْدم في نهايتها القفزة السداسية نزولا إلى درجة "جواب الحجاز". وفي المازورة السادسة والثلاثين تم الالتجاء إلى القفزة الرباعية نزولا من درجة "السهم" نزولا إلى درجة "المحير" ومنها القفز إلى درجة "السهم" في بداية المازورة السابع" والثلاثين والأخيرة من الجزء الثاني.

• الجزء الثالث: بعد ثلاث مازورات إيقاعية، انتقل المؤلف في المازورة الواحدة والأربعين إلى سلم "العجم" على درجة "الراست" منطلقا في نهاية المازورة من درجة "اليكاه". وفي المازورة الثانية والأربعين بقي على نفس الدرجة، ومنها انتقل بالتوالي صعودا إلى درجة "البوسليك" في المازورة الثالثة والأربعين كما انتقل بالقفزة السداسية نزولا إلى درجة "اليكاه" في المازورة الرابعة والأربعين. وبقى على نفس الدرجة في المازورة الخامسة والأربعين وكذلك المازورة السادسة والأربعين منتقلا بالتتابع صعودا في المازورة السابعة والأربعين إلى درجة "البوسيلك" التي بقى عليها حتى نهاية المازورة التاسعة والأربعين، ومنها بالقفزة الثلاثية صعودا إلى درجة "النوى" في المازورة الخمسين. وفي نهاية نفس المازورة استخدم القفزة الرباعية نزولا مستقرا على درجة "الدوكاه" في المازورة الواحدة والخمسين. ومنها انتقل إلى درجة "البوسليك" في المازورة الثانية والخمسين، ومنها بالقفزة الثلاثية إلى درجة "الراست" في المازورة الثالثة والخمسين، ومن درجة "الراست" انتقل بالقفزة الثلاثية نزولا إلى درجة "الحسيني". أما في

المازورة الرابعة والخمسين فقد استخدم القفزة الخماسية صعودا إلى درجة "البوسليك" منتقلا منها إلى درجة "الدوكاه". وانتقل بالقفزة الرباعية إلى درجة "الحسيني" نزولا في المازورة الخامسة والخمسين مستخدما نفس الدرجة في المازورة السادسة والخمسين منتقلا منها بالقفزة الرباعية إلى درجة "النوى" في المازورة السابعة والخمسين، ومنها انتقل بالقفزة الثمانية إلى درجة "اليكاه" في المازورة الثامنة والخمسين منتقلا بالتتابع النغمي إلى درجة "الراست" في المازورة التاسعة والخمسين، مستقرا على درجة "البوسليك" في المازورة الستين، منتقلا منها بالقفزة السداسية نزولا إلى درجة "اليكاه" في المازورة الواحدة والستين، منتقلا إلى درجة "الحسيني" في المازورة الثانية والستين التي بقيت إلى حدود بداية المازورة الثالثة والستين مستخدما علامة الربط بين النغمتين، منتقلا بالقفزة الخماسية صعودا إلى درجة "البوسليك" ومنها استخدم القفزة الثلاثية صعودا إلى درجة النوى. وفي المازورة الرابعة والستين استقر على درجة "الجهاركاه" حتى بداية المازورة الخامسة والستين التي بدأت بنفس الدرجة النغمية مستخدما علامة الربط بين نغمتين ومنتقلا إلى درجة "البوسليك" ثم درجة "الجهاركاه". ثم استقرّ في المازورة السادسة والستين على درجة "النوى" منتقلا بالقفزة الرباعية نزولا إلى درجة "الدوكاه" في المازورة السابعة والستين منتقلا إلى درجة "البوسليك" في المازورة الثامنة والستين ومنتقلا بالقفزة الثلاثية هبوطا إلى درجة "الراست" في المازورة التاسعة والستين التي استقر عليها حتى المازورة السبعين، منتقلا بالتتابع النغمي من درجة "الدوكاه" وتليها "البوسليك" وتليها "الجهاركاه". وفي المازورة الواحدة والسبعين انتقل بالقفزة الثلاثية إلى درجة "الدوكاه" ومنها استخدم القفزة الرباعية صعودا إلى درجة "النوى"، وانتقل منها في المازورة الثانية والسبعين بالقفز الخماسي نزولا إلى درجة "الراست" مستقرا عليها حتى نهاية المازورة وبداية المازورة الثالثة والسبعين، مستخدما علامة الربط بين نغمتين ومنتقلا بالقفز الرباعي نزولا إلى درجة "اليكاه" ومن ثمة انتقل بالقفزة الرباعية صعودا إلى درجة استقرار سلم "العجم" وهي درجة الراست، وهي المازورة الأخيرة من الجزء الثالث للعمل.

6. الاستنتاجات العامة

لقد قمنا في هذا الجزء من المبحث بالتعاطي مع نماذج خمسة من أعمال الجوق العسكري، وقسمنا العمل في كل نموذج حسب منهجية تراعي أولا ضرورات تقديم العمل تقديما ماديا للتعريف به من

جهة الملابسات التاريخية والأدبية، ثم تحليله ثانيا من جهة شعرية وموسيقية وغنائية. وقد قدّم هذا الجهد عديد المعطيات المتعلقة بالتفاصيل الموسيقية لكل نموذج وهو ما فصلناه في عنصر الاستنتاجات. ومن خلال التحليل الموسيقي التفصيلي للنماذج التي اعتمدناها يمكن الوقوف عند عديد الاستنتاجات العامة المشتركة بين جلّ النماذج وبالتالي يمكن الوقوف والتوقف عند جملة الملاحظات التالية والتي نلخصها في النقاط التالية:

• التقارب والتشابه الشبه كلي في معاني الكلمات بين النماذج المعتمدة، حيث توحي في كلية دلالاتها إلى قيم ومبادئ القومية الثورية وضرورة الدفاع عن الدار والديار والتضحية في سبيل نهوض الأمة وردّ كيد المستعمر ورفع المظالم عن الشعوب العربية

• التقارب في طريقة الأداء الغنائي الذي يتميز خاصة بالبعد الثوري الحماسي الذي يثير المشاعر القوية في نفوس الجنود من جهة وفي نفوس أفراد الشعب من جهة أخرى وهم الذين تقع على عاتقهم مهمة إسناد الجنود وقوى الجيش والدولة.

• التقارب في الصياغة اللحنية وطريقة العزف المنضبط والضرب الإيقاعي، إذ يستقي الملحنون والعازفون معاني الحماسة والمعاني الثورية فيترجمونها في صياغة مخصوصة وطريقة عزف مخصوصة وضرب إيقاعي مخصوص كذلك، وكلها تتلاءم والأبعاد الروحية والأدوار الحقيقية لمثل هذه النماذج الموسيقية التي يفتخر كل منتسب وكلّ عازف في الجوق العسكري بأأأأأأننننتتتتتتأدائها وعزفها بكل جوارحه وقواه.

يبقى في الأخير أن نتوقف عند بعض الفروقات بين هذه النماذج منها اختلاف السلالم المستخدمة وتنوعها من سلم مقام "النهاوند" ومقام "العجم" وسلم "مقام الكرد"، ومنها كذلك الاختلاف في القفزات اللحنية المستعملة.

أمّا المارشات الغربية فيمكن الوقوف عند عدد من الاستنتاجات وأهمها:

• التقارب في الأفكار اللحنية.

• الاختلاف في طريقة التأليف من حيث القفزات اللحنيّة في السلم الموسيقي الواحد.

• اعتماد البساطة والسهولة اللحنية ويظهر ذلك خاصة في نموذج سلام الأمراء وتحديداً المقطع المقتطف من مارش الخيالة البريطاني الذي تميز كذلك بشدة التركيز والانتباه عند عزفه لما يحمله من خصوصية تتمثل في تفرده بالقادة والآمرين.

• خصوصية مارش توليدو الذي اعتمد على الانتقالات النغمية والقفزات اللحنية ما بين الرباعية والخماسية والسباعية والثمانية. كما اعتمد على إيقاع الفالس الذي اعتُمد في العراق وبريطانيا للمسير البطيء عند تفتيش نموذج من قطعات الجيش من قبل ضيوف البلد ملوكا كانوا أو رؤساء أو من ينوبهم.

الخاتمة

مثّلت الموسيقى العسكرية العراقية إحدى الصور المشرقة في تاريخ الجيش العراقي الحديث والمعاصر، ولم تكن مجرد ممارسة موسيقية ارتبطت بالمراسم والاحتفالات العسكرية، بل أصبحت جزءًا من البناء الرمزي والثقافي للمؤسسة العسكرية، ووسيلة للتعبير عن الانضباط والهيبة والانتماء الوطني. وعلى الرغم من حداثة التنظيم المؤسسي للموسيقى العسكرية العراقية في إطار الدولة الحديثة، فإن ارتباط الموسيقى بالفعل العسكري في بلاد الرافدين يمتد إلى جذور تاريخية موغلة في القدم، كشفت عنها الآثار والنقوش واللقى التي تؤكد حضور الموسيقى والآلات الموسيقية في الحياة العسكرية والاجتماعية في حضارات العراق القديم (أنور رشيد، 1970؛ أنور رشيد، 1988).

وقد أظهرت الدراسة أن تطور الموسيقى العسكرية العراقية ارتبط ارتباطًا وثيقًا بتطور المؤسسة العسكرية الحديثة في العراق، ولا سيما منذ تأسيس الجيش العراقي عام 1921، إذ أخذت الموسيقى العسكرية تتبلور تدريجيًا بوصفها أحد المكونات الفنية والتنظيمية للمؤسسة العسكرية. وقد أسهمت الكوادر الموسيقية العراقية في ترسيخ هذا المسار وتطويره، وكان لفوج موسى الكاظم وما ارتبط به من كوادر موسيقية دور في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الموسيقى العسكرية العراقية، وهو ما تناولته الدراسات المتخصصة في تاريخ هذا الفن، ولا سيما دراسة فيصل عباس جميل (2023).

ومن خلال تتبع المسار التاريخي للموسيقى العسكرية العراقية، يتضح أنها لم تكن منفصلة عن التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدها العراق، بل واكبت مراحل تأسيس الدولة العراقية الحديثة وما رافقها من مناسبات ومراسيم وأحداث وطنية. وأصبحت الأناشيد الوطنية والمارشات العسكرية وسيلة فنية لتجسيد معاني الانتماء والولاء والوطنية، فضلًا عن وظيفتها في تنظيم المسير والمراسم العسكرية والاستقبالات الرسمية.

كما أظهرت الدراسة أن الموسيقى العسكرية العراقية قامت على تفاعل بين الوظيفة العسكرية والخصوصية الفنية؛ فهي من جهة ترتبط بالانضباط والتنظيم والحركة، ومن جهة أخرى تقوم على عناصر موسيقية واضحة تتمثل في الإيقاع واللحن والميزان والسرعة والتوزيع الآلي، وتختلف طريقة توظيف هذه العناصر باختلاف القالب والمناسبة والوظيفة. ومن هنا كان من الضروري التمييز بين المارش بوصفه قالباً موسيقياً له بناء وصياغة خاصة، وبين المسير العسكري بوصفه أداءً حركيًا منظمًا تحكمه سرعة محددة بحسب طبيعة التدريب والمناسبة العسكرية.

وأظهرت الدراسة كذلك أن الأناشيد الوطنية العسكرية لا تستمد تأثيرها من الموسيقى وحدها، وإنما من التفاعل بين النص الشعري واللحن والإيقاع والأداء الجماعي. فالنص يحمل دلالات وطنية ورمزية، في حين يعمل اللحن والإيقاع على تعزيز تلك الدلالات وتحويلها إلى تجربة سمعية جماعية. ومن ثم فإن عملية التذوق الفني للموسيقى العسكرية لا تنفصل عن السياق الذي تؤدى فيه، لأن المتلقي لا يستمع إلى العمل بوصفه مادة موسيقية مجردة، وإنما يستقبله ضمن سياق وطني أو عسكري أو احتفالي يحمل دلالات وذكريات وتجارب مشتركة.

كما بيّن الجانب النفسي من الدراسة أن الموسيقى العسكرية تمتلك قدرة على استثارة الانفعال وتنشيط الذاكرة وتعزيز الشعور بالانتماء الجماعي، ولا سيما عندما ترتبط بالأناشيد الوطنية والمناسبات العسكرية. فالإيقاع المنتظم، والأداء الجماعي، والقوة الصوتية للجوق، وتكرار الألحان، كلها عناصر تسهم في تكوين تجربة سمعية ذات أثر وجداني واضح. ولا يعني ذلك أن التأثير النفسي للموسيقى العسكرية واحد لدى جميع الأفراد، وإنما يتأثر بالسياق الاجتماعي والثقافي والتجربة الشخصية للمتلقي.

وقد أكدت الدراسة من خلال النماذج المختارة أن الموسيقى العسكرية العراقية تمتلك خصوصية فنية ناتجة عن تفاعل عناصر متعددة، من بينها طبيعة النص الشعري، والبناء اللحني، والإيقاع، والتوزيع الآلي، والأداء الجماعي، فضلًا عن ارتباط العمل بالمناسبة التي يؤدى فيها. كما كشفت المقارنة مع بعض النماذج العربية والأوروبية عن وجود عناصر مشتركة في بناء المارش والأداء العسكري، مقابل اختلافات تفرضها البيئة الموسيقية والثقافية والتقاليد الفنية لكل بلد.

أولًا: النتائج

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. أن الموسيقى العسكرية العراقية تمثل جزءًا من تاريخ المؤسسة العسكرية العراقية الحديثة، ولم تكن نشاطًا فنيًا هامشياً، بل ارتبطت بالمراسم والانضباط والاستعراض والاستقبال والاحتفال والمناسبات الوطنية.

2. أن للموسيقى العسكرية العراقية جذوراً تاريخية أعمق من مرحلة تأسيس الجيش العراقي الحديث، إذ تكشف الشواهد الأثرية عن حضور الموسيقى والآلات الموسيقية في حضارات العراق القديم، غير أن انتقالها إلى شكل المؤسسة الموسيقية العسكرية الحديثة ارتبط بتطور الدولة والجيش في العصر الحديث.

3. أن تأسيس الجيش العراقي الحديث أسهم في إيجاد إطار مؤسسي لتطور الموسيقى العسكرية، وأدى إلى تكوين فرق وأجواق موسيقية أصبحت جزءًا من البناء الرسمي للمؤسسة العسكرية .

4. أن الكوادر الموسيقية العراقية كان لها دور أساسي في ترسيخ التجربة الموسيقية العسكرية وتطويرها، وأن دراسة تاريخ هذه الكوادر وأدوارها تمثل جانباً مهماً في كتابة تاريخ الموسيقى العسكرية العراقية.

5. أن المارش العسكري قالب موسيقي له بناء فني خاص، ولا ينبغي اختزاله في مفهوم السرعة أو المسير؛ إذ يقوم على مجموعة من الأقسام والحركات الموسيقية التي تتكامل في بناء العمل.

6. أن سرعة 116 خطوة في الدقيقة ترتبط بسياق المسير والتدريب العسكري في الجيش العراقي، ولا يصح تقديمها بوصفها سرعة ثابتة لكل المارشات أو قاعدة عامة في التأليف الموسيقي للمارش.

7. أن الإيقاع يمثل عنصراً أساسياً في التأثير الموسيقي للموسيقى العسكرية، بسبب ارتباطه بالحركة المنتظمة والمسير والأداء الجماعي، فضلًا عن دوره في تشكيل الطاقة الحركية للعمل الموسيقي.

8. أن الأناشيد الوطنية العسكرية تجمع بين الوظيفة الشعرية والوظيفة الموسيقية، وأن قوة تأثيرها تنشأ من التفاعل بين الكلمة واللحن والإيقاع والأداء الجماعي.

9. أن الموسيقى العسكرية تؤدي وظيفة نفسية ووجدانية إلى جانب وظيفتها العسكرية والمراسمية، إذ يمكن أن تسهم في رفع المعنويات وتعزيز الشعور بالانتماء واستحضار الذاكرة الجمعية المرتبطة بالمناسبات الوطنية والعسكرية.

10. أن الموسيقى العسكرية أصبحت مع تطور وسائل الحرب أقل ارتباطًا بالوظيفة المباشرة داخل ميدان المعركة، لكنها احتفظت بوظائفها الرمزية والتنظيمية والمراسمية داخل المؤسسة العسكرية وخارجها.

11. أن الموسيقى العسكرية تمثل إحدى واجهات الدولة والمؤسسة العسكرية، ولا سيما في مراسم استقبال رؤساء الدول والملوك والأمراء والوفود الرسمية، بما تمنحه من بعد احتفالي ورمزي للمناسبة.

12. أن الموسيقى العسكرية العراقية تستحق مزيدًا من الدراسة الأكاديمية، لوجود جوانب تاريخية وفنية وتحليلية وأدائية لم تحظَ بالقدر الكافي من التوثيق والدراسة المتخصصة.

ثانيًا: التوصيات

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة، يمكن تقديم التوصيات الآتية:

1. ضرورة جمع وتوثيق تاريخ الموسيقى العسكرية العراقية منذ بداياتها الأولى إلى الوقت الحاضر، اعتمادًا على الوثائق الرسمية والمخطوطات والتسجيلات الصوتية والصور والمقابلات مع الرواد والعازفين والقادة الموسيقيين.

2. إجراء مسح شامل للأعمال الموسيقية والغنائية التي قدمتها الأجواق العسكرية العراقية، والعمل على تصنيفها وحفظها وتدوينها موسيقيًا ورقمنتها بما يضمن عدم ضياع هذا التراث.

3. إعداد دراسات أكاديمية متخصصة في المارش العسكري العراقي، تتناول بنيته الموسيقية وأشكاله وإيقاعاته وطرائق توزيعه الآلي ومقارنته بالمارشات العربية والأوروبية.

4. إعداد دراسات تحليلية للأناشيد الوطنية العسكرية العراقية، تجمع بين تحليل النص الشعري والتحليل المقامي واللحني والإيقاعي والأدائي، للكشف عن خصوصيتها الفنية.

5. الاهتمام بتوثيق سير رواد الموسيقى العسكرية العراقية وعازفيها وقادتها، لأن تاريخ المؤسسة الموسيقية لا يكتمل من دون توثيق الأشخاص الذين أسهموا في تأسيسها وتطويرها.

6. تطوير المناهج التدريبية الموسيقية الخاصة بالأجواق العسكرية، وربط التدريب العملي بالمعرفة النظرية في علوم الموسيقى والتوزيع والتأليف والأداء الجماعي.

7. إقامة أرشيف موسيقي عسكري عراقي متخصص، يحفظ التسجيلات والمخطوطات والمدونات الموسيقية والصور والوثائق التاريخية المتعلقة بالموسيقى العسكرية.

8. إنشاء متحف أو مركز متخصص بتراث الموسيقى العسكرية العراقية، يعرض تاريخها وآلاتها ووثائقها وتسجيلاتها وسير روادها، ويكون مرجعًا للباحثين والمهتمين.

9. تشجيع الدراسات المقارنة بين الموسيقى العسكرية العراقية ونظيراتها العربية والأوروبية، بما يسهم في تحديد الخصائص المحلية والعناصر المشتركة في هذا النوع الموسيقي.

10. إجراء بحوث ميدانية في الأجواق العسكرية العراقية في مختلف المحافظات، تتناول الجوانب الفنية والإدارية والتدريبية والأدائية.

11. تعزيز حضور الموسيقى العسكرية في الدراسات الأكاديمية العراقية، وعدم حصرها في الجانب التطبيقي والمراسمي، لما تمتلكه من قيمة تاريخية وفنية ونفسية وثقافية.

وفي ختام هذه الدراسة، يمكن القول إن الموسيقى العسكرية العراقية ليست مجرد ألحان تؤدى في المناسبات العسكرية، وإنما هي جزء من الذاكرة الجمعية الثقافية والوطنية للمؤسسة العسكرية العراقية، تحمل في إيقاعاتها وألحانها وأناشيدها جانباً من تاريخ العراق الحديث، وتكشف عن العلاقة المتبادلة بين الموسيقى والمجتمع والمؤسسة العسكرية.

ومن هنا تأتي أهمية المحافظة على هذا التراث وتوثيقه ودراسته، لا بوصفه ماضياً موسيقياً فحسب، وإنما بوصفه جزءًا من الذاكرة الوطنية العراقية التي تستحق أن تحفظ للأجيال القادمة.

المصادر والمراجع

أولاً: الموسوعات والمصادر الإلكترونية

1. الموسوعة العربية. (د.ت). *التصنيف: تربية وعلم النفس، المجلد الحادي عشر*، ص. 718. الموسوعة العربية

ثانياً: الكتب

2. إبراهيم، زكريا. (د.ت). *مشكلات فلسفية: مشكلة الفن*. مصر: دار مصر للطباعة.

3. ابن حميدة، الأسعد. (2014). *الإيقاع في الموسيقى العربية: تطور نظرية الإيقاع عند العرب من القرن الثامن إلى حدود القرن العشرين للميلاد* (مراجعة وتصدير محمود قطاط). تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة.

4. ابن زيدان، عبد الرحمن. (2008). *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس* (ج. 2، ترجمة علي عمر). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

5. الأنصاري، حسام الدين. (2012). *تاريخ الفرقة السيمفونية الوطنية العراقية في خمسين عاماً*. بغداد: الديوان للطباعة الفنية المحدودة.

6. أنور رشيد، صبحي. (1970). *تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم* (ط. 1). بيروت: المؤسسة التجارية للطباعة والنشر.

7. أنور رشيد، صبحي. (1988). *الموسيقى في العراق القديم* (ط. 1). العراق: دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية.

8. حداد، بطرس. (د.ت.). *رحلة سبستياني ألاب جوزيبه دي سانتا ماري الكرملي إلى العراق سنة 1666م* (ط. 1). بيروت: الدار العربية للموسوعات.

9. حكيمة، فاخر. (2021). *المؤلفات الموسيقية العربية الراهنة بين المقامية والتونالية* (ط. 1). تونس: سوتيميديا للنشر والتوزيع.

10. الشوان، عزيز. (1986). *الموسيقى تعبير نغمي ومنطق* (ط. 1). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

11. فريد، طارق حسون. (1990). *تاريخ الفنون الموسيقية منذ نشأتها إلى نهاية القرن السادس عشر* (ج. 1). العراق: مطبعة دار الحكمة.

12. فريد، طارق حسون. (2001). *مدخل لتذوق الفنون الموسيقية*. بغداد: دار الكتب للطباعة والنشر.

13. جميل، فيصل عباس. (2023). الموسيقى العسكرية العراقية (الطبعة الأولى). دار أمارجي.

14. وهبة، مجدي. (د.ت.). *معجم مصطلحات الأدب*. بيروت: دار الطليعة.

15. ويتيج، أرنوف. (1992). *ملخصات شوم: نظريات ومسائل في مقدمة علم النفس* (ترجمة عادل عز الدين الأشول، ومحمد عبد القادر، ونبيل عبد الفتاح حافظ، وحافظ عبد العزيز السيد، (ط. 2). مصر: الدار الدولية للنشر والتوزيع.

16. مديرية صنف الموسيقى العسكرية. (1968). *النظام الداخلي لمدرسة الموسيقى العسكرية*.

ثالثاً: الدوريات والمجلات والصحف

17. بشيوة، كريمة محمد. (2013). النظريات المفسرة للإبداع الفني. *المجلة الجامعة، 15* (2)، 75-104.

18. البكري، عادل. (2011). وقفة أخرى مع عثمان الموصلي. *مجلة موصليات، (36)*، 6-11.

19. البياتي، زينب صبحي. (2016). موسيقى الجوق العسكري العراقي. *مجلة الأكاديمي، (79)*، 251-262.

20. الجزراوي، مهيمن. (2011، 27 فبراير). الجذور التاريخية للموسيقى العسكرية العراقية. *جريدة المدى*.

21. حرب، طارق. (2017، 20 أغسطس). ألبير شفّو قائد الفرقة سالسبوري السيمفونية. *جريدة الزمان*، (10359).

22. الخولي، سمحة. (1992). *القومية في موسيقى القرن العشرين*. سلسلة عالم المعرفة، (162). الكويت: عالم المعرفة.

23. ثامر، عبد الرحيم. (2010، 1 سبتمبر). لحظة الإبداع. *الحوار المتمدن*.

24. عبد الرزاق، صلاح. (2021، 20 يونيو). البلاط الملكي القديم: بناء متواضع في بداية تأسيس الدولة العراقية. *وكالة النخلة للأنباء*.

رابعاً: الرسائل الجامعية

25. السعداوي، حميد. (2007–2008). *الموسيقى العسكرية بين الوظيفة والقالب: الجوق العسكري التونسي نموذجاً* [رسالة لنيل الأستاذية في الموسيقى والعلوم الموسيقية]. المعهد العالي للموسيقى بسوسة، تونس.